النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية)

"دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"

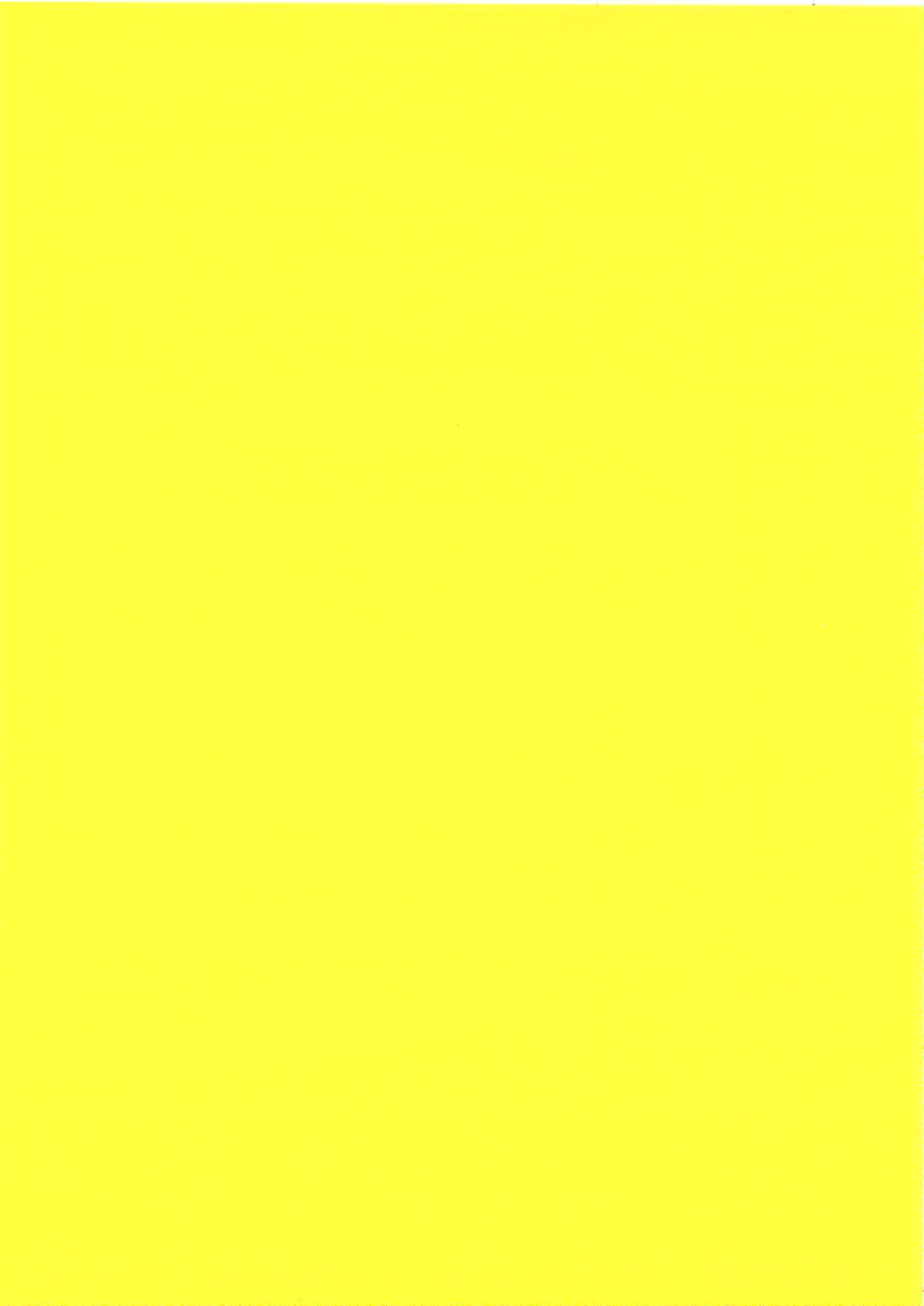


الدكتور
محمود عكاشة



42 Opera Square - Cairo Tel: (202) 23900868

مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة - ت : ٢٣٩٠٠٨٦٨



النَّظَـريَّة البَرَاجمَاتِيَّة اللِّسَانِيَّة

(التـداوليـة)

"دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ"

الدكتور

محمود عكاشة

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا- القاهرة

ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨



بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

عكاشة، محمود.

النظريـة البراجماتيـة اللسـانية (التداوليـة): دراسـة المفاهيم والنشأة والمبادئ/ محمود عكاشة. -ط١. - القاهرة: مكتبة الآداب، ٢٠١٣.

ص: ٢٤ سم.

تدمك: ٢ ٥٣٩ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - البراجماتية (فلسفة).

٢ - اللغة، علم

٣ - اللغة، فلسفة

١٤٤,٣

رقم الإيداع: ٧٦٤٤ لسنة ٢٠١٣

الترقيم الدولي: I.S.B.N: 978-977-468-539-2

الناشر

مكتبة الآداب

على حسن

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

e.mail:adabook@hotmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبى ﷺ وعلى آله وأزواجه وأصحابه أجمعين، وبعد:

فالبراجماتية اللسانية(Linguistic Pragmatics) أو التداولية اللسانية، هى نفسها التداولية "Pragmatics" التى شاعت فى البحوث العربية، وقد اخترت مصطلح "البراجماتية اللسانية" للدلالته على المفهوم الغربى الدقيق و للتفرقة بين المصطلح اللسانى الحديث والمصطلح الفلسفى "Pragmatism"، وقد ترجم الأخير إلى البراجماتية والفوائدية والنفعية والعملية.

والبراجماتية اللسانية منهج غربى حديث فى البحث اللغوى تأثر بالفلسفة الواقعية المادية فى بحث أعيان الأشياء وما يتعلق بها، وهدفها القصد اللغوى، وقد تأثر البحث الغربى بالتيارات الفلسفية وبطبيعة اللغات الغربية وعرفها فى التعبير وارتباطها بثقافتها الغربية الحديثة التى تختلف عن الثقافة العربية، وقد شهدت الدراسات اللسانية الحديثة فى أوربا تطوراً سريعاً يتوازى مع تطورها الحضارى، ومن أبرز التيارات الحديثة مذهب "النُّحاة الجُدد" اللسانى الذى ظهر فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر، وقد عالج قضايا اللغة مستخدماً المنهج التاريخى ومتأثراً بمعطيات المنهج التجريبى الذى أثر فى بعض العلوم النظرية، وكان له أثر مباشر فى انتقال الفلسفة البنيوية إلى اللسانيات الحديثة، فأصبحت البنيوية أكثر شهرة فى الدراسات اللسانية من الفلسفة، وقد أصبح المنهج البنيوى الذى أسس له دى سوسير فى علم اللسان فى صدر القرن العشرين أكثر المناهج اللسانية شيوعاً، ويعد هذا المنهج اللسانى إسقاطاً مباشراً للفلسفة البنيوية التى عرفت من خلاله، ويُعد أيضاً صدى المنهج التجريبى وجهود النحاة الجدد الذين استلهم منهم دى سوسير بعض أفكارهم فى البحث اللسانى، ولعل أبرزها العناية بالبنية اللغوية والنظام اللسانى للبنية والمعالجة الواقعية بيد أنه لم يقف عند المستوى الصوتى وحده الذى تبناه النحاة الجدد، ولم يتبن قوانين لسانية عامة صارمة لا تقبل الاختلاف وتستوى فيها كل اللغات، بل قبل التعدد والاختلاف، واهتم باللهجات التى أهملها المحافظون قبله، وقد استطاع أن يتعرف على

أنظمة اللغات وعناصرها البنيوية والثابت والمتغير فيها وعلاقة اللهجات باللغة الأم غير أنه استبعد المعنى وعلاقة اللغة بالمجتمع والعالم الخارجى، وقد نشأ فى داخل البنيوية اتجاهات تأثرت بمحيطها وبالتيارات الفلسفية الجديدة، والأساس الجامع بينها دراسة الشكل اللسانى أو البنية.

وقد ظهرت اتجاهات لسانية أخرى حديثة اهتمت بالعناصر التى استبعدتها البنيوية كالدلالة والسياق الخارجى أو محيط اللسان والاستعمال، وتعد البراجماتية اللسانية رد فعل مضاد لتعصب البنيوية للبنية اللسانية، فقد درست استعمال اللسان فى السياق ومقاصده النفعية العملية ورد فعل المتلقى، وتُعد هذه الجوانب خارج البحث البنيوى، وقد تأثرت البراجماتية اللسانية فى هذا بالفلسفة الوضعية التى تأثرت بمعطيات المنهج التجريبى، فعاد علم اللسان إلى الفلسفة مرة ثانية فى هذا الاتجاه اللسانى، والحقيقة أن علم اللسان لم يستقل عن الفلسفة كما ادعى دى سوسير، فهو نفسه تبنى الفلسفة البنيوية وتأثر بالعلوم التجريبية فى دراسة اللسان، بيد أنه درس اللسان علماً مستقلاً بعد أن كان ضمن مقدمات علوم الفلسفة والاجتماع والنفس، ولكن البراجماتية اللسانية قامت على نظرية فلسفية واقعية (النفعية العملية: Pragmatism)، وقد اجتاحتها قضايا الفلسفة والمنطق والاجتماع والنفس والاتصال وبعض عناصر العلوم التجريبية، وقد نتج عن هذا التفاعل اتجاهات أخرى داخلها ألفت بين مزيج من الدراسات اللسانية الموروثة(التقليدية) والعلوم التى تأثرت بها البراجماتية، فتنوع أسلوب المعالجة اللسانية فيها، ومن ثم تختلف أدواتها ومفاهيمها باختلاف المنحى العلمى، ويعد هذا التداخل والتنوع سبباً رئيساً فى عدم وضوح منهجها ومذاهبها التحليلية، فهى تتسع لمجالات البحث والتحليل فى هذه العلوم، ومازال العمل فى تطويرها ومعالجة قضاياها مستمراً.

وقد تأثر بمنهجها بعض الباحثين العرب، فترجموا بعض الدراسات والكتب، واجتهدوا فى تطويعها للدرس العربى وتطبيقها، وكتبوا فيها، بيد أن التطبيقات يشوبها بعض اللبس والضعف؛لأن منهجها غربى فى مضمونه وتطبيقه، ولا يمثل نسقاً عاماً فى كل اللغات، ولا يساوق عرف التعبير عن القصد فى العربية، ولا يعبر تعبيراً دقيقاً عن العناصر البلاغية فى الخطاب العربى، فقد عجز عن استيعاب الأبعاد البلاغية والقصدية فى النص.

وقد نشأت البلاغة فى كنف العربية وفى بيئة إسلامية غزتها بقيم تفتقد إليها البيئة الغربية التى تأثرت بالفلسفة الواقعية (المادية) ومناهج العلوم التجريبية والفلسفة البنيوية التى استحوذت على الدراسات اللسانية فى القرن العشرين، فصارت شكلية لا تعتد بالمعانى أوقصد الخطاب، وقد تأثرت البلاغة الجديدة (الحِجَاج) فى أوربا بهذه التيارات، فاهتمت بالعلل والأسباب والأدلة المادية الواقعية، وغلبت عليها الغائية والجوانب الفلسفية والمنطقية، ولم تكلف بالعناصر الجمالية وأثرها النفسى فى استجابة المتلقى واقتناعه، واهتمت بالخطابة السياسية.

وقد تأثرت الدراسات الأسلوبية بهذه التيارات، وظهرت فى داخلها مذاهب فى معالجة الأسلوب، فاتجه بعضها نحو أسلوب النص دون سياقه الخارجى وغالت فى هذا، وظهرت دعوى "موت المؤلف"؛ لتقطع الصلة بين النص وقائله، وجعلت فَهْم المتلقى مرجع القصد، وهى الفكرة التى سيطرت على البراجماتيين الأوائل الذين توجهوا نحو استعمال اللسان فى سياق خطابى وفهم المتلقى دون قصد من وظّف الخطاب فى التعبير عن قصده، ولم يعتدوا فى الجانب التأثيرى بغير ما يلاحظ على سلوك المتلقى من رد فعله ودرجة استجابته، والوجوه التى يحمل عليها استعمال الخطاب فى السياق وما يتعلق به وما يترتب عليه من أفعال، واعتدوا فى الأفعال بالفعل الإنجازى فى الواقع، فالأحداث أفعال كلامية وإنجازات واقعية، وهم فى هذا متأثرون بالفلسفة البراجماتية التى حملت البراجماتية اللسانية (Linguistic Pragmatics) اسمها "Pragmatism"؛ لغلبتها عليها، فالمصطلح الأخير خِصِّيصى الفلسفة العملية النفعية أو الفوائدية، وجعلوا "Pragmatics" خَصَّ البراجماتية اللسانية - أو التداولية اللسانية التى اشتهرت باسم "التداولية"، واللفظان الأجنبيان من أصل واحد - ولم تجد البراجماتية الغربية بديلاً له، يعبر عنها؛ فتسمت به، وتعترف التداولية العربية بأنها امتداد البراجماتية اللسانية، ولم أعدل عن هذه التسمية الأصلية (Pragmatics) إلى ترجمتها؛ لأنها أدق فى التعبيرعن دلالتها فى بيئتها بيد أن بعض الباحثين العرب اختاروا ترجمة "التداولية"، والتداول يعنى التفاعل بين طرفى الحوار، والبراجماتية تعتد بعملية التلقى لا بنية الخطاب وتزويره (إعداده فى النفس) وقائله وقصده؛ فالمتلقى مرجع معرفة القصد وليس القائل، والتداول لا يحمل هذا المفهوم، وآخرون استعاروا لها تسميات تراثية ذات أبعاد إسلامية مثل "علم المقاصد" أو "المقاصدية" و"علم الذرائع" أو "الذرائعية"، ولهذه الاختيارات أثر سلبى

فى دلالة المفهوم الإسلامى الذى يحمل قيماً دينية وثقافية من تراث الأمة، وليست هذه التسميات العربية إلا قناعاً عربياً يستر مثالب الفلسفة البراجماتية النفعية فى الدراسة اللسانية، والترجمات العربية لا تعبر عنها تعبيراً دقيقاً، ودليل هذا عدم اصطلاحهم على تسمية دقيقة لها.

وأرى أن تبقى على لفظها الدخيل؛ لدلالته على مفهومها الغربى الخالص، وليس له مقابل دقيق يعبر عنه فى الدراسات العربية، وهذا معمول به فى نظير اللفظ من المصطلحات التى تحمل مفاهيم غربية مثل الرادكالية (Radicalism) والفاشية (Fascism) وغيرهما من المصطلحات التى ترتبط بثقافتها غير العربية أو بأصحابها كالمكيافيلية والماركسية، ومن التعسف أن نطوع لها بديلاً عربياً وأن نفرضه على ثقافتنا، ولن يضر هذا بعربيتنا، بل هذا علامة نبو هذه المفاهيم عن قيمنا وتراثنا، وأرى أن الذين استبْقوا على تسميتها الأصلية (البراجماتية) مصيبون وكذلك الذين ترجموها بـ"النفعية العملية"، وهو أصل معناها، وقد انتشرت "التداولية"؛ لشيوعها فى الترجمات والبحوث والمؤلفات؛ ولا سبيل لى فى ردها بعد شيوعها، وهذا لا يغير من عدم اقتناعى بهذه الترجمات وعدم قبولى هذا المنهج بأبعاده البراجماتية النفعية أن يكون التصور الجديد لعلم اللسان العربى أو أن يكون الشكل البلاغى الحديث، فالبلاغيون ينازعون اللسانيين فيه.

وقد ظهر فرع جديد فى علم اللسان يحمل اسم "علم اللسان البراجماتى" (Linguistics Pragmatic) تأثراً بالبراجماتية ونظرية أفعال الكلام بيد أن ملامحه اللسانية لم تكتمل، والمكتوب فيه لا يعطى تصوراً واضحاً له، ولا أراه إلا امتداداً لتطور البراجماتية اللسانية، وليس علماً لسانياً مستقلاً كعلم اللسان النصّى أو الاجتماعى، وبعض الباحثين يخلطون بينه وبين البراجماتية اللسانية.

ولا مانع من ترجمة هذه الدراسات إلى العربية للمطالعة والبحث عن وجوه المنافع فيها، وغفر الله تعالى لزملائى الذين وقفوا جهودهم للعمل بها فى العربية، وقد شغفتهم لحداثتها، وإن أرادوا بديلاً ناجعاً ومفيداً يقابلها، فعليهم بدراسة "علم المقاصد" عند علماء الأصول، فهو علم شاف واف، ويحتاج إلى من يعيد طرحه وتنظيمه فى الدراسات اللغوية والبلاغية الحديثة؛للاستفادة منه فى تنظير معاصر يستوعب أنماط الخطاب المعاصرة ويحللها، ويكشف

أبعادها اللغوية التواصلية والتأثيرية والإقناعية فى التعبير عن القصد، وسيجد الباحث فيه مادة غنية بالأفكار، وسيجد فيه حلولاً وأجوبة يطلبها بحثنا المعاصر، وسيجد فيه مساحة متسعة للتجديد والابتكار والاجتهاد، لن يجدها فى البراجماتية الغربية التى حصرت نفسها فى دلالة الاستعمال اللغوى، ولا شك أنها أتت بجديد فى الفكر الأوربى بيد أن كثيره اجترار بعض أقوال الأصوليين فى معرفة القصد واستنباط الحكم من النص الشرعى، وقد دفع هذا بعض الباحثين إلى تجذير أصولها فى تراثنا تحت تسمية "التداولية عند الأصوليين"، وهو ما أطلق عليه عند الأصوليين "المقاصد" فى بحث المقاصد الشرعية، وقد أطلق بعض الباحثين "علم المقاصد" على البراجماتية مساواة بالمقاصد عند علماء الأصول، وهو تكلف ليس فى موضعه؛لأنه يضر بمفهوم المقاصد الأصيل وغايته الحسنة فى تأصيل المصالح النافعة ودرء المفاسد، فهو صادر عن أصول شرعية، والبراجماتية الغربية تقوم على تحصيل المنافع الدنيوية من كل الوجوه وبكل الوسائل التى تبررها دون تحفظ أو احتراز أو غاية شرعية، والمقاصد فى صيغة الجمع مخصوص بالنص الشرعى؛لما يحمله من وجوه المعنى ووجوه المنافع والمصالح الدينية والدنيوية، فالخطاب الشرعى من لدن عزيز حكيم ومحكم وحمّال مقاصد نافعة، وأرى أنه من الصواب أن يظل مصطلح المقاصد فى صيغة الجمع قيد دراسة النص الشرعى، وألا يستخدم فى قصد الخطاب البشرى المحدود، ولا يجوز أن نستخدمه ترجمة للبراجماتية اللسانية التى تقوم على الفلسفة النفعية، وتتبنى اتجاها لسانياً لا يستوعب عناصر اللغة الأساسية ومعطيات الخطاب وعناصره الاتصالية، فقد اختزلت اللغة فى السياق التفاعلى (استعمال اللغة) أوالسياق الخارجى (فهم المتلقى الخطاب ورد فعله القولى والإنجازى)، وللباحثين أن يستخدموا مصطلح "القصد"ـ وهو المصدر العام ـ للتعبيرعن غرض الخطاب البشرى منعاً للتلبيس والتشويه.

وبعض الباحثين حاولوا تأصيل البراجماتية فى البلاغة، وسمّوها "التداولية فى البلاغة العربية" و"التداولية العربية" يريدون مقاصد الخطاب فى التعبير، وزعموا أن عبد القاهر الجرجانى وحازم القرطاجنى من مؤسسى التداولية العربية، وأسقطوا بعض الأفكار البراجماتية على بعض التراث البلاغى؛ ليؤصلوا لها فى العربية، ولهذا الإسقاط أثر سيء فى تراثنا، فسوف يترتب عليه اتهام البلاغة بالضيق والعجز وأن مفسرى النصوص حرفيين، والخطورة العظمى فى تطبيق هذا المنهج على النص القرآنى، فلسوف تحمل بعض المعانى على

غير وجهها، ولسوف يقال إن المفسرين والفقهاء لم يتوصلوا إلى مناهج صحيحة فى معرفة المقاصد وأحكام التشريع، وأن آراءهم فى المعنى واستنباط الحكم تحتاج مراجعة فى بعض النصوص. وقد قيل. وسوف أبيّن هذا فى موضعه من الكتاب، وسوف أُوقف له كتاباً يدفع تلك التقاويل بإذن الله تعالى، وقد عدها بعض المحدثين بديل علم اللسان مثلما عدوا الحجاج بديل البلاغة تأثراً بالغربيين أيضاً، وهذا تضييق مجالى اللسان والبلاغة العربية الواسعين، فالتداولية فى الحقيقة لا تستوعب إلا جزءاً يسيراً من اللسانية العربية، وليست هذه الزوبعة حول التداولية والمبالغات فى قيمتها ووظائفها ومستقبلها إلا مثل الزوبعة التى أثارها الهُواس حول البنيوية التى زعموا أنها ذِروة العقل ونضجة، ثم ما لبثت أن ذهبت جُفاء، وصارت كتب البنيوية والدراسات التى تبنتها على الأرصفة يعافها القراء، وهذا مصير كل زبَد لا يصدر عن مرجعية بشرية ذات قيم وثوابت علمية، وهى أشبه بمن يسير على كثيب؛ لأنها تبنت جانباً لغوياً وأهملت جوانب أخرى، وهذا شأن الأفكار الغربية التى قامت على رؤية فردية ترى شيئاً وتجهل أشياء، فهى لا تستوعب كل الجوانب اللسانية، وقد تأثرت بالفكر المادى الذى تأثرت به البنيوية قبلها بيد أنها اهتمت بوظائف الاستعمال اللغوى فى السياق الكلامى فى مقابل البنيوية التى اهتمت بشكل اللغة ونظامها العام القواعدى الذى يربط بين وحداتها اللفظية متجاهلة المعنى وتطوره وعلاقة اللغة بالسياق الخارجي وأثره فيها، وهذا لا يمنع أن نعوّل على بعض الوسائل والعناصر الحديثة وبعض المناهج فى بحث مقاصد النص القرآنى أوغيره، بيد أن الذى يأباه معتقدنا والإنصاف أن نحمل نصاً مرتبطاً بتنزيله على ما فى عصرنا أو أن نسقط عليه أفكارنا وأغراضنا، فنفسده.

وأرجو الله تعالى أن أكون قد وُفّقت إلى الصواب، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو جودة محمود أبو المعاطى عكاشة

رمضان ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

مصطلح البراجماتية اللسانية:

المصطلح العلمى لهذه النظرية "Linguistic Pragmatics"، وقد شاع بين الباحثين بلفظ "Pragmatics" [فى الإنجليزية] و"Pragmatique" [فى الفرنسية]، والمصطلح الأول المقيّد بالبحث اللسانى الأصوب، وترجمته "البراجماتية اللسانية". وهو الذى أميل إليه. وأصله من اللفظ اليونانى القديم "Pragma" (براجما)، ويعنى "العمل" (١)، وقد استخدم لفظ

---

١) المصطلح العلمى: يدل على مفهوم خاص أضيق من المعنى المعجمى العام، قال الجاحظ "إن "الأسماء التى تدور بين الناس إنّما وضعت علامات لخصائص الحالات لا لنتائج التركيبات" الرسائل، ص٣١٢. والمصطلحان: "Pragmatics" الإنجليزى، و"Pragmatique" الفرنسى، من اللاتينى "Pragmaticus" الذى استخدم عام ١٤٤٠ م تقريباً، وهو من الأصل اليونانى "pragma" الذى يعنى: العمل أو الفعل Action، وهو فى اليونانية الحديثة(πραγματολογία: بروماتودجيا) وكلمة "Pragmaticos" الإغريقية بمعنى (عملى)، و أشتقت منها الصفة اليونانية: "Pragmatikos" واشتق الرومان "Progmaticus"، وقصدوا بها "المتمرس" فى المسائل القانونية خاصة، والكلمة تدل على العمل أو الفعل النشاطى "Action"، وتنسب الموسوعة البريطانية أول استعمال لها إلى المؤرخ الأغريقى بوليبوس (المتوفى سنة ١١٨ ق.م.)، وقد أطلق هذه التسمية على كتاباته لتعنى تعميم "الفائدة" العملية، ولتكون منبراً تعليمياً، وقد استخدمت فى اللاتينية "Pragmaticus"، وقد اشتقت منها اللغة الأنجليزية جميع المفردات التي ترتبط بكلمة "practice"، وأهمها "practical" التى خرجت من رحمها الفلسفة البراجماتية "Pragmatism" التى انتشرت فى القرن التاسع عشر في أمريكا، وانتقلت منها إلى أوربا وبعض الدول الأخرى، ويرجع تاريخ المصطلح فى العصر الحديث إلى القرن السابع عشر فى مجال الفلسفة التجريبية، واستخدمه الفيسلوف إيمانويل كانت وأخذه عنه تشارلز بيرس رائد علمى العلامات والبراجماتية اللسانية، ونقله إلى الدراسات اللسانية، وقد تأثر المصطلح فى كنف هذه الفلسفة في القرن العشرين، وقد استقر فى اللسان على لفظ "Pragmatics" فى المصطلح الحديث، وبعض العلماء جعلوا مصطلح "Pragmatism" خاصاً بحقل الفلسفة العملية أو النفعية، وجعلوا "Pragmatics" لعلم اللسان التداولى، وقد استخدم اللسانى جورج يول (George Yule) مصطلح "Pragmatics" فى الحقل اللسانى، وجعله عنوان كتابه، وقد ترجمه دنحا طوبيا كوركيس إلى "الفائداتية" فى صدر الستينات، وهو أدق تعبيراً من التداولية، ولفظه القياسى الفوائدية، ويرجع تاريخ دخوله إلى العربية فى الفترة التى ترجمت فيها الفلسفة البراجماتية فى النصف الأول من القرن العشرين، وقد نشأ المصطلح فى كنف الفلسفة التقليدية، ثم انتقل إلى الفلسفة الحديثة على أيدى شارل سندريس بيرس و وليام جيمس، ثم انتقل إلى اللسانيات فى أعمال بيرس وشارل موريس، وقد طوره فى اللسان أوستين وسيريل وكارناب ولودفيج فتجنشتاين. ارجع إلى: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس ١٩٨٩م، ص١١١، والتداولية اليوم، علم جديد فى التواصل، آن روبول و جاك موشلار، ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيبانى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م، ص٢٧، ٢٨، وعلم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، فان دايك، ترجمة الدكتور سعيد بحيرى، دار القاهرة، ط١، ٢٠٠١م، ص٤١٥.

"Pragmatism" فى الفلسفة الواقعية (١)، وقد ذكر بعض الباحثين أن الفيلسوف والمنطقى والرياضى تشارلز ساندر بيرس (Charles Sanders Peirce) (١٨٣٩-١٩١٤م) أول من استخدم البراجماتية (Pragmatics) (٢)، وأنه واضعه، والصواب أن "بيرس" عرف مصطلح البراجماتية من دراسة أعمال الفلاسفة التجريبيين (٣) والفيلسوف الألمانى "إيمانويل كانت"

---

١) الواقعية مذهب فلسفى أنشأه أرسطو الذى رأى أن الواقع الحسى مصدر المعرفة، وأعيد العمل به فى عصر النهضه الأوربية، وحدث فيه تطوير تأثراً بالنهضة الحديثة، وقد رأى أتباعه أن حقيقة كل المفاهيم لا تثبت إلا بالتجربة العلمية، وقد ترتب على هذه الفكره ظهور المنهج التجريبى الذى أعاد النظر فى كثير من القضايا على أساس علمى، وقد أثر هذا المنهج فى البنيوية اللسانية والتداولية، ومصطلح البراجماتية مستعار من الفلسفة الواقعية والتجريبية، فقد نشأ فى كنف الفلسفة ثم انتقل إلى علم اللسان، وأول من استخدمه فى اللسان الفيلسوف تشارلز بيرس فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر.

٢) تشارلز ساندر بيرس (Charles Sanders Peirce) (١٨٣٩-١٩١٤م) أول من استعمل مصطلح البراجماتية (Pragmatism) فى علم اللسان فى كتبه وبحوثه فى العلامات، وتناوله فلسفياً فى مقال "تثبيت الاعتقاد" المنشورة عام ١٨٧٨م، قال فى سياق تقديم الغريزة(الوجدان) على العقل: "إذا كانت المعرفة حسب النظرة البراجماتية مستحيلة إذن كيف للإنسان أن يعمل ؟" وقال فى مقال نشره فى يناير ١٨٧٨م ، عنوانه: "كيف نجعل أفكارنا واضحة ؟": "لكى نبلغ الوضوح التام فى أفكارنا من موضوع ما ، فإننا لا نحتاج إلا إلى اعتبار ما قد ترتب من آثار يمكن تصورها ذات طابع عملى، قد يتضمنها الشىء أو الموضوع"، وتبعه وليم جيمس (Willim James) فى محاضرته " التصورات العقلية والنتائج العملية " سنة ١٨٩٨م . ارجع إلى: البراجماتية، أو مذهب الذرائع ، يعقوب فام، الهيئة المصرية للكتاب ، ط٢ /١٩٩٨م، ص١٣١ ، وليم جيمس، محمد الشنيطى، مكتبة القاهرة الحديثة ، القاهرة ط ١ / ١٩٧٥م ، ص ٧٢ ، وذكر المؤلف أن جيمس أول من استعمل المصطلح، ولم يشر إلى مقال بيرس ، والصواب أن جيمس استخدمه بمفهومه الفلسفى، وأن بيرس استخدمه بالمفهومين الفلسفى واللسانى، وقد اهتمت التداولية بالبعد العملى لمعنى المحادثة متأثرة بالفلسفة الأمريكية العملية، وارتبط تاريخ المصطلح الحقيقى فى الثقافة العربية باطلاع المثقفين العرب على فلسفة إيمانويل كانت ووليم جيمس فى صدر القرن المنصرم، وقد استخدم لفظ التداولية مصطلحاً فى اللسانيات العربية فى الستينات للدلالة على استعمال اللغة أوالفعل أو الممارسة (praxis)، واستخدم بعض العرب لفظ "البراكسيس"، وهى كلمة إغريقية تعنى الفعل و الممارسة، وهى تقابل فى الفلسفة اليونانية النظرية "Théoria" التى تعنى التأمل و التفكير النّظرى الخالص، وعرفه ماركس بالنشاط الإنسانى المحسوس، ارجع إلى : فلسفة العمل ، زهير الخويلدى، مجلة "أفكار وقضايا" ١٥. ٢٠٠٨.٣م، وارجع إلى: دراسة ومختارات، جاك تكسيه غرامشى، ترجمة ميخائيل إبراهيم مخول، سلسلة أصول الفكر الاشتراكى ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومى، دمشق ١٩٧٣م.وارجع إلى: التّداوليّة، البُعد الثالث فى سيميوطيقا موريس، د. عيد بَلْبَع ، مجلة فصول ، القاهرة العدد، ربيع ٢٠٠٥م.

٣) ظهر المنهج التجريبى عقب الصراع العلمى مع سلطة الكنيسة ومقاومتها التجديد والابتكار، وأبرز رواد التجريبية الحديثة: روجر بيكون (Bacon Roger) (١٢٩٤: ١٢١٣م)، و جون لوك (١٦٣٢ -١٧٠٤ م) ، (الذى رأى أن

(Emmanuel Kant) (١٧٢٤ـ١٨٠٤) (١) الذى جمع بين معطيات المنهج العقلى والمنهج التجريبى، وهو يميز بين البراجماتى "pragmatic "والعملى "practical" (٢)، وقد كان المصطلح مستخدماً قبله فى الفلسفة الواقعية، وقد ذكره بيرس فى مراجعاته آراء الفلاسفة،

وجود الأشياء فى العقل سبقها وجود فى الحس)، ودافيد هيوم وكلود برنار (الذى رأى أن التجريب أساس معرفة حقيقة الأشياء، وقد اهتم بالجانب العملى).

١) الفيلسوف الألمانى إيمانويل كانت (Emmanuel Kant)(١٧٢٤ـ١٨٠٤م) من أشهر فلاسفة القرن الثامن عشر، وهى الفترة التى تطورت الفلسفة فيها وشغلت الحياة العامة، وقد انقسمت إلى اتجاهات، وقد نشأ جدال بينها فى نظرية المعرفة (الأبستمولوجى) فى القرن السابع عشر حتى التاسع عشر، وقد ظهر تياران رئيسان، يرى أولهما أن العقل(Reason) مصدر المعرفة وأنه منتج الأفكار، ورأى الآخر أن الحواس(Sense) مصدر الإدراك الحسى (Perception)، وأشهر الرواد العقلانيين (Rationalists) رينيه ديكارت الفرنسى (René Descartes)، والألمانيان "باروخ سبينوزا Spinoza"(Baruch) و"جوتفريد فيلهلم ليبنيز (Gottfried Wilhelm (Leibniz "، وقد رأوا أن العقل مصدر المعرفة وأن الاختبار الأساسى لها الاستدلال العقلي القائم على مبادئ الاستنتاج الذاتى أو البديهيات (Axioms) ، وأشهر الرواد المؤيدين للإدراك الحسى للمعرفة من التجريبيين الأمبريقيين (Empiricists) الإنجليزيان "فرانسيس باكون" (Francis Bacon) و"جون لوك"(John Locke) ، وقد ذهبا إلى أن المصدر الرئيس لإدراك المعرفة الحواس، وقد وضع باكون قواعد جديدة للمنهج العلمى، وأبرزها سلسلة قواعد المنطق الاستقرائى(Inductive logic) كقاعدة لتوليد المعرفة، ورفض رأى العقلانيين الذين رأوا أن إدراك عناصر المعرفة ذاتى الوجود. وقد تبنى إيمانويل كانت اتجاهاً وسطاً توفيقياً بين العقلانيين والتجريبيين، فدمج العناصر العقلية بالتجريبية، إذ وافق العقلانيين على إمكانية الوصول إلى معرفة دقيقة ثابتة، وأقر أيضاً وجهة النظر التجريبية الإمبريقية التى تقول إن هذه المعرفة إخبارية (Informative) عن بنية التفكير ذاته أكثر من قيامها بتعريف العالم الطبيعي خارج نطاق التفكير، وميز بين ثلاثة أنواع من المعرفة: أولها المعرفة القبلية التحليلية (Analytical priori)، وهى وتتميز بالدقة والثبات إلا أنها غير كافية للتعليم (Uninformative)؛لأنهالا توضح إلا ما يتضمنه التعريف (Definition). وثانيها المعرفة البعدية المُنتجة (Synthetic posteriori)، وهى التى تُنتج معلومات عن العالم الخارجى نتيجة التعلم من الخبرات، وهى عرضة للوقوع في الخطأ؛لاعتمادها على الحواس.وثالثها المعرفة القبلية المُنتجة (Synthetic) priori، وهى تنتج عن الحدس الخالص (Pure intuition) وتتميز بالدقة والثبات؛لأنها تعبر عن الحالات الأساسية التى تنطبع على العقل نتيجة الخبرة بالأشياء، ويرى كانت أن هذا النوع من المعرفة تنتجه الفلسفة والرياضيات، وقيل إن جورج بيركلى (George Berkeley) البريطانى-الإيرلندى (١٢ مارس ١٦٨٥ – ١٤ يناير ١٧٥٣) قد طرح بعض الأفكار البراجماتية بما اطلع عليه من فلسفة لوك التى خالفه فيها متأثراً بآراء الكنيسة فى العالم، وقد رأى أنه لا يوجد شيء اسمه مادة على الإطلاق وما يراه البشر ويعدونه عالمهم المادى لا يعدو أن يكون مجرد فكرة فى عقل الله.

٢) العملى عند كانت يطلق على القوانين الأخلاقية، والبراجماتى ينطبق على قواعد الفن وأسلوب التناول اللذين يعتمدان على الخبرة.

وهذا لا ينفى أنه أول من استخدام (Pragmatics) فى علم اللسان، وهو يتناول علاقة العلامة أو الرمز بالمدلول أو بالشىء، وقد رأى أن السيميائية تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملى هذه العلامات، فالثابت أن بيرس مؤسس "علم العلامات" (أو علم الإشارة، أوعلم السيمياء) (١)، وقد تأثر فيه بالبراجماتية، فعرف بـ"علم العلامات البراجماتى" (Pragmatic Semiotics, Pragmatique Sémiotique) (٢)، وقد حملت العلامة عنده طابعاً شمولياً متغيراً، وقد عدها كياناً ثلاثياً تتفاعل داخله العناصر التركيبية و الدلالية والبراجماتية فى إطار حركة دائمة تسمى "السيميوزيس" (Semiosis)، وقد طوره الفيلسوف الأمريكى تشالز موريس (Charles Morris) (٣)؛فجعله علماً عاماً، واستحدث رموزاً

---

١) مصطلح علم العلامة أو الإشارة(أو السيمياء) "Sémiologie"(الفرنسية) و"Semiotics"(الإنكليزية)، وهما من اللفظة الإغريقية "Sémion"، وتعنى: الإشارة أوالعلامة، وهنالك اختلاف فى دلالة المصطلح، فبعض العلماء استخدمه بمعنى علم الدلالة الذى يتناول كل الرموز الدلالية أوالدلائل أو العلامات في قلب الحياة الاجتماعية (الألفاظ والعلامات غير اللفظية)، والمشهور أنه يعنى الرموز اللغوية فقط، واستخدم مصطلح السيميوطيقا (Sémiotique) للدلالة على الإشارات أوالعلامات، واستخدم فى الاصطلاح العربى الحديث العلامات أوالإشارات، وهو جائز لمفهوم الاصطلاح بيد أنى أميل إلى لفظ "العلامات"؛ لمجيئه فى القرآن الكريم بهذا المعنى: (وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)[النحل: ١٦]، وبعضهم يستخدم: السيمياء أوالسيميائية، وهو من سوم، وليس من وسم، وقد ورد فى لسان العرب: والسُّومَةُ والسِّيمَةُ والسِّيماء والسِّيمِياءُ: العلامة.وسَوَّمَ الفرسَ: جعل عليه السِّيمة. وسمة بمعنى علامة بيد أنها من وسم مثل صلة من وصل خلاف اسم من سمو على الراجح، وجمع سمة سمات مثل صلات، وقد شابه اللفظ الإغريقى القديم(Sémion) اللفظ العربى فى اللفظ والمعنى، ولعله من الكلمات الأصيلة التى تداولتها اللغات القديمة، ويعنى مصطلح "العلامات": نظام السمة أو الشبكة من العلاقات النظمية المتسلسلة وفق قواعد لغوية متفق عليها في بيئة معينة، وعلم العلامة عند بيرس يشمل العلوم الإنسانية والطبيعية. ارجع إلى: charles senders Peirce: Ecrits sur le signe. Ed. Seuil, Paris,١٩٧٨,p.٣٢

٢) لقد استفادت التداولية من علوم : اللسان والسيمياء والمنطق والفلسفة وعلم النفس المعرفى وعلم الاجتماع وعلم الاتصال، وقد تأثرت فروعها بهذه العلوم، فـ "أفعال الكلام" مفهوم تداولى منبثق من مناخ فلسفى عام، وهو تيار "الفلسفة التحليلة" بما احتوته من مناهج وتيارات وقضايا، ومفهوم "نظرية المحادثة" انبثق من فلسفة "بول جرايسGrice" ، و"نظرية الملاءمة "، ولدت من رحم علم النفس المعرفى، وتعد الفلسفة أكثر تأثيراً فى التداولية من الفروع الأخرى، وروادها الأوائل فلاسفة، وأشهرهم أوستن و سيرل و جرايس .ارجع إلى: مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، محمد يونس على، دار الكتاب الجديد، ط٢٠٠٧م، ص١٣

٣) ظهرت التداولية نتيجة أبحاث فلسفة اللغة والمنطق الرمزى التى قدمها أقطاب مدرسة فيينا فريج (G.Frege) وكارناب (R.Carnap) وروسل (B.Russel) وفيتجينشتاين (L.Wittgenstein) وغيرهم حول الدلالة

لبعض الأشياء، ووضع نظام الشفرة، وقد استخدم موريس المصطلح البراجماتي بمفهومه الاصطلاحي الخاص في الدراسات اللسانية في حديثه عن علاقة العلامات بمؤوليها في كتابه "أسس نظرية العلامات" الذي نُشر عام ١٩٣٨م [١].

ويرجع تاريخ انتقال المصطلح (Pragmatics) [٢] إلى الدرس اللساني العربي إلى صدر

والعلاقات الكلامية والمعنى والمرجع والسياق، وصارت هذه الأبحاث أرضية خصبة لانطلاق نظريات لسانية تداولية (Pragmatique)، تفاعلت مع مفاهيم بيرس، وطورها تشارل موريس (Ch.Morris)، فظهرت معالم المنهج التداولي العام للعلامات.

- charles senders Peirce: Ecrits sur le signe. Ed. Seuil, Paris,١٩٧٨,p.٣٢

١) ارجع إلى: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص٢٦، وارجع إلى: الاتجاه التداولي في البحث اللغوي المعاصر، الدكتور محمود نحلة، ضمن الكتاب الخاص بعيد ميلاد الدكتور عثمان موافي الستين، "في اللغة والأدب" دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص١٦٧، وقد ظهرت البراجماتية في كتاب موريس "وصف نظام الإشارات".

Morris .C.W (١٩٣٨) foundations of the theory of singns,chicago university Press , Chicago

٢) طرحت ترجمات عديدة لمصطلح (Pragmatics) منها: اللسانية التداولية، التداولية اللسانية، التداولية، التداوليات، علم اللغة التداولي، علم المقاصد، علم التخاطب، التخاطبية، السياقية، المقامية، المقاماتية، والوظائفية (في مجال اللسانيات)، علم الذرائع، الذرعية، الذرائعية، الذريعيات، علم اللغة الذرعي، علم اللغة الذرائعي، مذهب الذرائع، والفائداتية أو الفوائدية، والغائية، النفعية، الانتفاعية، والعملية، واستخدم الأصل معرّباً: البراجماتية، البركماتية، البراغماتية ، والبرجماتيك، براغماطيقا، البراغماتكس، البراغماتزم، وأشهرها التداولية، واختار الدكتور محمد يونس علم "التخاطبية" مصطلحاً لهذا العلم للدلالة على مقصد استعمال اللغة، ويفضل بعضهم ترجمة كلمة (Pragmatics) بـ"المقاميات" من المصطلح التراثي المقام في قولهم المأثور: "لكل مقال مقام"، كما يسميها بعضهم بـ"الفعليات"؛ لأن اللغة نوع من الفعل، و يستخدم أخرون البراجماتيات و الذريعيات أو كلمة ذرائعيات. (ارجع إلى: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، يونس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ٢٠٠٤، ص١)، واختار بعضهم المفهوم: دراسة استعمال اللغة. (ارجع إلى: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، تونس، ١٩٨٩م، ص١١١)، وورد في المعجم تحت مادة: "Pragmatics": دراسة استعمالية، ويراد دراسة كيفية استعمال الناطقين للغة في حالات الخطاب الملموسة. وارجع إلى: معجم مصطلحات علم اللغة الحديث، إعداد مجموعة من الباحثين، مكتبة لبنان، ص٧٠، وارجع إلى: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشييه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سوريا ، ط١/ ٢٠٠٩م، ص٤٨و٢٠٩)، ومدخل إلى اللسانيات التداولية ، الجيلالي دلاش، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، سنة١٩٩٢ م ، ص٢٥، وارجع إلى: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي، د. أحمد محمّد قدّور، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م ، ص ٣٤ ، ودراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللساني

الستينات من القرن العشرين تقريباً، وهى الفترة التى ظهرت فيها البراجماتية اللسانية فى الدرس العربى، وترجع الترجمات الأولى إلى علماء المعاجم اللسانية فى هذه الفترة (١)، بيد أن المصطلح الفلسفى "Pragmatism" عرفته العربية بلفظه الدخيل (البراجماتية أو البرجماتية أو البرجمتية) من خلال البحوث الفلسفية التى قام بها بعض الباحثين المبعوثين لدراسة الفلسفة الحديثة فى الغرب ومن خلال ترجمة بعض أعمال وليم جيمز (١٨٤٢ . ١٩١٠م) . وأشهرها كتابه "Pragmatism"الذى ترجم إلى العربية فى النصف الأول من القرن العشرين . وبعضهم استخدم مصطلحات "الذرائعية" و"النفعية" و"العملية" ترجمة له، وقد رصدت ترجمة المصطلح فى حقل علم اللسان، والراجح . فيما علمت . أن الترجمة الأولى"علم الذرائعية" ثم"علم الفائداتية" (الفوائدية)، والترجمة الأولى من الناحية الدلالية غير دقيقة؛لأن الذريعة تعنى: الوسيلة المفضية إلى الشّىء، يقال: تَذَرَّع فلان بذَريعة أَى: توسَّل (٢)، والبراجماتية:

فى الوطن العربي ، الدكتور محمد حلمى هليل ، ندوة" تقدم اللسانيات فى الأقطار العربية"، دار الغرب الإسلامى، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١م، ص ٢٨٧.

١) ذكر د. دنحا طوبيا كوركيس أنه ترجمه قبل عقدين من الزمان إلى "الفائداتية"، والصواب لغوياً الفوائدية، (وحدد هذه الفترة بواحد وعشرين عاماً من تاريخ كتابة الموضوع فى الموصل فى العراق فى ١٦/١١/١٩٨٥م، ثم وجده مترجماً إلى "التداولية" بعد أن ترجمه، وهذا يعنى أنه ترجمه عام١٩٦٤م قبل الدكتور طه عبد الرحمن، وذكر أنه قال قرأ له ترجمات أخرى فى القواميس تتطابق مع المصطلح الأول فى الصيغة والمعنى، ولكنه لم يعدل عن ترجمته "الفائداتية"(الفوائدية)، وقد قال بعد أن اطلع على الترجمات العديدة التى ظهرت فى الثمانينات: "سأتمسك بترجمة المصطلح الأول (Pragmatism) إلى "الذرائعية"، كفلسفة، والثانى (Pragmatics) إلى "الفائداتية"، كمنهج تواصلى يسعى إلى تطوير الحياة البشرية من خلال فهمنا لجميع أدوات التواصل، وأهمها اللغة"، وبذلك تكون "التداولية" أو الفائداتية ترجمة بديلة مختصة بالجانب اللغوى، ويعد بهذا أول مترجم بيد أن ترجمته لم تنتشر، والاعتبار بالمشهور أولى لسهولة العمل به ولصعوبة رده بعد ذيوعه فى الخطاب .والقياس فى جمع فائدة: فوائد، والمصدر الصناعى منه: فوائدية. و الدكتور دنحا طوبيا كوركيس عراقى من الموصل، وهو أستاذ اللغويات للدراسات العليا حالياً فى إربد، الأردن، وله بحوث منشورة ومقالات على شبكة المعلومات. ارجع إلى: منتديات عنكاوا، المنتدى فى جامعة جدارا.

www.ankawa.com/forum/index.php?action=profile;u.

٢) لسان العرب، ذرع، يقال : فلان ذريعتى إليك أى: سببى وَصِلَتى الذى أتسبب به إليك، والذّريعة السّبب إلى الشّىء، والذرائع عند الفقهاء: الطرق المفضية إلى المفاسد – خاصة، وقيل: الأشياء الّتى ظاهرها الإباحة ويتوصّل بها إلى فعل محظور، وقال القرطبى فى تفسير الآية ١٠٤ من سورة البقرة: " والذريعة عبارة عن أمر غير ممنوع لنفسه يخاف من ارتكابه الوقوع فى ممنوع، وسدّ الذّريعة: حسم مادّة وسائل الفساد دفعاً لها إذا كان الفعل السّالم من المفسدة وسيلةً إلى مفسدة – وإن لم يُقصد بها المفسدة.

المنفعة التى تتحقق من الخطاب أو الإنجاز الفعلى، وقد ظهرت الترجمة الأخيرة (الفائداتية) فى صدر الستينات، والصواب لغوياً "الفوائدية"، ثم ظهرت "التداولية"، و صارت أشهر ترجماته، وقد ظهرت فى صدر السبعينات[1].

و قد ذكرت فى المقدمة أن المصطلح الدقيق (Linguistic Pragmatics)، وترجمته "البراجماتية اللسانية" و"التداولية اللسانية"، وأرى أن استخدامه بلفظه الدخيل (البراجماتية) أدق تعبيراً عن مفهومه؛ لأنه يحمل دلالته فى ثقافته الأصلية، ولا مقابل عربياً له يحمل دلالته الفلسفية الغربية التى تعنى تحصيل كل وجوه المنافع، والقرينة الوصفية (Linguistic) للتفرقة بينه وبين المصطلح الفلسفى (Pragmatism) [2]، وهى دلاله دخيلة على الثقافة العربية، و أرى أن أقرب الترجمات العربية إليه بمفهومه الغربى الذى يقوم على الغرض من الخطاب والمصلحة "النفعية" أو "علم الغاية"، وهو أقرب إلى تحصيل الغرض الحسى الذى يرتبط بمفهومه الفلسفى، و"الذرائع" لا تحمل هذا المعنى بل تعنى: الوسيلة والطريق إلى الشىء، وبعضهم اختاروا الأداتية، وآخرون استخدموا "علم المقاصد"، و "القصدية"، و"المقاصدية" [3]، ولفظا "القصد" و"المقصد" يتضمنان المراد من الاستعمال اللغوى المقيد

---

1) لقد ذهب بعض الباحثين إلى أن "التداولية" أول ترجمة طرحت فى العربية للمصطلح (Pragmatics)، والثابت أنها ليست أول ترجمة، بل سبقتها النفعية والذرائعية، والراجح أيضاً أن لفظ "التداولية" ظهر فى صدر السبعينات، وترجع هذه الترجمة. على المشهور. إلى الدكتور طه عبد الرحمن ١٩٧٠م، وذكر الدكتور طه هذا فى كتابه "فى أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، الدكتور طه عبد الرحمن، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، ط٢/ ٢٠٠٠م، ص٢٨، وارجع إلى: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، تونس ، ١٩٨٩م، ص١١١، واللسانيات وآفاق الدرس اللغوى، أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر، بيروت ، ودار الفكر ، دمشق، ط١ ، ٢٠٠١، ص٣٤.

2) يعد بيرس أول من استخدم البراجماتية فى الفلسفة الحديثة، وهو الذى أرسل المبدأ العملى فى هذه الفلسفة، فقد رأى أن تصورات الموضوع ماهو إلا تصور لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية ، ورأى وليم جيمس أن الحقيقة مطابقة الأشياء لمنفعتنا، لا مطابقة الفكر للأشياء، وأنه لا توجد حقيقة مطلقة فى الكون، وأن الأشياء حسب قيمتها الفعالة والعملية تفرض وجودها، وأن المنفعة العملية هى المقياس لصحة الشىء، وقد تبناها جون ديوى(١٨٥٩. ١٩٥٢م)، وقد رأى أن الفلسفة البراجماتية تختلف عن الفلسفة القديمة التى تبدأ بالتصورات، والنتائج تكون على قدر صدق هذه التصورات، ولكن الواقع مرجع الحقيقة فى البراجماتية، ولا توجد حقيقة أخرى تفرض نفسها على الواقع.

3) القصد والمقاصد جمع مقصد من مادة(ق ص د)، وهى تدور على معنى التوجه والنهوض نحو الشىء، والاعتماد

بسياقى اللغة والمقام بيد أنهما لايتضمنان المفهوم الفلسفى، وهما يرتبطان بمصطلح أصيل فى التراث الفقهى (المقاصد)، وقد تداوله الأصوليون والبلاغيون بيد أن استخدامه بالمفهوم النفعى الغربى يناقض دلالته الشرعية التى تعنى تحصيل المنافع الحسنة، وهو حط من دلالة المصطلح الإسلامى، والأصوب لغة القصد والمقصِد، ويمكن استخدامهما فى تحليل خطابنا البشرى فى ضوء العُرف اللغوى والسياقى، و"المقاصد" فى صيغة الجمع مخصوص بالنص الشرعى؛لأنه محكم وحمّال وجوه وله منافع دنيوية ودينية [1]، وأخشى أن يفسّر بعض الباحثين المقاصد بالمفهوم الغربى، أو أن يجتهدوا فى تحليل النص القرآنى أو الخطاب العربى فى ضوء النظرية البراجماتية الغربية، أو أن يتعسفوا فى تطبيق المنهج البراجماتى فى تحليل النص العربى بما يتضمنه من عناصر لا تلائمه ولا توافق عرف العربية فى القواعد والتعبير والدلالة.

والأَمّ الاتجاه والهدف وإتيان عين الشىء، (اللسان، ابن منظور، ط دار الحديث، م٩/٣٧٧، قصد)، ويراد به المعنى المستفاد من السياق اللغوى مقروناً بالسياق الخارجى، فالمقصد العمدة الذى يتوجه إليه الكلام ويرجع إليه.

١) المقاصد مصطلح أصولى قديم، وبعض المحدثين وخاصة المغاربة يطلقون عليه "علم المقاصد"، والقدماء يقيدون اللفظ بالإضافة"مقاصد الشريعة"؛ للتفريق بينها وبين مقاصد الخطاب البشرى، ويراد بالأول: الغايات أو الأهداف الشرعية النافعة فى حفظ مصالح الدنيا والآخرة المستفادة من سياق النص الشرعى، وهو عند الأصوليين: علم يُعنَى بالغايات التى رعاها المشرع فى التشريع، وهوالمقصد الأساسى أو"عمود الكلام و جماع مطالب الخطاب، فإليه مجرى الكلام، وهو المحصول والمقصود منه، فليس من أجزائه الترتيبية، ولكنه يسرى فيه كالروح والسر ، والكلام شرحه وتفصيله ، وإنتاجه وتعليله ، وربما يحسن إخفاؤه ، فلا يطلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتدبر فيه".انظر: دلائل النظام وتأويل الفرقان بالفرقان، حميد الدين الفراهى الهندى، نشر الدائرة الحميدية بالهند ، ط١/١٣٨٨هـ، ص١٦ ، وأشهر من تكلم فى المقاصد إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن عبد الله الجوينى، المتوفى سنة ٤٧٨ هـ وأبو إسحاق الشاطبى، المتوفى سنة ٧٩٠هـ، ومحمد الطاهر بن عاشور، المتوفى ١٣٧٩هـ/١٩٧٣م، والإمام الشاطبى له دور بارز فيه، فقد جمع مسائل هذا العلم، وأصَّل قواعده، وحَقَّق مباحثه، حتى قيل: هو مخترع علم المقاصد، ارجع إلى: الموافقات، الشاطبى، دار الفكر، ٢/٤، وما بعدها، وارجع إلى: مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، الدكتور محمد سعد ، دار الهجرة، الرياض، ١٤١٨ه، ١٩٩٨م، ص٢٧، وأنا الآن أعد بعون الله تعالى توفيقه كتاب"علم المقاصد" أحاول فيه تأصيل هذا العلم فى التراث، وأعتمد فيه على جهود الأصوليين والمفسرين والبلاغيين، والهدف منه أن يكون بديل البراجماتية والكشف عن كنوز التراث المجهولة وأن العقل العربى الإسلامى قادر على التجديد والابتكار والمعاصرة، والله تعالى من وراء القصد.

وقد استخدم بعض المحدثين مصطلح "المقاصد"، وأشهرهم الدكتور طه عبد الرحمن الذى تناول "علم المقاصد" عند علماء الشريعة[1]. وهو استخدام موفق فى هذا الموضع وغير موفق فى الحديث عن البراجماتية. واستخدم مصطلح "التداولية" فى ترجمة (Pragmatics) فى بعض مؤلفاته، وقد شاع "التداولية" فى الكتب والبحوث والأحاديث، ولا سبيل إلى استبدال لفظ يحمل مفهومه الدقيق به بعد شيوعه، وهو من جهة البناء مصدر صناعى من المصدر العام "تداول"، والعمل به فى حضرة المصدر العام مردود عند كثير من العلماء، والعمل به لضرورة الاشتقاق من الأسماء الجامدة و الاصطلاح فى موضع اللبس و للتفريق بين مفهومين (٢)، و يدل معناه فى العربية على التفاعل و التناوب، ويجوز اعتماده فى سياق التداول

---

١) ارجع إلى: تجديد المنهج فى تقويم التراث، طه عبد الرحمن، الدار البيضاء: المركز الثقافى العربى، ط/٢ (د.ت)، ص٩٨.

٢) المصدر العام أو الأصلى: اللفظ الدال على الحدث، مجرداً عن الزمان، مثل: عَلِمَ عِلْماً، نهض، نهوضاً، وفيه قياسى مطرد من الأفعال الرباعية والخماسية والسداسية، وسماعية محفوظة عن العرب، ومنها مصادر الفعل الثلاثى، ولا يجوز جمعه أو تأنيثه؛ لعموم دلالته على العدد والنوع، ويجوز جمعه فى استخدامه اسماً، فيجرى عليه حكم الأسماء فى الجمع والتأنيث، مثل: علم: علوم، واستخدام: استخدامات، والعمل بغيره فاحش فى: السرد: السرديات، فالأخير جمع: السردية: السرديات، والأفحش منه: السردانية والسردانيات والمسردية والمسرديات، وهى تفضح جهل مستخدميها.

والمصدر الصناعى: اللفظ الذى لحق به ياء المضعفة والهاء(التاء)التى تلحق بالأسماء؛لنقل اللفظ المعرب والمبنى إلى الدلالة على مجرد الحدث والجوهر من معنى لفظه، والهاء تلزمة(تاء النقل من الوصفية إلى الاسمية)؛ لئلا يلتبس بالاسم المنسوف إلية الذى يدل على الوصف دون الحدث، ويستوى فى هذا المعرب والمبنى مثل: إنسانى، حيوانى، كَمِّى، كيفى، جزئى، كلّى: الإنسانية، والمصدر منها: الحيوانية، الكمية، الكيفية، الجزئية، الكُلِّية، ويصاغ من الاسم الجامد مثل: الجبلية والرجولية والنسائية والنسوية، والمشتق مثل: الجاهلية، والشفّافية، والمبنى نحو: الأنانية والغيرية والبينية الدونية والتحتية والفوقية، وقد أفاد فى مجال المصطلح للتعبير عن المعانى الخاصة المأخوذة من لفظ أصحابها أوألقابهم كاليزيدية والدرزية والبهائية (أسماء فرق) والمانوية والماركسية، ومن الاسم المركب: الرأسمالية، ، وقد استخدمه العرب لمعان مخصوصة مأخوذة من لفظ الاسم مثل: الجاهلية، الأريحية، الفروسية، العبقرية، العبودية، الألمعية، الألوهية، الربوبية، الوحدانية، والرفاهية و الرفهنية، و وقعت الزيادة فيه لمعنى المبالغة مثل: الربانية(والربوبية مثل الحلولية) والوحدانية والروحانية و العقلانية والعِلمانية (من العِلم أوالعالمانية من العالم)، وشابهت بعض المصادر القياسية المصدر الصناعى، مثل: التربية والتعمية والتحلية والتخلية. وضرورة العمل به من المصدر العام للتفريق بين المعانى العامة والمعنى الاصطلاحى، مثل: العملية والنفعية والانتهازية والاشتراكية، التقدمية، والشيوعية، وهو فى جوهره يختلف عن دلالة المصدر العام فى دلالته على الخصوص، فليس عاماً فى دلالتة بيد أنه عام فى العدد والنوع، وقد استخدم للتفريق بين المصطلحات المترجمة

اللغوى كالحوار والمناقشة و المحاورة والمداولة بيد أنه يعنى وجوه الفائدة أو المعانى المستعملةِ فى سياق معين، ولا أدرى لماذا يسرف بعض المغاربة فى استعمال المصادر الصناعية تأثراً بالزيادة فى آخر الكلمة الفرنسية مثل: التداولية و المقاصدية والذرائعية، و المصدر العام "التداول" يغنى عنه، وليس فى استخدامه غموض أو لبس؟!(١).

وأرى أن المصطلح الدقيق للتعبير عن مفهوم المصطلح الغربى "البراجماتية اللسانية"؛ و لفظ التداولية غير دقيق هنا ؛ لأن هذه النظرية تحمل مفهوماً غربياً، فرأيت أن أستخدم اللفظ الأصلى الذى يحتفظ بدلالته الخاصة فى الوعى الغربى، والعمل باللفظ الدخيل عرف قديم للتعبير عن المفاهيم الدخيلة، وهذا شائع فى النظريات الدخيلة (٢).

وقد بدأ العمل بهذا المنهج فى الدرس العربى فى السبعينات، وتطور تطوراً سريعاً فى الثمانينات، وأصبح الآن على رأس الدراسات اللسانية والبلاغية. وقد ظهر فرع لسانى جديد (علم اللسان البراجماتى) تأثراً بنظرية أفعال الكلام فى البرجماتية اللسانية. ولكن ما كتب فى الأخير من قبل بعض المغاربة والشوام والمصريين ومن نقل عنهم يحتاج بعضه إلى نظر ومراجعة فى المصطلح والتطبيق، فبعض ما طرحوه من مصطلحات تخالف البنية والدلالة، و

نحو: (Agreement): الاتفاق والموافقة، و(Convention): الاتفاقية، والمعاهدة أوصكُّ ما اتُّفق عليه، هذا للضرورة، وليس قياساً، وقد أجاز مجمع القاهرة اللغوى صوغ هذا المصدر، لِسَدِّ حاجة العلوم والصناعات إلى ألفاظ جديدة تعبِّر عن معانٍ جديدة، وتعميم العمل به فى الاصطلاح باطل، والجائز للضرورة مختلف فى قياسه أو اطراد العمل به فى النظير.

١) المعنى المعجمى للتداول فى العربية الانتقال من حال إلى أخرى، يقال: دال يدول دوْلا و أدال الشىء: جعله متداولاً، وتداولت الأيدى الشىء تداولاً: أخذته مرة تلو مرة ، انظر لسان العرب ، ابن منظور، دار الحديث، مادة: دول، وقد اختاره كثير من الباحثين لما يتضمنه من دلالة على التفاعل والواقعية والممارسة و، وكلها معان يسعى هذا العلم إلى استكشافها فى نظام اللغة واستعمالها.ارجع إلى: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوى، أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ودار الفكر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠١م، ص، ٣٤، و معجم مصطلحات علم اللغة الحديث ، مكتبة لبنان ناشرون ، ص٧٠، المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات ، المنظمة العربية للتربية والثقافة ، تونس ، ١٩٨٩م، ص١١١، ورد تحت مادة "Pragmatics " دراسة استعمالية: دراسة كيفية استعمال الناطقين للغة فى حالات الخطاب الملموسة.

٢) الشائع فى ترجمة المصطلحات أن يترجم المصطلح إلى لفظ عربى يحمل مفهومه مثل البنيوية، أو أن ينسب إلى جهة أو فرد أو مكان أو موطن فيها ليس له مفهوم فى العربية، ويحمل دلالة ترتبط بمسماه مثل الماركسية، وقد يدل المصطلح على مفهوم يتعلق بالثقافة التى نشأ فيها مثل البراجماتية.

بعض التحليل لا يحتمله الخطاب القرآنى، وبعض العناصر التحليلية لا توافق عرف العرف العربية فى القواعد والأسلوب، ومرجع هذا الانزياح إلى التأثر باللغات الغربية التى ترجموا عنها وعدم وضع المقابل الدقيق والجهل بأصول الترجمة وقواعد اللغة وعرفها فى التعبير وسياقها الثقافى، والصعوبة الحقيقة تكمن فى النقل دون الاستيعاب والقدرة على التطبيق دون تجاوز جوهر الأصل وإجحافه ودون الخروج على مقتضى نظام اللغة المترجم إليها وثقافتها، وقد ترتب على الخلط فى المفاهيم أخطاء فى التطبيق والفهم، فقد خلط بعض الباحثين بين العناصر الفلسفية والمنطقية واللغوية والبلاغية، وخلطوا كذلك بين عرف النص العربى فى التعبير وبين أسلوب التطبيق فى اللغات الأوربية التى تخالف العربية فى القواعد والتعبير والأسلوب ومرجعية المفاهيم [1].

مفهوم البراجماتية اللسانية (التداولية):

اجتهد بعض العلماء فى تحديد مفهومها وموضوعها، و قد رأى "جرين " (Green) ١٩٨٩م و"بليكومور" (Blikmore) ١٩٩٠م أنها تهتم بدراسة اللغة الطبيعية أو لغة الخطاب اليومى المباشر، و رأى "أ.م. ديلر" و "ف. ريكاناتى" أنها تدرس استعمال اللغة فى الخطاب والكشف عن المقدرة الخطابية [2]، و تدرس معانى القول فى المقامات التخاطبية [3]، فهى

١) سوف أتناول هذه الجوانب فى موضعها من التطبيق، ومن هذه الآراء الخلط بين التفسير السياقى فى العربية والتفسير التداولى الذى يعتمد على فهم المتلقى دون قصد المتكلم، ومنها استبعاد المعنى المجازى؛لأنه لا يقوم على حقيقة عملية، ومنها استبعاد السياق الزمنى والمكانى فى النص التاريخى، وعدم مراعاة الفروق اللغوية والثقافية، و مستوى التعبير ومستوى إحكام النص، قال بعضهم: إن السيدة مريم عليها السلام ناقضت نفسها فى قوله تعالى: (إنى نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً)[مريم: ٢٦]، ففسر القول أنه الكلام دون الإشارة، وهذا لا يليق بتفسير النص القرآنى، وقد أشارت إليه بعد أن وبّخوها: (فأشارت إليه)[مريم: ٢٩]، وكان الكلام أولى فى الدفاع لو أنها تكلمت، والراجح من كلام المفسرين أنها عبرت بالإشارة، وأحالت القول إليه بالإشارة، وقد كان الصمت من الصوم فى ملتهم، وجاءت الإشارة فى سياق التعبير فى قول زكريا عليه السلام: (فأوحى إليهم)[مريم: ١١] بالإشارة وبالرمز[فى آل عمران: ٤١]، وهو تفسير القول فى الآية، وبعضهم أسقط على النص بعض التفسيرات الواقعية المعاصرة، وبعض الإسقاط السياسى كتفسير ما ورد فى قصة يوسف مع امرأة العزيز بما فى عصرنا من خلفيات سياسية.

٢) المقاربة التداولية، أرمينكو، ص٨. وارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب ، د. مسعود صحراوى ، ص ١٨ ت ٢٦ ، و مجلة "La pragmatique" ، العدد ٤٢ ، مايو (١٩٧٠م) ، دار لاروس .

٣) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، يونس، ص١٣

تهتم باللغة فى سياق الخطاب، و تدرس السمات الخاصة به قصد تأكيد طابعه التخاطبى، و وظيفة البراجماتية استخدام اللغة فى الخطاب والسمات المميزة التى تؤسس وجهته الخطابية فى صلب اللغة، و رأى "فرانسواز ريكاناتى "أن البراجماتية فرع من استعمال اللغة فى الخطاب[١]، ويعدها "فان جاك" تخصصاً يتناول اللغة على أنها ظاهرة خطابية و تبليغية واجتماعية، و يعد دراسة استعمال اللغة من مقدمة البراجماتية، وهو ما أكده "فارسشيرن" (Werschueeren) ١٩٨٧م الذى رأى أن التداولية يجب أن تضع دراسة استعمال اللغة من كل جوانبها فى مقدمة بحثها[٢]، ورأى "رودوف كارناب " أن التداولية قاعدة اللسانيات"[٣]، ونصل من هذه الآراء إلى أن التداولية لم تكتف بدراسة اللغة لذاتها كما فعلت البنيوية، بل تجاوزتها إلى دراسة "استعمال اللغة"، واستدعت عناصر أخرى مرتبطة بهذا الاستعمال وتابعة له، (وهى: المتكلم والمتلقى والكلام واللفظ والمقام والتواصل و الغرض)، والبراجماتية تدرس علاقة النشاط اللغوى بمستعمليه وأساليب استخدام العلامات اللغوية فى "الخطاب"، والسياقات والأنماط المقامية المختلفة التى ينجز ضمنها، و بحث عوامل نجاح التواصل فيه، و يدرس استعمال اللغة فى الخطاب وتوظيفها فى الأنماط التفاعلية، وكيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية فى صلب أحاديثهم وخطاباتهم، وكيفية تأويلها، والعلاقة بين مستخدمى اللغة (المتكلم والمتلقى) وعلاقتهما بالسياق التواصلى، والعلاقات التأثرية بينهما فى ضوء ما ينتجانه من حوار، فبعض الأشكال اللسانية لا يتحدد معناها إلا من خلال استعمالها ومعرفة القصد منها؛ ومن ثم تدرس التداولية اللغة الخَطابية والتواصلية[٤]، وتعتنى بفهم مستعملى اللغة

---

١) ارجع إلى: المذاهب الفكرية المعاصرة ، سماح رافع ، دار المعارف ، القاهرة ، د ت ، ص ٤٩ ـ ٥٢ . د . مسعود صحراوى، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة للطباعة، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص٥٠.

٢) التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ص٤١، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" فى التراث اللسانى العربى ، الدكتور مسعود صحراوى، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، لبنان ، ط٥ ٢٠٠٥ ، ص ٥.

٣) البراجماتية "La pragmatique"، فان. ف. جاك، ضمن الموسوعة العالمية، المدونة رقم١٥/١٩٨٥م

٤) ارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللسانى العربى، مسعود صحراوى، دار الطليعة، بيروت، ص ٢٠ ، والتداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار اللاذقية، ص٤١. ومقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس على، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص١٣ ، والمقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومى،

هذه الأنماط الخطابية، وتهتم بمنشئ الكلام (الخطيب، المتكلم) والسياق اللغوى والسياق الخارجى، فالتداولية تتجاوز البنية الخطابية السطحية إلى تقنية التواصل والسياق والقصد، و تدرس كيفية إنتاج المتكلم فعلاً تواصلياً أو فعلاً كلامياً فى إطار موقف كلامى ملموس ومحدد وفهمه أو تفسيره، و هنا يتجلى أثر نظرية الاتصال فى دراسة طرفى التواصل وقناته وسياقه.

وهدف البراجماتية اللسانية الرئيس دراسة اللغة فى حيز الاستعمال متجاوزة حدود الوضع الأصلى المباشر فى بعض السياقات التى لا يقصد فيها المتكلم الدلالة المباشرة من الكلام، بل يقصد المعنى السياقى غير المباشر، وهذه المعانى لا يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم اللغة فى سياق الاستعمال السياقى الذى يحدد قصد المتكلمين، والوضع اللغوى وحده لا يكفى لتحقيق هذا المعنى [1]، فبعض المعانى الثانوية للتعبير كالسخرية والاستنكار والمدح والذم تستفاد من علاقته بالسياق الخارجى [2]، وتدرس كذلك الأساليب الأدبية الخاصة التى يوظفها الكاتب فى عمله الإبداعى ووجوه تأويلها والقصد منها، ويعد القصد فى مقدمة

بيروت، ص٢٦، وعلم التخاطب الإسلامى، محمد محمد يونس على، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص ١٤.

١) الوضع اللغوى أصل وضع اللفظ المصطلح عليه، ويسمى المعنى المعجمى والحرفى والسطحى، والصواب معنى اللفظ العام، والمعنى السياقى الذى يرتبط بالسياق الخارجى ، ويفهم فى ضوء علاقة المتكلم بالمتلقى وعلاقتهما بموضوع الحدث، مثل عبارة: السلام عليكم، المعنى الأصلى: التحية، وبعض المترجمين غير الواعين بالتعبير العربى، يسمون هذه المعنى المباشر من السياق اللغوى المعنى السطحى والدلالة السطحية، وليس بمعنى سطحى فى العربية بل أصلى، ويرتبط به المعنى المجازى أو الثانوى، أو معنى المعنى، وهذه العبارة قد تؤدى معانى أخرى ترتبط بالسياق الخارجى، مثل: الوداع و الاستئذان و التهكم والاستحسان، وهى معانى يكتسبها التعبير من طبيعة السياق الخارجى وثقافة المجتمع والعلاقة بين طرفى الاتصال، ويبقى معنى السياق اللغوى الأصل، وإطلاق المعنى الحرفى عليه غير صحيح، فالمعنى الحرفى يجافى معنى السياق اللغوى الذى يرتبط بعلاقة الكلمة بما جاورها فى التركيب ووظيفتها فيه، فكلمة "السلام" يختلف معناها باختلاف السياق اللغويمثل: السلام عليكم، السلام بين الشعوب، (لهم دار السلام)، مبادرة السلام (المصالحة)، مدينة السلام من أحياء القاهرة.

٢) مقدمة في علمى الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص١٣، ومثال هذا قوله تعالى: (إنك لأنت الحليم االرشيد) [هود : ٨٧] أى: عند نفسك بزعمك، ومثله في صفة أبى جهل: (ذق إنك أنت العزيز الكريم) [الدخان: ٤٩] أى: عند نفسك بزعمك، لا يراد ظاهر معناه المباشر بل معنى سياقى فى ضوء العلاقة بين المتكلمين و المخاطب، وهو معنى السخرية، وهذا من المفارقات فالمراد خلاف المعنى المباشر.

بحثها أيضاً لتأثرها بالفلسفة العملية التى تهدف إلى الفائدة، وهذا يفهم من تحليل ما يقصده المتكلمون من خلال ما يستخدمونه من تعابير فى سياقها العام، فالمقصود دراسة المعنى الذى يقصده المتكلم، وليس المعنى التركيبى (الحرفى)، وتعنى بتأويل ما يقصده المتكلمون من وراء أقوالهم فى سياق معين، وأثر السياق فيما يقال اعتماداً على نوع الأشخاص الذين يخاطبونهم ومكان الخطاب وزمانه و ظروف إنتاجه [١].

وتميز البراجماتية اللسانية بين معنيين فى التعبيراللفظى (الفعل التواصلى اللفظى): الأول. معنى الجملة الإخبارى. والثانى. القصد التواصلى أوغرض المتكلم، وهذا من خلال العناية بآثار الاستعمال و أثر السياقات المختلفة فى المعنى، وهو موضوع البراجماتية اللسانية، ويتبين من هذا الفرق بين موضوع البحث فيها وموضوع البحث فى علم الدلالة الذى يبحث فى المعنى اللفظى.

وقد تبنت البراجماتية منذ نشأتها بحث علاقة العلامات بمؤوليها فى سياق الاتصال، ومن ثم اتجهت نحو سياق اللغة الاستعمالى دون دراسة بنية اللغة ونظامها القواعدى وأساليبها، وهو ما يعرف فى العرف الغربى بدراسة علاقة الدال بالمدلول وعلاقة الدلالة بقواعد النحو وعلاقة العلامات بالتركيب النحوى، ولم تدرس علاقة المتكلم باللغة و بالمتلقى خلاف ما يتوهم بعض التداوليين العرب، واكتفت بدراسة استعمال اللغة فى السياق، واعتدت بمظاهر التأويل التى يستوعبها السياق الاستعمالى دون السياق اللفظى، فالجملة تحتمل معانى سياقية خارجية، ومن ثم تستعين البراجماتية بمعطيات العلوم الإنسانية التى تساعد فى التفسير، وقد استوعب البحث العربى المتقدم كل هذه الجوانب دون إقصاء شىء منها، بل اعتمد البنية اللغوية وكل العناصر التى ساهمت فيها من داخل اللغة وخارجها، و سبق المسلمون غيرهم فى دراسة السياق والقصد، ولم يفصلوا دلالة السياق اللغوى عن السياق الخارجى، فالأخير يعيّن قصد الأول.

---

١) ارجع إلى: عندما نتواصل نغير، عبد السلام عشير، ص٣٥: ٣٧

نشأة النظرية البراجماتية اللسانية (١):

لقد كانت دراسة اللسان من مقدمات البحث الفلسفى منذ أن بدأ فلاسفة الإغريق دراسة المعنى، وقد تأثرت المرحلة الأولى من البحث فى عصر النهضة الأوربية ببعض معطيات الفلسفة القديمة (٢)، فاجترت بعض أطروحاتها، وتأثر بها بعض اللسانيين، وبعض الدراسات التقليدية اهتمت بالأصوات وقواعد اللسان، وبعضها اهتم بدراسة اللغات ذات الصبغة الدينية مثل اليونانية والرومية واللاتينية ثم توسعت قليلاً، فدرست السنسكريتية بيد أنها ترفعت عن دراسة اللغات الجديدة التى عدتها لهجات شعبية مثل الإنجليزية والفرنسية والأسبانية، والتطور اللسانى الحقيقى فى الغرب فى القرن التاسع عشر عندما وضعت المناهج البحثية (التاريخى والمقارن والوصفى).

وقد ظهرت بعض الاتجاهات الحديثة التى أثرت فى اللسان، وأكثرها تأثيراً فى العقل الأوربى "الواقعية" التى نشأ فى كنفها المنهج التجريبى الذى أثر فى بعض العلوم النظرية (علوم الاجتماع والنفس واللسان)، وكان له أثر مباشر فى ظهورالبنيوية، وقد نجح رائدها دى سوسير (٣) فى تحرير علم اللسان من العلوم الفلسفية والاجتماعية والنفسية، فجعله علماً

---

١) مصطلح (Pragmatique Linguistique): البراجماتية اللسانية التسمية الدقيقة لما يعرف بالتداولية، وقد اعتمدت لفظها الدخيل؛لارتباط مفهومها بالثقافة المادية، ومذهبى فى هذا أن المصطلح الذى يرتبط بثقافته وليس له نظير فى الفكر العربى والفكر الإسلامى يبقى على لفظه الدخيل؛ليكون لفظه الأجنبى دليلاً على شذوذه فى الثقافة العربية مثل معناه الذى لم يقبل التعريب، وبعض المترجمين استخدموا "البراجماتية" دون تعريبه، ومنهم الزميل الدكتور سعيد بحيرى فى ترجمة كتاب "تطور علم اللغة منذ ١٩٧٠م"، لجرهارد هلبش فى حديثة عن الفرع اللسانى الجديد "علم اللسان البراجماتى".

٢) يعد سقراط أول فيلسوف بحث المعنى بحثاً علمياً، وقد وجه جهده إلى مناقشة المعانى المختلفة للمبادئ العقلية الكامنة وراء الظواهر السلوكية، للوقوف على المعنى الواضح السليم لتلك المبادئ والمفاهيم التى يصدر عنها الناس فى سلوكهم، وهنالك مدارس فى المعنى منها "المدرسة الشيئية" التى تجعل المعنى حقيقة قائمة بذاتها فى العالم الخارجى. و "المدرسة التصورية "التى تجعل المعنى تصوراً ذهنياً قائماً فى عقل الإنسان، و "المدرسة الاسمية" التى تجعل المعنى كائناً فى دلالة اللفظ على مسمياته الجزئية، و "المدرسة البراجماتية" التى تجعل المعنى قائماً فى طريقة السلوك إزاء لفظ معين، فإذا كان هناك تجريدٌ، فهو فى طريقة السلوك، وليس لصفات الأشياء.

٣) فردينان دى سوسير Ferdinand de Saussure (١٨٥٧ :١٩١٣م) عالم لغويات سويسرى ولد فى جنيف، وهو الأب الروحى لمدرسة البنيوية في علم اللسان والمؤسس لها، و يعد من أشهر علماء اللغة فى العصر الحديث، وقد اتجه نحو دراسة اللغات دراسة وصفية باعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية، وكانت اللغات تدرس دراسة تاريخية، وكان

مستقلاً يقوم على أسس لسانية خالصة، وجعل موضوعه لسانياً خالصاً، فاستبعد منه الجوانب الفلسفية والمنطقية، وجعل الجوانب الاجتماعية والنفسية من اختصاص علم الاجتماع والنفس، فهى عنده خارج علم اللسان، ولكنه تأثر فى دراسته اللسانية بما ساد فى عصره من اتجاهات مادية خالصة تأثرت بالنهضة العلمية التجريبية والفلسفة المادية، فقد هيمنت الواقعية ومناهج العلوم الطبيعية التجريبية على الفكر الأوربى، فأخذت الدراسات اللسانية طابعاً مادياً شكلياً فى دراسات جماعة النُّحاة الجدد الذين تأثر بهم دى سوسير، فقد اهتموا بالجانب الطبيعى (الفيزيقى) الحسى فى اللسان، وهو الأصوات، فبحثوا تطورها التاريخى، وطرحوا قانوناً عاماً فى النظام الصوتى لا يقبل الشذوذ، واستبعدوا المعنى من البحث؛ لأنه - حسب رؤيتهم - خارج مجال البحث العلمى التجريبى الذى أخضعوا له البحث اللسانى، ولعل هذا الموقف مرتبط بالخلفية القديمة عن الفلسفة التى استأثرت بدراسة المعنى لارتباطه بالفكر، وقد رفضوا بعض معطيات الفلسفة النظرية والعقلانية المثالية، واستبعدوا كذلك الجوانب الاجتماعية والنفسية، وقد عد علماء الاجتماع اللسان جزءاً من دراسات علم الاجتماع بل جعلوه من مقدماته، وكذلك علماء النفس جعلوه من الدراسات النفسية، فرفض النحاة الجدد التوجيهات الفلسفية فى اللسان والمعايير المنطقية الخالصة التى أخرجت اللسان من طبيعته الصوتية الفيزيائية لخدمة قضايا فلسفية، ودرسوا اللسان دراسة تاريخية لمعرفة تطوره الصوتى، وأصّلوا المنهج التاريخى من خلال الدراسات الصوتية بيد أنهم حاولوا وضع قوانين لغوية صارمة يُعمل بها فى كل الألسنة دون اعتبار اختلافاتها، وتوسعوا فى العمل بالمنهج التجريبى فى معرفة بعض قضايا اللسان، فحملت أعمالهم طابعاً مادياً تأثراً بالفلسفة الواقعية، وهذا من هناتهم، وقد كان العالم اللغوى فرناند دى سوسير على

السبب في هذا التحول الجديد فى دراسة اللغة اكتشاف اللغة السنسكريتية، وقد ساهم فى تطوير العديد من نواحى اللسانيات فى القرن العشرين، وكان أول من عد اللسان فرعاً من علم أشمل يدرس الإشارات الصوتية، و اقترح تسميته بـ"semiology"(علم الإشارات: السيميوطيقا)، وقد ارتبط مصطلح السيميولوجيا (Semiology) بدى سوسير إذ يستخدم ليشير إلى العرف السوسيرى (Saussurean tradition) فى الترميز وارتبط مصطلح السيميوطقيا (Semiotics) بتشارلز بيرس، يشير إلى العرف البيرسى (Peircean tradition)، ولكن الأشهر فى الاستعمال مصطلح السيميوطقيا، ومقابلة الدقيق فى العربية "علم العلامات"، وهو أدق من الإشارة التى تعنى الإحالة، إلى جانب أنه مصطلح قرآنى : (وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ)[النحل: ١٦]

صلة ببعض أعضاء مدرسة النُحاة الجدد وتواصل معهم علمياً، واستلهم منهم بعض أفكاره اللغوية التى أصل بها منهجه اللسانى البنيوى، فجعل اللسان علماً مستقلاً عن علوم الفلسفة والاجتماع والنفس بيد أنه تأثر بالواقعية الأوربية فى معالجة قضايا اللسان، فاعتد بالشكل اللغوى اللفظى دون المعنى متأثراً بالفلسفة البنيوية التى اشتهرت فى علم اللسان دون الحقل الفلسفى، ولم يدرس تطور الدلالة وعلاقة اللغة بالمجتمع ومقاصد المتكلم، وقيل إنه تأثر فى هذا بالنحاة الجدد غير أنه توسع فى دراسة اللسان، فدرس الأصوات والأبنية الصرفية ووظائف الوحدات الصرفية والتراكيب، واعترف بوجود النظام العام فى اللسان وطبيعته المادية وبحث نظام العلامات فى اللسان وعلاقة العلامة بالمعنى بيد أنه استبعد دراسة المعنى من البحث اللسانى لما ساد فى أوربا أن المعانى من اختصاص الفلسفة النظرية، وهذه كله إضافة جديدة فى الدراسات الغربية، فعد "دى سوسير" به رائد علم اللسان الحديث، وهذا لا يسقط عنه تقصيره فى دراسة المعنى والسياق وإسرافه فى القيمة المادية للفظ والتركيب، وقد ذكرت هذا لوجود صلة بينه وبين البراجماتية اللسانية (التداولية)، فقد تأثرت بالنزعة المادية الحسية فى معالجة غرض الاتصال اللسانى بيد أنها استوفت الجانب السياقى الذى استبعدته البنيوية من بحثها وعدته خارج علم اللسان، فقد عالجت البراجماتية تقصير البنيوية فى دراسة الاستعمال اللسانى فى السياق الخارجى ورد فعل المتلقى وفهمه بيد أنها لم تهتم بدراسة قواعد اللسان وأنماط التراكيب وأثرها فى المعنى، وقد عالج هذه العيوب التى ذكرتها المتأخرون من المدرستين، وهما يشتركان فى تأثرهما بالفلسفة الواقعية التى اتخذت المنهج التجريبية أساساً لها فى معالجة القضايا النظرية وغير النظرية.

والبحث اللسانى العربى القديم لم يفصل الجانب اللفظى الطبيعى (الفيزيائى) عن المعنى فى التركيب، فوضع اللفظ فى الجملة بسبب من معناه، ولم يتحيز علماء العربية لجانب دون الآخر من وجهى اللسان (اللفظ والمعنى)، ولم يستبعدوا واحداً منهما غير أنهم قدموا المعنى على اللفظ الذى جىء به رمزاً له، ولا شك أن الأفكار التى تتبعها المعانى تسبق اللفظ، وكذلك الأشياء فى الواقع والوجود الذهنى، فالألفاظ لاحقة على وجود المعانى والأعيان، ولا يفترض وجود لفظ قبل مسماه، فالوجود فى الحس، والذهن سابق على المواضعة اللفظية كمثل تسمية الطفل بعد العلم بوجوده، وما يسمى معنى منقلب فى أصله عن عين ثم تجرد عنها، وغفل الناس عن الأصول بالتقادم، فتجردت عن أصولها الحسية، ولهذا نجد كثيراً من

الألفاظ تطلق على عين ومعنى، ولعل هذا المراد من قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلائِكَةِ﴾[البقرة: ٣٤]، وهى أسماء الأشياء فى الواقع، وقد غفل بعض المفسرين عن دلالة الفعل "علّم" هنا الذى يعنى القدرة الذهنية على التحصيل المعرفى ثم الأداء (فلما أنبأهم بأسمائهم)، وهو منبعث عن فهم بدليل اعتراف الملائكة بأنهم وقّافين عند ما يتعلمونه: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَعِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾[البقرة: ٣٢]، وأن هنالك زيادة فضل و ابتكار جعلهم يعترفون ضمنياً بتميز آدم فى المعرفة. والأسماء هنا رمز البيان أو الإعراب قال تعالى: ﴿ خَلَقَ الإِنسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾[الرحمن]، والتعليم يعنى الاكتساب لا التوقيف الذى قال به بعض العلماء فى تفسير هذه الآية، فالله تعالى وهب آدم التبيين أو الإعراب، وهى ملكة عقلية أداتها اللسان، والتبيين قيد السياق، والآية تشير إلى أن الأسماء هنا بدء التعلم، وأنها كانت رموز أعيان ثم تجردت عنها المعانى، واشتقت منها أحداث الأفعال، فالثابت أيضاً أن الأفعال اشتقت من لفظ الأسماء وأحداثها من معانيه، وهذا عندى يرجّح أن الأسماء أصل اللغة - والله أعلم - والهدف من تعلم الإنسان البيان الإعراب عن القصد على نحو ما ذكرته فى تفسير تعلم آدم، وعملية الإنباء تعبير عن قصد المتكلم، ودور المتلقى التلقى وفق قصد القائل فى الخطاب المباشر، وفهم القصد الصحيح يتوقف على وعى المتلقى بمراد الخطاب وسياقه، وهو مستفاد من الآية، فالملائكة داخل سياق الإخبار، وجاء تعقيبهم عن فهم عين القصد.

وأرى أن "الأفعال" فى الأصل تولدت عن الأسماء؛ للدلالة على معنى الحدث الواقعى وغيره، وهى نتيجة تحديث العقل اللغة وتطويرها وتفاعل المجتمع، وهو ما غفلت عنه "نظرية أفعال الكلام" فى البراجماتية اللسانية، فقد عالجت أنواع الأفعال فى الواقع، ولم تتناول طبيعتها الحسية التى ترتبط بأحداث فى الواقع أو خارج اللغة، وجعلت مرجع الحقيقة وعى المتلقى دون المتكلم والحدث الخارجى، فالمتلقى يقدرالقصد ويعكس وعيه أويسقطه على تفسير قصد الخطاب.

والمنهج البراجماتى اللسانى من المناهج الحديثة فى البحث اللسانى، وما زالت الدراسات "التداولية" فى مهدها وفى مرحلة تطورها وتوسعها، والباحثون لم يتوصلوا إلى رؤية موحدة فى تنظير التداولية ومنهج العمل بها لتنوعها وتداخلها مع فروع معرفية أخرى و لاختلاف

وجوه العمل بها غير أن اللسانيين استطاعوا توظيفها وحصرها فى تحليل الخطاب التواصلى ووظائف اللغة داخله وخصائصه الخطابية والتبليغية والاجتماعية وبحث العلاقة بين الأدلة ومؤوليها فى ضوء الإنجاز التواصلى، وأثر هذا فى التأثير والإقناع.

ويرجع ظهور البراجماتية اللسانية فى الغرب إلى عاملين:

العامل الأول فى ظهورها. السيمياء البراجماتية (Pragmatic Semiotics) التى أرساها الفيلسوف الأمريكى تشارلز ساندرز بيرس (١). وقد طورها تلميذه موريس. وقد ظهرت

---

١) كان بيرس منشغلاً بمجال تخصصه وما ارتبط به، وقد ترك أعمالاً تدل على سعة علمه وانشغاله بالفلسفة والمنطق والرياضيات، فقد كتب كثيراً من المقايل وألف بعض الكتب وألقى بعض المحاضرات، وأبرز أعماله علم العلامات الذى تأثر فيه برؤيته الفلسفية، وقد ظهر كتابه "وصف نظام الإشارات" فى ١٨٧٠م، وهو الذى تضمن "نظرية السيموطيقا"، وظهر كتاب "فلسفة الإشارات" ١٨٨٤م، وله كتب ومحاضرات ومقالات فى المعرفة البراجماتية(الأبستمولوجيا العملية)منها: مقاله الأول فى ١٨٦٨م، بعنوان "أسئلة متعلقة بملكات الإنسان"، وهو المفتاح إلى فلسفته البراجماتية، ثم نشر مقاليه: "تثبيت الاعتقاد" و"كيف نوضح أفكارنا"، وقد أعلن فيهما مذهبه المعرفى البراجماتى، وكتب مقاله الرافض للأبستمولوجيا الديكارتية بعنوان"بعض نتائج العجز"، ونشر فى ١٨٧٨م مقاله "نظام الطبيعة"، ومقال "اختلافات صغيرة حول الحواس" فى العام ١٨٨٤م ، ومقاليه : " عمارة النظريات" الذى نشره فى العام ١٨٩١م و " مبادئ الضرورة" الذى نشر فى ١٨٩٢م، وألقى فى عام ١٩٠٣م محاضراته فى جامعة هارفارد حول البراجماتية، والتى دافع فيها عن الأساس الأبستمولوجى للبراجماتية، وكتب ثلاثة مقايل، وهى: "ما هى البراجماتية" فى العام ١٩٠٥م و "قضايا البراجماتية" فى العام ١٩٠٥م، و"دفاع عن البراجماتية"فى عام ١٩٠٦م، و قد تناول فيها الأساس الأبستمولوجى للبراجماتية ودافع عن الإطارالبراجماتى للأبستمولوجيا، وكتب فى الأبستمولوجيا الرياضية مقاله "منطق التناسب" الذى ظهر١٨٧٠م، ودرس فيه نظرية، و جاءت محاضراته ومقايله التى حملت عنوان "إيضاحات حول منطق العلم" فى الفترة(١٨٧٧-١٨٧٨م)، وقد ركز فيها على البراجماتية والإحصاءات، وكتب كتابه "الرياضيات المبسطة" فى عام ١٩٠٢م.وكتب فى الرياضيات البحتة وفى الأسس المنطقية للرياضيات، وكتب بيرس فى الرياضيات "مبادئ جديدة للرياضيات من وجهة نظر أصيلة"، ونشر فى ١٩٧٦م ، وألقى فى الأبستمولوجيا محاضراته "أسس سلامة القوانين المنطقية" فى ١٨٦٩م، وتلاها محاضراته فى هارفارد حول"علماء المنطق البريطانيين"، وكتب فى المنطق كتاب"دراسات في علم المنطق" فى ١٨٨٣م، وكتب مقاله"احتمالية الاستقراء" فى ١٨٧٨م، وتلاه فى السنة ذاتها"الاستنباط ، الاستقراء والفرضيات"، و محاضراته فى المنطق فى "جونز هوبكنس" فى الفترة من ١٨٧٩ إلى ١٨٨٤م . وصدرمقاله "جبر المنطق" فى ١٨٨٠م ، و" نظرية الاستنتاج الاحتمالى" فى ١٨٨٣م، و"حول جبر المنطق"، وكتب "قانون العقل" فى ١٨٩٢م، و ألقى محاضرات "محاضرات فى الاستدلال ومنطق الأشياء" فى ١٨٩٨م بدعوة من صديقه"وليم جيمس" فى كيمبريدج، وكتب "القاعدة الأولى للمنطق" فى ١٨٩٩ يعالج فيها معوقات البحث، وألقى " محاضرات لول ومفردات علم المنطق"١٩٠٣م، وترك مخطوطات لم تنشر، ونشرله

البراجماتية فى أعمال بيرس الفلسفية والسيميائية، فقد كتب مقالات فى المعرفة البراجماتية، و وقد ظهر كتابه "وصف نظام الإشارات" فى ١٨٧٠م، وظهر كتابه "فلسفة الإشارات" ١٨٨٤م ، وقد تأثر بـ"كانت"والمنهج التجريبى فى رؤيته الجديدة فى الربط بين اللغة والواقع، وقد رأى أن النظام السيميائى عبارة عن مثلث تمثل الإشارة فيه الضلع الأول، وهو الذى له صلة حقيقية بالموضوع الذى يمثل الضلع الثانى المحدد للمعنى الذى يمثل الضلع الثالث، فالمعنى- عنده . إشارة تعود إلى موضوعها الذى أنتج المعنى، وركّز بيرس على الوظيفة المنطقية للإشارة خلاف "ديسوسير" الذى ركز على الوظيفة الاجتماعية، وتعد الوظيفة المنطقية جوهر الفلسفة التحليلية، وقد ظهر مفهوم "الفعل اللغوى" فى مقال بيرس المشهور"كيف نجعل أفكارنا واضحة؟ " الذى نشره فى عام (١٨٧٨م)، وهو امتداد مقاله "تثبيت المعتقد" الذى نشره عام (١٨٧٧م)، وكتب بعد عامين من مقاله "تأثير الأفكار فى الأفعال"، و قدعالج مفهوم الأفعال فى سبع مقالات بعنوان "محاضرات فى البراجماتية"، وقد ربط فيها بين البراجماتية والظواهر الوجودية العينية (Phinominolgie) (١)، وذكر أن المعيار الحقيقى للمعنى يجب أن لا يشير إلى الفعل بل إلى الغاية القصوى التى تحكم هذا الفعل.

وقد واصل تلميذه الفيلسوف الأمريكى تشالز وليام موريس (١٩٠١: ١٩٧٩م) (٢) البحث

الفيلسوف الأمريكى "هوسر "بعض أوراقه بعنوان "أوراق بيرس".

١) والفينومينولوجيا(phinominolgie)علم الظواهر الوجودية: العودة إلى ذات الأشياء، ودراسة الظواهر من حيث اقترانها بأسباب حدوثها، وتدرس جوهر الوجود وما يدركه الوعى عند هوسرل، يريد به منهج دراسة الظواهر التى تطابق الجوهر، أوالظاهرة التى يتجلى فيها الجوهر، ولكن هنالك رأى يرى أن الظواهر الحسية التى نراها فى الشىء ليست مواضيع للمعرفة بل الجوهر الذى يكمن وراء الشىء فى وعى من يراه، فمعرفة الشىء إدراك كيفية استخدامه، والشىء فى ذاته غير كاف للمعرفة، وهو مذهب كانت، ولكن سارتر وهايدغر رأيا أن العالم مركب من ظواهر حسية فقط، وليس خلف هذه الظواهر جواهر، لا وجود لها.

٢) ارجع إلى: آفاق جديدة في البحث اللغوى المعاصر، محمود أحمد نخلة، ص١٧٨، محاضرات فى المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان بوقرة، ص١٧٨، واللسانيات العربية الحديثة، مصطفى غلفان ، المغرب / ١٩٨٨ ، ص ٢٤٦، ومدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلانى دلاش، ترجمة محمد يحاتن، ص٩، لقد ظهرت التداولية نتيجة أبحاث فلسفة اللغة والمنطق الرمزى التي قدمها أقطاب مدرسة فيينا فريج (G.Frege) وكارناب (R.Carnap)وروسل (B.Russel) وفيتجينشتاين (L.Wittgenstein) وغيرهم، حول الدلالة والعلاقات الكلامية والمعنى والمرجع والسياق، وصارت هذه الأبحاث أرضية خصبة لانطلاق نظريات لسانية تداولية(Pragmatique)، تفاعلت مع مفاهيم بيرس، وطورها شارل موريس (Ch.Morris)، فظهرت معالم المنهج التداولى العام للعلامات. charles

السيميائى [١]، وحقق فيه نتائج جعلته إمامه، وطور البراجماتية اللسانية، وعد مؤسسها الحقيقى، وقد تأثر بالفلسفة التحليلية [٢] فى دراسة اللغة، وقد ظهرت التداولية عنده فى تقسيمه علم الرموز إلى ثلاثة فروع [٣]:

الأول. علم التركيب (تركيب الجملة: Syntax أو Syntactics): دراسة العلاقة الشكلية بين تركيب الجملة.

الثانى. علم الدلالة (Semantics): دراسة علاقة الرموز بالأشياء التى تشير إليها.

الثالث. البراجماتية اللسانية (Pragmatics): دراسة علاقة الرموز بمفسرى هذه الرموز

---

senders Peirce: Ecrits sur le signe. Ed. Seuil, Paris, ١٩٧٨, p. ٣٢.

١)"علم العلامات" عربى قديم، والعرب بحكم بيئتهم جعلوه من المعارف الأولية فى اقتفاء الأثر ومعرفة الطريق والسفر ليلاً ومعرفة النسب وتعريف اللقطة والاستخبار فى السرقة والعسس ومواطن الكلأ (العشب) والماء، وعرف صاحبه بالرائد والعراف والمنجم والوارد والمستطلع، وغير هذا مما احتفظ به تراثنا ومما توارثناه بيد أن العرب لم ينظّروا ولم يمنهجوا معارفهم الدقيقة، وقد تناولوا بعض علومهم الخاصة والعامة فى إطار موسوعى، ولم يسموا مع اكتشفوه فلسفة مثل الغرب؛لاعتقادهم بسبق علم الله له، ومن ثم ليس بجديد بل آية جديدة كانوا يجهلونها، والقرآن الكريم حافل بالإشارات والعلامات التى دلت دلالة اللفظ على المعنى، وجيء بها فى سياق أبلغ من اللفظ، ، وأول من تناول علم العلامات من الغربيين بيرس ودى سوسير، وتلميذ بيرس الذى أسهم فى تطوير السيميوطيقا الأمريكى تشالز وليام موريس(Charles William Morris)(١٩٠١: ١٩٧٩م)، ورولان بارت (Roland Barthes)(١٩١٥: ١٩٨٠م)، والجيرداس جريماس (Algirdas Greimas) (١٩١٧: ١٩٩٢م)، ويورى لوتمان (Yuri Lotman) (١٩٢٢ – ١٩٩٣م) وكريستيان متز (Christian Metz) (١٩٣١: ١٩٩٣م)، وأمبرتو إكو (Umberto (Eco) (ولد١٩٣٢ م) وجوليا كريستيفا (Julia Kristeva) (ولدت ١٩٤١م).

٢) ترجع جذور الفلسفة التحليلية إلى تيار ثار على الفلسفة المثالية بزعامة الفيلسوف الألمانى وعالم المنطق الرمزى "جوتلوب فريجه "(١٨٤٨ – ١٩٢٥م)، وتلميذه النمساوى فيلسوف اللغة "لودفيج فتجنشتاين" (١٨٨٩ – ١٩٥١م) فى تأسيس ما عرف بالفلسفة التحليلية، والفيلسوف الإنكليزى " برتراند رسل "(١٨٧٢ – ١٩٧٠م)، وهو أحد المؤثرين فى كارناب الذى تتلمذ عليه مباشرة وعلى فتجنشتاين، وقد ثار هذا التيارعلى الفلسفة المثالية (أوما عرف بالميتافيزيقا).

٣)ارجع إلى: مبادئ فى علم الدلالة، رولان بارت، ترجمة محمد البكرى، كتاب الجيب، منشورات دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط٢/ ١٩٨٦م، ص٣٥، والالسنية، علم اللغة الحديثة، قراءات تمهيدية، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط١ / ١٩٨٤ ص ٤٣، والالسنية علم اللغة الحديثة ، المبادئ والأعلام، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية، ط١ / ١٩٨٠م، ص٢٤٧-٢٥٠، وعلم الإشارة السيميولوجيا، بيير جيرو، ترجمة منذر عياشى، دار طلاس، سوريا، ص٩، (من مقدمة الدكتور مازن الوعر).

أو علاقة العلامات بمفسريها[1]، وهذا هو الظهور العلمى الأول لموضوع دراسة البراجماتية اللسانية.

لم يكتف موريس بدراسة البنية اللغوية دراسة وصفية شاعت بين الدارسين تأثراً برائد البنيوية اللسانية دى سوسير، بل أضاف إليها دراسة المعنى ودراسة علاقة اللغة بمستخدميها، وخص بهذا الجانب البراجماتية اللسانية، وطرح أول تعريف لها: دراسة علاقة العلامات بمستعمليها[2]، أى: دراسة اللغة أثناء ممارسة إحدى وظائفها الإنجازية والحوارية والتواصلية، وقد عدّها جزءاً من السيمياء (Semiotics).

ورأى أن التداولية لا تدرس اللغة المنطوقة وحدها بل تدرس أيضاً العلاقة بين الرموز أوالعلامات المستخدمة وما تشير إليه، وعلاقة العلامات بعضها ببعض، والعلاقة بين العلامات المؤولة ومستخدميها أومجال الاستعمال، وتعد التداولية أهم إضافة فى جهود موريس إلى جانب استحداثه نظام الشفرة.

والعامل الثانى فى ظهور البراجماتية اللسانية . ظهور تيار "الفلسفة التحليلية" بزعامة "جوتلوب فريجه" ((Gottlob frégé) (١٨٤٨.١٩٢٥م)، وقد نشأ فى كنف الفلسفة التحليلية "السيمياء المنطقية" التى تبنتها حلقة فينا (Cecle de Vienne) (٣) التى عالجت الوضع

١)ارجع إلى: البلاغة والأسلوبية، نحو نموذج سيميائى لتحليل النص، هنريش بليث، ترجمة محمد العمرى، أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٩م، ص١٠٠، ومقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، يونس، ص١٣، وارجع إلى: الاتجاه التداولى فى البحث اللغوى المعاصر، الدكتور محمود نحلة، ضمن الكتاب الخاص بعيد ميلاد الدكتور عثمان موافى الستين، "فى اللغة والأدب" دار الوفاء، الإسكندرية، ٢٠٠٣م، ص١٦٧

Charles W. Morris, "Foundations of the Theory of Signs", In O. Neurath, R. Carnap and C. Morris (Eds.) International Encyclopedia of Unified Science, Chicago: University of Chicago Press, ١٩٣٨, pp. ٧٧-١٣٨.

٢) المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ص١٦.

٣)حلقة فينا جماعة من الفلاسفة اجتمعوا عام ١٩٠٧م، وتبنوا اتجاهاً فكرياً يستند إلى معايير عقلية فى صحة القضية، و بحثوا فلسفة العلم، و أهم ما طرحوه "الوضعية المنطقية" (Logical Positivism)، و قد أطلقه بلومبرج وهربرت فايجل ١٩٣١م، ويراد به مجموعة الأفكار الفلسفية التى أخذ بها أعضاء جماعة فينّا، ومنهم عالم الرياضيات هانزهان وعالم الاقتصاد أتونويرات، والعالم الفيزيائى فيليب فرانك، وهم نواة الحلقة الأولى، وقد أصبحوا من الأعضاء البارزين فى جماعة فيّنا، وكان من أهدافهم الرئيسة إيجاد منهج علمى يحقق نتائج علمية صحيحة فى حقول الرياضيات، والمنطق، والفيزياء النظرية، ويبرز أهميتها العلمية، وقد تبنوا لتحقيق هذا المبدأ العام الذى

المنطقى فى اللسان، وترجع جذورها إلى جهود تشارلز بيرس، وقد أثرت فلسفة فريجه التحليلية فى بعض الفلاسفة منهم فيتجنشتاين وأوستن وجون سيرل وهوسرل وغيرهم، و قد توصل هؤلاء إلى أن "فهم الإنسان لذاته ولعالمه يرتكز فى المقام الأول على اللغة، فهى التى تعبر عن هذا الفهم"[1].

القصد عند العلماء العرب:

لقد درس علماء العربية قديماً القصد من اللغة ووجوه استعمالها وأثر السياق فى المعنى، ويختلف مفهوم القصد عند التداوليين عن مفهومه عند علماء العربية، فهو أساس النظرية التداولية عند التداوليين، وهو الهدف والغاية، وهو مبنى على فهم المتلقى لا مراد المتكلم خلاف مذهب علماء العربية الذين جعلوا القصد غاية المتكلم، فاللغة تعبر عن أغراض متكلميها[2]، وكل خطاب له قصد، قال الآمدى معرفاً الخطاب: هو "اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[3].

وقد فسر الخطاب تارة بتوجيه الكلام إلى المتلقى، وتارة بالكلام الذى علم أنه يفهم أو الذى أفهم [4]، قال حازم القرطاجنى: "....وهو أن يجعل مبدأ كلامه دالاً على

وضعه أرنست ماخ (١٨٩٥: ١٩١٠م)، ومفاده: أن العلم فى أساسه وصف التجربة أو الخبرة، فاتجهوا إلى الفلسفة الوضعية المنطقية، فكان اهتمام بوانكاريه (١٨٥٤: ١٩١٢م) متجهاً إلى المشكلات المشتركة بين الفيزياء والفلسفة، وقدعكست آراؤه تأثير الفلسفة الوضعية، وضمنها أهم كتبه(العلم والغرض، العلم والمنهج)، وقد حدث تطوير فى الحلقة، فأعيد تشكيلها عام ١٩٢٢م، وأبرز أعضائها فى التشكيل الجديد: كرناب(١٨٩١: ١٩٧٠م)، وفيجل (١٩٠٢: ١٩٨٨)، وجودل (١٩٠٦: ١٩٧٨)، وهان (١٨٧٩: ١٩٣٤)، ونيروث (١٨٨٢: ١٩٤٥م)، وويزمان(١٨٩٦: ١٩٥٩م)، وكان يقودهم مورتيز شيلك(١٨٨٢- ١٩٣٦م)، وهدفهم مناقشة التطورات الحديثة فى علم المنطق، وقد تفرق أعضاؤها بعد وفاة هان ثم شيلك فى عام ١٩٣٩م، فرحل بعضهم واستقر فى بريطانيا، وذهب بعضهم الآخر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

١) التداولية عند العرب، صحراوى، ص٣٣، والتداولية والحجاج، مدخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م، ص١٣٦

٢)ارجع إلى: الخصائص، ابن جنى، تحقيق النجار، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب، جـ١/ ٣٤، وقد عرف اللغة بأنها: "أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم".

٣)الإحكام للآمدى، تعليق عبد الرزاق عفيفى، ط الثانية، ١٤٠٢هـ، المكتبة الإسلامية، دمشق، جـ ١/ ٩٥

٤)ارجع إلى: حاشية العلاّمة البنانى على شرح الجلال المحلى على متن جمع الجوامع ، ط ١٩٩٥م ، دار الفكر، بيروت، جـ١/ ٤٨.

مقصده،ويفتتح القول بها هو عمدة فى غرضه" [1]، وهذا مستفاد من دلالة الخطاب على المشاركة والتوجيه: "فلفظ الخطاب والمخاطبة إنما يكون لغة بين اثنين" [2]، فهو شكل من أشكال التفاعل، والقصد هنا غاية المتكلم، فهو المرجعية، وليس ما يفهمه المتلقى، قال ابن رشد الفقيه: إن دلالات الألفاظ "إنما تحمل على ما يعلم من قصد المتكلم بها" [3]، وأطلق الفقهاء عليه مصطلح "المقاصد"، والمراد بالمقاصد اللغوية الأهداف الدلالية القائمة على الأصول السماعية والقياسية القاضية بتوجيه المعانى اللفظية والتركيبية وفق ما جرى به العمل عند العرب فى عرف لسانها وطرق تصريف أساليبها [4]، ووجه التحقق من جماع تلك المعانى وتفرقها استحضار أعراف الخطاب ومقاصده، "فإن كان للعرب فى لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه فى فهم الشريعة، وإن لم يكن ثمّ عرف، فلا يصح أن يجرى فى فهمها على ما لا تعرفه" [5]، ولا سبيل إلى درك مقاصد اللغة إلا برد أولها على آخرها، وآخرها على أولها؛لأن "معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال" [6]،

---

١) منهاج البلغاء ، حازم القرطاجنى، دار الفكر، بيروت ١٩٩٤م، جـ ١/ ١٤، قال حازم رحمه الله فى تحصيل القصد ووجوهه: "الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلاً على المعانى التى احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجهم إلى معاونة بعضهم بعضاً على تحصيل المنافع، وإزاحة المضارة إلى استفادتهم حقائق الأمور، وجب أن يكون المتكلم يبتغى إما إفادة المخاطَب، أو الاستفادة منه، إما بأن يلقى لفظاً يدل المخاطَب، إما على تأدية شيء من المتكلم إليه بالفعل، أو معرفة بجميع أحواله، وإما بأن يلقى إليه لفظاً يدل على اقتضاء شيء منه إلى المتكلم بالفعل، أو اقتضاء معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول".(منهاج البلغاء، ص٣٤٧، ط بيروت).

٢) شرح تنقيح الفصول، القرافى، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٦٧

٣) المقدمات الممهدات، الحافظ أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، مكتبة زاد المعاد، جـ ٢ / ٤٣٠.

٤) ارجع إلى: الموافقات فى أصول الشريعة لأبى إسحاق الشاطبى ، شرحه وكشف مراميه وخرج أحاديثه فضيلة الشيخ عبدالله دراز ط، دار المعرفة ، بيروت – لبنان ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، جـ ٣ / ٣١.وقد تناول الشاطبى مفهوم المقاصد وبين أنواعها، وفهم المقاصد قائم على معرفة العربية وأساليبها ، قال الشاطبى: "القرآن والسنة لما كانا عربيين لم يكن ينظر فيهما إلا عربى"، و قال الشافعى رحمه الله: "وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنه لا يعلم من إيضاح جمل الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب وكثرة وجوهه وجماع معانيه وتفرقها".ارجع إلى: الرسالة، الشافعى، ، دار الكتب العلمية، جـ١/ ٥٠.

٥) ارجع إلى: الموافقات، جـ ٢ / ٨٢

٦) الموافقات ج ٣ / ٣٤٧: ومما يعين على ذلك الأخذ بالمقتضيات العامة للخطاب من جهة الخطاب نفسه أو طرفيه أو سياقاته المختلفة بناء على أن القرائن لا تبلغها غايات العبارات كما نص على ذلك الجوينى فى البرهان، ١ / ٣٧٤.ورأى ابن سنان الخفاجى أن : " الكلام يتعلق بالمعانى والفوائد بالمواضعة، لا لشيء من أحواله... " ،

وهذا يفضى إلى الوقوف على المقاصد العامة للخطاب، وربط العلماء بين اللغة واستعمالها فى الواقع، واشترطوا على المفسرين والمجتهدين معرفة علاقة النص بعالمه الخارجى للوقوف على مقاصده [1]، وقد تأثر حازم القرطاجنى بنظرية المقاصد التى وضعها الفقهاء، فجعل الإفهام ضرورياً لتحقيق القصد من الكلام أوالمنفعة، وهو الهدف من التواصل، فقال: "لما كان الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلاً على المعانى التى احتاج الناس إلى تفاهمها"، يريد: احتياجهم إلى معرفة القصد [2] وقال: "وجب أن يكون المتكلم يبتغى إما إفادة المخاطب أو الاستفادة منه أو بعضها بالقول" [3]، وربط القصد بالغرض الذى يبتغيه المتكلم وبالتعبير الخاص به، فاختلاف المقاصد يترتب عليه اختلاف الأساليب والسياقات، وهو ما غفل عنه الغربيون، قال: "يكون المقصدان غير منصرفين إلى محل واحد، أو غير منبعثين من محل واحد، فلكل واحد منهما هدف معين لا يتحقق إلا فى إطاره، ولا يمكن تحققه فى إطار غيره"[4].

وتناول العلماء مقاصد الاستعمال فى السياق وما يترتب على هذا من معنى سياقى يغاير المعنى الظاهر، ومن هذا صيغة الأمر التى يراد بها غير ظاهر اللفظ، فلا تقتصر على الوجوب "افعل فى عرف اللسان تدل على معانى أخرى كالإباحة فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ [المائدة : ٢]، والدعاء فى قوله تعالى: (اهدنا الصراط المستقيم).والتهديد فى قوله

ارجع إلى: سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجى الحلى، دار الكتاب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م، ص٣٣.

١)ارجع إلى: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ٣ / ٢١٩، قال ابن القيم فى تمييزه بين الطالب للقصد والواقف عند دلالة اللفظ: "فالناظر العارف فى الشريعة إنما يقول: ماذا أراد، واللفظى يقول: ماذا قال".

٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجنى، تحقيق: د. محمد الحبيب بن الخوجة، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨١م، ص ٣٤٧، وارجع إلى: نظرية المقاصد بين حازم ونظرية الأفعال اللغوية المعاصرة، محمد أديوان، مجلة الوصل، معهد اللغة والأدب العربى، جامعة تلمسان، العدد الأول، ١٩٩٤م، ص٢٥، والتداولية وتحليل الخطاب الأدبى مقاربة نظرية، راضية خفيف بوبكرى، مجلة الموقف الأدبى، اتحاد الكتاب السورى، العدد٣٩٩، السنة الرابعة والثلاثون، تموز ٢٠٠٤م.

٣) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص٣٤٧

٤) منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص ٣٥٠

تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾، والتكوين فى قوله تعالى: ﴿كونوا قردة خاسئين﴾[البقرة: ٦٥] (١)، ومثل النهى المستفاد من الأمر فى: ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾[الزمر: ١٤]. وقد يستفاد الوجوب من الخبرية كما يستفاد الخبر من الإنشائية، قال تعالى: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾[البقرة: ٢٢٦] ومثال الثانى: قال تعالى: ﴿فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً﴾[التوبة: ٨٣] جملة خبرية ولا يراد الطلب، قال الفخر الرازى: "صيغة الأمر هنا، المراد بها الإخبار عن الذين تخلفوا عن الرسولﷺ، وكرهوا أن يجاهدوا معه بأنهم يضحكون قليلاً ، وسيبكون كثيراً" (٢)، ويتبين من هذا أن النظرية البراجماتية تداخلت مع تراثنا فى بعض المواضع بيد أنها فى تراثنا قيد القيم والمصالح الناجعة.

علاقة البراجماتية بالعلوم الإنسانية (٣):

كانت اللغة تدرس فى القرن التاسع عشر ضمن علوم الفلسفة والمنطق والاجتماع والنفس، وعُدت من مقدمات البحث فيها حتى دعا دى سوسير إلى استقلالها عنها فى صدر القرن العشرين، ثم عادت الدراسات اللغوية إلى هذه العلوم ثانية، وظهرت فروع لسانية جديدة متأثرة بهذه العلوم منها: علم اللغة الفلسفى وعلم اللغة المنطقى وعلم اللغة الاجتماعى (اللسانيات الاجتماعية) وعلم اللغة النفسى (اللسانيات النفسية)، وقد تأثرت البراجماتية اللسانية ببعض هذه الفروع المعرفية التى تدخل ضمن العلوم الإنسانية (Humanities)، وأكثرها تأثيراً الفلسفة، فقد نشأت فى كنفها، ويرجع الفضل فى تأسيسها إلى رائد الدراسات السيميائية الفيلسوف "ش. بيرس"، ويرجع الدور البارز إلى "شارل موريس" الذى بحث علاقة العلامة بسلوك المشاركين فى الاتصال، واستفاد فى هذا من علم النفس، وكان لجهوده أثر مباشر فى ظهور اتجاهات درست الظواهر النفسية و الاجتماعية الموجودة داخل أنظمة العلامات العامة وأثرها فى اللغة، ودرست كذلك التصورات

---

١) ارجع إلى: التحرير والتنوير، جـ ١٠/١٥٤

٢) التفسير الكبير، ط دار الفكر، جـ ٦ /١٢و ٥٠، وقد اتفق علماء الشريعة على إفادة النهى التحريم، واختلفوا فى علاقته بدلالة الأمر، فذهب صاحب الكافية إلى "أن كل أمر نهى وخبر، وكل نهى أمر، وكل خبر أمر ونهى"، ارجع إلى: الكافية في الجدل، ص ١٣و٢٣

٣) العلوم الإنسانية: العلوم التى تتعلق بالإنسان على الأرض، وتدرسه فردًا أو مجتمعًا أوسلوكاً أو معرفة وفكراً، وتضع الأُطُر والقواعد التى تضبط حياة الإنسان وتنظمها وترصد ظواهرها وتعالج قضاياها.

التجريدية التى تشير إلى الفاعلين، وقد اهتم بهذا الجانب الفيلسوف "كارناب" الذى توسع فى دراسة الإشارة، فقد تجاوز مستعملى اللغة، ورأى أن تكون هنالك إشارة إلى مكان الحدث الكلامى و زمانه، وهذه الفكرة نواة نظرية السياق عند فيرث، ويعد الفيلسوف "ج. أوستين" أشهر رواد المدرسة البراجماتية، ويعد تلميذه سيرل امتداداً له، وسوف نفرد لجهودهما البراجماتية مساحة من الكتاب.

وتتداخل البراجماتية مع المنطق الذى استفادت منه استفادة واسعة، وقد تجلى أثره فى التقسيمات المنطقية والمسائل والأحكام والحِجَاج الذى يقوم على أسس لغوية و منطقية، وقد ساهم علم اللغة (أواللسان)الاجتماعى فى البراجماتية فى دراسة المفردات التأشيرية الاجتماعية التى قسمت إلى شخصية وزمانية ومكانية و خطابية واجتماعية والتضامين المحادثية وبنية الاقتضاء وأفعال الكلام و تصنيفها واستعمالها وتحليل الخطاب وتحليل المحادثة، وأشهر من ساهم فى هذه الدراسات عالم الاجتماع "جوفمان" ، وساهمت البراجماتية كذلك فى علم اللسان الاجتماعى أيضاً فى تحليل المحادثة والحوار والخطاب والأدوار الاجتماعية ودورها فى تحديد صيغ المخاطبة، واستفادت البرجماتية من علم النفس و علم اللسان النفسى، فقد استعانت بعلم النفس الإدراكى فى معالجة إنتاج اللغة وأثرها وتطور مفاهيم القوة الإنجازية والتضمينات والافتراضات المسبقة، واستفادت كذلك من علم نفس النمو فى اكتساب الطفل اللغة و دور السياق فى اكتساب اللغة وفهمها، وقد ترتب على هذا ظهور "علم البراجماتية النّموى"، وقد ساهم فى البرجماتية "جمبرز" عالم الأنثربولوجيا (علم دراسة الأعراق) الذى تأثر بمدرسة بالو ألتو النفسية وبفوجمان والمنهج الإثنولوجى والأثنولوجيا اللسانية وعلم اللسان الاجتماعى [1]، وقد تداخلت البراجماتية مع الأدب فى مجال التطبيق، ومع اللسانيات التطبيقية فى تحليل النصوص والخطابات، وعلم الدلالة فى معرفة المعانى

---

١) ارجع إلى: التداولية والحجاج، ص١٢٩، ١٣٠، الأنثروبولوجيا والإثنولوجيا والإثنوجرافيا ثلاثة علوم متداخلة التخصصات، فالأنثروبولوجيا تبحث فى الإنسان وحركته بما هو إنسان وتدرس نفسيته واجتماعيته فى إطار معين وخلال زمان قد يطول وقد يقصر، والإثنولوجيا : دراسة المجتمعات وخاصة المجتمعات البدائية، زالإثنولوجيا: دراسة النظم الاجتماعية الانسانية ، وتربط الدراسة الإثنوجرافية التواصلية بين وجهات النظر الأنثروبولوجية واللغوية الاجتماعية للاضطلاع بدراسة السلوك التواصلي كما يعمل في سياق الثقافة، والأنثربولوجيون يستنتجون ما توصل إليه الإثنولوجيون مع اختلاف الهدفوالتصور.

الحرفية و المعانى السياقية ، و مع علم الاتصال فى سياق المواجهة و سياق الاستعمال اللغوى.

وسوف أتناول أهم المعارف التى أثرت فى البراجماتية اللسانية و العلوم التى تداخلت معها:

١. نظرية المعرفة:

لقد أعاد العلماء النظر فى نظرية المعرفة (Epistemology) (١) ومصدرها وموضوعها، وما يتعلق بها من مشاكل الواقع و العقل و المنهج و المفاهيم، وقد افترقوا فيها على مذهبين رئيسين فى تعيين مصدر المعرفة، أولهما. العقل، والثانى. التجربة، وقد تزعم "رونيه ديكارت" المذهب العقلانى الذى انتصر للعقل، وتزعم "فرانسيس بيكون" المذهب التجريبى المؤيد للتجربة، و تطور البحث فى المذهبين، وقد تطور عنه انفصال العلوم عن الفلسفة بموضوعاتها ومناهجها، وظهرت نزعة اختبارية ترجح أساس المعرفة العلمية إلى التجربة، وقد دعا "المنهج الاختبارى" إلى إخضاع الأشياء للتجريب أيضاً لمعرفة حقيقتها، فالمعرفة تأتى عن طريق الاختبار أو الحس أوالمشاهدة، فالتصور العقلى ومفاهيمه عن العالم الواقعى

---

١) ظهرت فى أوربا "نظريه المعرفة"(Epistemology)، وهى كلمة منحوتة من كلمتين يونانيتين : (logos) بمعنى علم و(episteme) بمعنى : حديث، علم، نقد، ودراسة، وأول من وضع المصطلح الفيلسوف الاسكتلندى جيمس فريدريك فيرير، و النظرية المعرفية تعنى فلسفة العلوم، وموضوعها دراسة العلوم، وتعد نظرية المعرفة أحد فروع الفلسفة الذى يدرس طبيعة المعرفة، وهى تختلف بهذا عن علم مناهج العلوم (ميثودولوجيا)؛لأن نظرية المعرفة تدرس مبادئ العلوم وفروضها ونتائجها بمنهج نقدى لتحديد أصلها المنطقى وأهميتها، وتدرس وسائل إنتاج المعرفة، وتهتم ببحث مواضع الاختلاف فى المعرفة المختلفة، وهى تحدد مفهوم المعرفة وطريقة الحصول عليها، وتختلف المذاهب فى مفهوم المعرفة وفى تحليل طبيعتها ودرجتها وارتباطها ببعض الرموز الدلالية والمصطلحات مثل: الحقيقة، الاعتقاد، والتعليل (التبرير)، وهى على مذاهب فى تحديد درجة المعرفة، فمنها ما يرى أن العقل يدرك المعرفة اليقينية، ومنها ما يجعل المعرفة كلها احتمالية، ومنها ما يجعل معرفة العالم مستحيلة، وقد انقسمت الفلسفات المعرفية إلى: الفلسفة الوضعية (Positivism)، وهى تعتمد على النتيجة الإحصائية؛ لأنهم يرونها صحيحة لا تحتمل الظن، والفلسفة التفسيرية(Interpretivism) أوالفينومينولوجيا (Phenomenology)، وهى تعتمد على الشرح والتأويل، وترى الفلسفة الواقعية(Realism). وهى تقع بين الفلسفة الوضعية والتفسيرية. أن موضوع المعرفة مستقل عن الذات العارفة،ويرد التجريبيون المعرفة إلى الحواس، ويرى المثاليون العقليون أن بعض المبادئ مصدرها العقل لا الخبرة الحسية، وأن موضوعها عقلى فى طبيعته؛ لأن الذات لا تدرك إلا الأفكار.

قد لا يعطيان انعكاساً صادقاً عن الواقع، ومن ثم لا يعد العقل مصدر المعرفة، وقد تأثر به تشارل بيرس، وقد قلت من قبل إن المصطلح البراجماتية مستعار من الفلسفة التى تأثرت بمعطيات الفلسفة الواقعية والمنهج التجريبى الذى نشأ فى كنفها، وأن أول من استخدمه فى علم اللسان الفيلسوف بيرس، ومن ثم نشأت التداولية فى كنف الفلسفة الواقعية التى ترى أن الحقيقة فى المادة أو فى عالم الأشياء الطبيعية (الفيزيقية)، ووجودها حقيقى وواقعى كالهواء والحيوان والإنسان، وليست فى العقل بل مستقلة عنه، فالواقع الحسى مصدر المعرفة، وأن الحقائق الخالدة والثابتة هى التى لا تقبل التغيير، وأن حقيقة كل المفاهيم لا تثبت إلا بالتجربة العلمية، وأن المبادئ البشرية والذكاء البشرى يعبران عن الواقع، وأن مصدر القيم والأخلاق ليس بعيداً عن عالم الواقع، وأن العالم له وجود حقيقى لم يصنعه الإنسان، وهذا العالم يمكن التعرف عليه بالعقل والحواس معاً[1]، ومعرفة هذا العالم مهمة فى توجيه السلوك الإنسانى، وأن معرفتنا بحقائق العالم تتزايد بالاكتشاف والتحليل الموضوعى والتفسيرات العلمية، وأن المجتمع يسير وفق قوانين طبيعية لا تتغير، وأن نجاحه قيد عمله بقوانين الطبيعه.

وقد استخدم الواقعيون المنهج العلمى والتجريب فى المعرفة، واعتمدوا على علاقة الإنسان بعالمه وفاعله معه، ودعوا إلى البحث عن المعرفة فى الحياة نفسها عن طريق التكيف معها والتشكل، ورأوا أن الدليل على حقيقة أى شىء أثر هذا الشىء وعمله ووظيفته، وقد غلب الاتجاه الواقعى الاتجاه المثالى العقلانى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأثر فى كثير من العلوم النظرية منها علوم اللسان كالمدارس البنيوية واللسانية التداولية، وقد تبنى البراجماتيون مبدأ الفيلسوف "هربرت سبنسر" فى المعتقدات (١)، وعدوه أساساً لهذه الفلسفة، وقد رأى أن معظم معتقداتنا التى نؤمن بها مثل

---

١)الفيلسوف البريطانى "هربرت سبنسر"(H.Spencer)(١٨٢٠ : ١٩٠٣م)، كان متطرفاً فى علمانيته، وله أفكار تغالى فى الحرية والمادية ونفوذ القوة والثروة، وقد انضم إلى مجموعة جون تشابمان التى تبنت الفكر الحر والإصلاح، وروجت فكرة التطور والارتقاء، وقد طورها سبنسر، وعرف مذهبه الدروينى بـ"الدارونية الاجتماعية"، ويعد سبنسر من مؤسسى علم الاجتماع الحديث، وقد اشتغل بالاقتصاد وكتب فيه، وترجع شهرة سبنسر إلى عام ١٨٥١م عندما طلب منه تشابمان أن يقدم بحثاً عن نظرية "توماس مالتوس"؛لينشره فى العدد الأول من مجلته، وقد رأى سبنسر في نظرية مالتوس قانوناً عاماً يصلح للبشر وللحيوانات، فقد رأى أن الحروب

الحرية والاختيار ليس لها صور حسية نردها إليها، ولا يستطيع الذهن أن يضع لها تصوراً أو شكلاً ذهنياً، فهى اصطلاحات لا معنى لها فى حياتنا؛ وأن الانشغال بها عبث، ويجب أن نلقى بها فى سلة المهملات، أما المصطلحات التى لها معنى فهى الأشياء التى نشاهدها فى حياتنا اليومية مثل الأجسام التى نعاينها ولها وجود حقيقى فى الواقع، ولها صور وأشكال ذهنية، وكذلك المصطلحات التى لها وجود حسى يمكن الاعتماد عليه فى وجودها، وليس لها صور ذهنية، مثل الكهرباء تعد حقيقة أيضاً لوجود أثرها فى حياتنا، وما يحصل منها من منافع.

وقد تأثرت البراجماتية اللسانية (التداولية) بالاتجاه التجريبى الذى مهد له الواقعيون والاتجاه العقلى الذى يرى أن العقل مصدر المعرفة وأن الملاحظة الطريق الوحيد إلى المعرفة، وقد وضع الفيلسوف واللسانى "تشارلز بيرس" (Charles Price) (١٨٣٩: ١٩١٤م) نواة البراجماتية اللسانية، فقد جمع بين معطيات الاتجاه الواقعى والاتجاه العقلى فى بحث علاقة العلامة بالواقع الخارجى (١)، وهى الفكرة التى تطورت إلى علم مستقل عرف بـ"علم

والكوارث والأوبئة تصحّح الزيادة السكانية، وقد اشتهربهذا الرأى المتطرف، وذاع قوله" البقاء للأصلح"بين أصحاب النفوذ والثروة الذين قربوه منهم، وتقوم فكرة التطور والارتقاء في الجوانب الاجتماعية على أن استمرار صعود القوة قانون حتمى، وأن المادة لا تفنى، وأن الحركة مستمرة فى تطوير الأشياء، ورأى أن البقاء للأقوى ولامكان للضعيف فى سباق الأقوياء، وقد تأثر فى قوله "البقاء للأقوى "بدارون فى ترسيخ مفهوم الارتقاء، وأعطى له بعداً اجتماعياً، وقد قال لرجل الأعمال الرأسمالى كارينجى: إن صعود شخص مثله، لم يكن نتيجة حتمية فحسب، بل كان حقيقة علمية، وعدت الدراوينية الاجتماعية فى تلك الفترة قانون الطبيعة الذى لا حياد عنه، وهو صاحب كتاب " الرجل ضد الدولة" الذى قدم فيه رؤية فلسفية سياسية متطرفة فى الإباحية (الليبرالية) أو التحررية.

١) كان" بيرس "تجريبياً متأثراً بمناهج العلوم التجريبية، فقد تأثر بالتيارات الواقعية التى اجتاحت الفكر الغربى فى عصره، وتأثر كذلك بالمنهج التجريبى وخاصة التجريبية البريطانية، فقد اطلع على فلسفة"جون ستيوارت ميل" و"أليكساندر باين" و"جون فين"، و "جورج بيركيلى"الأيرلندى الذى يشير إليه "بيرس" بأنه أول فيلسوف مهد لظهورالبراجماتية، وتأثر"بيرس" أيضاً بالفلسفة الألمانية وخاصة فلسفة الفيلسوف الألمانى" إيمانويل كانت" التى أثرت فيه تأثيراً بالغاً فى نظرته العقلية، وتأثر بالمثاليين الرومانسيين، وبفلسفة "هيجل"، وقد عرف" بيرس" مصطلح البراجماتية من دراسة أعمال "كانت" الذى ميز بين البراجماتى (pragmatic) والعملى (practical)، فالعملى ينطبق على القوانين الأخلاقية، والبراجماتى ينطبق على قواعد الفن وأسلوب التناول اللذين يعتمدان على الخبرة، وقد اشتغل بتدريس الرياضيات والمنطق والفلسفة، وتأثر بها فى رؤيته البراجماتية، وقد اهتم بالتفكير المنطقى وطرائقه فى إيضاح المدركات العقلية.

العلامات" الذى طرح فيه البراجماتية بالمفهوم اللسانى (١)، فعُدّ بيرس أول من استخدم المصطلح البراجماتية فى مجال علم اللسان فى حديثة عن مفهوم العلامة فى حقول المعرفة، وعُدّ كذلك أول المنظرين للبراجماتية اللسانية، وقد تناول مفهومه الفلسفى فى مقاليه : " تثبيت الاعتقاد" الذى نشر فى عام ١٨٧٧م، و"كيف نوضح أفكارنا " الذى نشر فى عام ١٨٧٨م، وقد تناول فيهما الأسس المعرفية الجديد للبراجماتية، وتقوم رؤيته الفلسفية على رفض ما ليس عليه دليل فى الحس أو ما ليس له صورة حسية، واعتمد ما له أثر حسى يمكن إدراكه أو التعرف عليه فى المحسوسات عن طريق الاختبار والمشاهدة تحت ظروف يمكن أن نتحكم فيها، وأن الفكرة التى تقود إلى العمل هى الفكرة الصالحة والحقيقية، وقد قال فى مقالته "كيف نوضح تفكيرنا": "ما هو معنى أى فكرة ما وأهميتها؟" أجاب : "طريقة السلوك المتولدة عنها"أو "الفكرة ما تعمله"، وانتهى من هذا إلى أن الموضوع محتوى الخبرة ومضمونها، وأن قيمة الفكرة تكمن فى نتائجها العملية التى ندركها، وأن السلوك الصادق معيار صواب الفكرة، وهو الوسيلة إلى الغاية المنشودة، وهو معيار الصدق والخير الذى يرتبط بالهدف والغاية والوظيفة، والسلوك عند بيرس مرتبط بالغريزة والقلب، وعُد هذا الرأى فلسفة مثالية موضوعية، فالفكرة مرتبطة بالنتائج والآثار العملية المترتبة عليها، وهو المفهوم الأساس فى البراجماتية، وقد تأثرت التداولية بهذه الفلسفة، فاهتمت بالبعد العملى فى الخطاب.

---

١) يعد بيرس أول من كتب فى علم العلامات فى الغرب، وهو علم أصيل عند العرب، وقد مارسوه فى الجاهلية فى معرفة الأثر والطريق، وعرف المشتغل بالأثر بالعائف وعلمه العيافة، وعرف الخبير بالطريق ودروب الصحراء بالدليل والرائد الذى يستكشف الطريق، وعرف الذى يستكشف المياه بالوارد، وللعرب أقوال فى فهم دلالة العلامة والدليل، ولكن أميتهم حالت دون وضع منهج مقنن وعلم مخصوص به، وقد وقف علماء المسلمين الأول على رموز العلامات وتفسيرها، بيد أنهم لم يفردوا لها كتباً مستقلة بل تناولوها فى حديثهم عن المعانى، وأشهر من تناولها ابن قتيبة فى مشكل القرآن والجاحظ فى البيان والتبيين، وقد ضاعت إنجازات القدماء العلمية بسبب طريقتهم الشمولية فى تناول الموضوعات وضياع النسق والمنهج الذى يحدد الموضوعات، فأصول علم العلامات موجودة بيد أنها تغفل فى زحمة الموضوعات، وقد تأخر الغرب فى تقنين علم العلامات، وقد ظهركتاب بيرس "وصف نظام الإشارات" فى ١٨٧٠م، وهو الذى تضمن"نظرية السيموطيقا"عند ه، وقد شكلت موضوعات الكتاب أساس علم الإشارة (نظام العلامات أو الرموز)، وكتب "فلسفة الإشارات" فى ١٨٨٤م، وهو ذو طابع فلسفى بيد أن تلميذه مورس استطاع أن يطور هذا العلم وأن يضيف إليه.

وقد توهم بعض الباحثين أن بيرس أول من استخدم مصطلح التداولية فى هذين المقالين، والصواب أنه تناول مفهومه الفلسفى فيهما وليس اللسانى، وأنه قد عرف مصطلح "البراجماتية" الفلسفى من دراسة أعمال الفيلسوف الألمانى " إيمانويل كانت " (١)، وكان المصطلح مستخدماً فى الفلسفة التجريبية، وقد اطلع عليها بيرس، ودليل هذا أنه ناقش آراء البرجماتيين قبله، قال فى مقاله "تثبيت الاعتقاد" المنشورة عام ١٨٧٨م: "إذا كانت المعرفة حسب النظرة البراجماتية مستحيلة، إذن كيف للإنسان أن يعمل ؟ إن الإنسان يريد أن يعيش؛ وله هدف يسعى إليه، فكيف الوصول؟ وما هى الوسائل المؤدية إلى الغاية المنشودة؟" سبيله الوحيد إلى ذلك أن يعمل بناء على اعتقاد، إنه لا يملك معرفة يقينية، ولكنه فى ضوء الحالات الذهنية، والتى تعنى المعرفة عنده أن الاعتقاد أن كذا وكذا وسيلة صالحة للوصول به إلى الغاية المقصودة، وإذا نجح فى ذلك، فإن هذا دليل على أن الاعتقاد صحيح وصائب وموضوعى، وقد كتب مقالات أخرى فى النظرية المعرفية البراجماتية، وقد ألقى فى عام ١٩٠٣م محاضراته فى جامعة هارفارد حول البراجماتية، وقد دافع فيها عن الأساس المعرفى (الأبستمولوجى) للبراجماتية، وكتب فيها ثلاثة مقالات: "ما هى البراجماتية" ١٩٠٥م و "قضايا البراجماتية" ١٩٠٥م " دفاع عن البراجماتية" ١٩٠٦م ، وقدتناول فيها الأساس المعرفى للبراجماتية، وتناول بعض التفاصيل الإضافية، ودافع عن الإطار البراجماتية للمعرفة، ويمكن

---

١) ارجع إلى: الوظائف التداولية فى اللغة العربية، أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١/١٩٨٥م، ص٨، والتداولية عند علماء العرب، الدكتور مسعود صحراوى، دار الطليعة، بيروت، ط١/٢٠٠٥م، ص٢٢، ٢٣، واللسانيات العربية الحديثة، مصطفى غلفان، المغرب، ١٩٨٨، ص٢٤٦، ترجع جذور المصطلح إلى حقل الفلسفة، و قد تأثر مفهومه الحديث بالفلسفة الأمريكية الحديثة ، فقد ترجم "Pragmatism" الذى انتشر في القرن التاسع عشر فى أمريكا إلى الذرائعية أوما يسمى بالفلسفة الذرائعية أو البراجماتية، وأطلق مصطلح الذرائعية على الأداتية(Instrumentalism)عند جون ديوى أيضاً ، وظهر المصطلح فى القرن العشرين فى هذه الفلسفة ، فقد نشأت"البراجماتية" مذهباً عملياً فى صدرالقرن العشرين، وقد وجدت فى النظام الرأسمالى الحر الذى يقوم على المنافسة الفردية حقلاً خصباً لها، وأبرز رموزها تشارلس بيرس، وهو الذى استخدم مصطلح "Pragmatism"(البراجماتية) فى الفلسفة الحديثة فى مقال له عام١٨٧٨م، وكان متأثراً بداروين، ووصل إلى مثل آرائه، وقد عَرَفَ بيرس مصطلح "البراجماتية" من دراسة الفيلسوف الألمانى " إيمانويل كانت" الذى ميز بين ما هو براجماتى (Pragmatic) وما هو عملى (Practical)، فالعملى يقوم على القوانين الأخلاقية، و البراجماتى يقوم على قواعد الفن وأسلوب التناول اللذين يعتمدان على الخبرة . وكان بيرس متأثراً بالبحث التجريبى ، واهتم بالتفكير المنطقى وطرائقه في إيضاح المدركات العقلية، وتأثر به بعض الفلاسفة أشهرهم وليم جيمس.

القول إن بيرس نقل مصطلح البراجماتية الذى أخذه من فلسفة "كانت" والتجريبيين إلى اللسانيات فى تناوله العلامات "السيموطيقا"، فعين مفاهيم الإشارات وعمليات استنتاجها، وقد يُعد بيرس من كبار الفلاسفة والمناطقة والرياضيين الأمريكيين، وله مؤلفات ومقالات ومحاضرات ومراسلات فى هذه العلوم، وقد فسّر بيرس المعنى تفسيراً إجرائياً دون أن تعوقه تعدد وجهات النظر حول المقصود بالمعنى، فقد رأى أنها تلتقى عند معنى واحد، وهو: أن شيئاً يرمز إلى شيءٍ آخر، وكلا الشيئين يكونان من كائنات العالم الواقع، فقد يلاحظ الإنسان ارتباطاً بين ظاهرتين طبيعيتين، فإذا حدثت إحداهما حدثت الأخرى، كارتباط البرودة بالانكماش والحرارة بالتمدد، فكما أن العلة قد تكون معنى للمعلول يكون المعلول معنى للعلة. ويعد "وليام جيمس" ((William James) (١٨٤٢: ١٩١٠م) (١) الركن الثانى فى البراجماتية والمنظر الحقيقى لها، فقد طور الفكر البراجماتية ودعا له، وأوضح فلسفته، وهو صاحب النظرية "التجريبية الأصيلة" التى ظهرت ١٩٠٤م، وعُرف بها، وقد صادق بيرس وتأثر به وطوّر بعض أفكاره البراجماتية، فنسبت إليه الفلسفة البراجماتية العملية. ويجسد الفيلسوف "جون ديوى" (١٨٥٩ – ١٩٥٢) (٢) الركن الثالث فى البراجماتية، وقد تأثر ببيرس

---

١) وليم جيمس(William James) (١٨٤٢–١٩١٠م) فيلسوف أمريكى من أصل سويدى، وهومن علماء النفس، وقد تأثر فى مذهبه الذرائعى بأفكار بيرس، ويرى أنّ مصطلح البراجماتية مشتق من الكلمة اليونانية "pragma" التى تعنى المزاولة والعمل، والطابع الذى ألبسه جيمس للبرجماتية الطابع النفعى، فتعامل مع صدق الأفكار من منطلق القيمة الفورية "cash value" ، قال: "إن الفكرة كورقة النقد تظل صالحة للتعامل إلى أن يعترضها معترض ويثبت زيفها وبطلانها، و يستمر صدقها ما دامت سارية المفعول فنحقق بها ما نريد من الأغراض" ، وأكد أن العمل والمنفعة هما مقياسا صحة الفكرة ودليلا صدقها، وقد كتب فيها كتابه "البراجماتية ١٩٠٧م "، وله أيضاً مبادئ علم النفس ١٨٩٠م الذى أكسبه شهرة واسعة ، و موجز علم النفس ١٨٩٢م ، وإرادة الاعتقاد ١٨٩٧م، وأنواع التجربة الدينية ١٩٠٢م ، وكون متكثر ١٩٠٩م الذى يعارض فيه وحدة الوجود.

٢) جون ديوى(John Dewey) (١٨٥٦ –١٩٥٢م)فيلسوف أمريكى، وهو أشهر فيلسوف عالمى فى التربية، وقد تأثر بالفلسفة الذرائعية، وقد عُرف اتجاهه بـ (الوسيلة) أو الأداتية (Instrumentalism)، وهى محاولة لتكوين نظرية منطقية دقيقة للمدركات العقلية والأحكام والاستنباطات فى شتى صورها، وتحاول إقامة قواعد منطقية تلقى تأييداً عاماً عن طريق استخلاصها من وظيفة العقل الوسيط والبناء، وكان لديوى تأثير واسع في المجتمع الأمريكي و المجتمعات الغربية، ولهذه الفلسفة أثر كبير فى السياسة الأمريكية والأوربية أيضاً.ارجع إلى: دراسة تقويمية لحصيلة المصطلح اللسانى في الوطن العربى ، محمد حلمى هليل ، ضمن ندوة " تقدم اللسانيات فى الأقطار العربية"، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩١ ص ٢٨٧، والتداولية من أوستين إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر الحباشة ، دار الحوار ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص٤٨، وانظر : الإنشاء فى العربية بين

وجيمس، ويرى أنه يتعذر الفصل بين الطبيعة البشرية والتجربة، فالتجربة جانب مهم من جوانب الطبيعة البشرية، أما الطبيعة فهى مصدر معرفتنا والأساس الذى تصدر عنه تصرفاتنا وتجاربنا، ورأى أن المعرفة الأداة الوحيدة فى تطوير المجتمع و المدرسة، وله جهود فى التربية تأثر فيها بالمنهج البراجماتية، وقد رأى أن التربية تساعد الإنسان على التكيف مع بيئته، وينبغى عليه أن يستوعب عالمه ليستطيع التكيف معه، ورأى أن محور التربية المادة الدراسية التى تتيح للمتعلم فهم العالم الطبيعى (الفيزيقى) المحيط به، ووضع الفيلسوف البريطانى برتراند رسل (١٨٧٢ - ١٩٧٠م) مبدأ التطابق بالمعية أو وقوع الحدثين فى اللغة والواقع معاً، فقد رأى أن القضية تكون صادقة عندما تتماثل فى بنيتها وبنية موضوعات العالم الخارجى، فالمطابقة تجعل منها قضية صادقة، وقد ذهب الفيلسوف اللغوى البريطانى جون لانكشو أوستن (١٩١١-١٩٦٠م) إلى التطابق بالترابط العلاقى، وهو المنظِّر لهذا النوع ، فقد ذهب إلى أننا لا نحتاج إلى تركيب فيه توازى بين صدق القضية وموضوعات العالم الخارجى التى تمنحها الصدق، بل المعيار البعد الدلالى اللغوى (Semantics ، Semantique) الذى نستخدمه فى التعبير عن القضية أو نصف به الواقع، وهذا البعد هو الذى يركز على العلاقات الترابطية الكلية للقضية التى ترتبط بموضوعات العالم الخارجى، و كذب القضية - حسب رأى أوستن - فى مخالفتها الواقع الذى تتناوله (١).

لقد أنكرت الفلسفة الوضعية الحقائق المطلقة وقضايا "ما وراء الطبيعة" والجدل، ولم تقبلها قانوناً مكوناً للفكر، ولم تقتنع فى التفسير إلا بما هو كائن فى الواقع، بيد أن البراجماتية العملية قبلت ما كان له نفع فى حياة الناس مما ليس له وجود حسى مما لا ندركه بالحواس الطبيعية بشرط وجود دليل على وجوده، وعدت المنفعة دليل صدقه ووجوده (٢)، وسوف

التركيب والدلالة ، دراسة نحوية تداولية ، خالد ميلاد ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠١م، ص٤٩

١) ارجع إلى: نظرية أفعال الكلام، أوستن، ص٥٥ وما بعدها.

٢) لقد عدت الكهرباء مما ليس له وجود حسى بيد أنها اعترفت بوجوده؛لحصول المنفعة منها، وهو مثال غير دقيق؛لأن الكهرباء تدرك بحصول اللمس مثل حرارة الجسم التى تلمس ولا ترى أو تشم، والمثال الدقيق الموجات والذبذبات التى ترسلها الأجسام والإشعاعات التى لا تدرك بالحواس الطبيعية، ودليل وجودها منافعها وضررها، وما يثبته العلم فيها.

نجد لهذه الفلسفة صدى فى التداولية اللسانية، وقد ازدادت الفلسفة الواقعية التصاقاً بالواقع مما كانت عليه فى عصر النهضة، وظهرت فلسفات أخرى بعضها يعد انعكاساً لحركة الإنسان كالفلسفة الوجودية فى القرن العشرين ثم مذاهب الحداثة (التى شكلت أزمة بين الموروث والمتغير)، وما بعد الحداثة، وبعض الاتجاهات اجترت الفلسفات القديمة، فعادت فى ثوب معاصر، وتنحو الفلسفة الحديثة حسب التقليد التحليلى فى أمريكا الشمالية والمملكة المتحدة إلى تكوين تقنية بحتة ترتكز على المنطق

والتحليل المفهومى، و مواضيع اهتماماتها تشمل نظرية المعرفة، والأخلاق، وطبيعة اللغة، وطبيعة العقل، وبعض الاتجاهات اهتمت بدراسة الفن والعلوم، وحاولت وضع نظرية عامة، واهتمت بوضع فرضيات مثالية للحياة وبتحليل الظواهر.

ب. الفلسفة التحليلية:

لقد نشأ البحث اللسانى الغربى فى كنف الفلسفة النظرية، وظل اللسان مرتبطاً بها حتى العصر الحديث (فى القرن التاسع عشر) الذى استقل فيه الدرس اللسانى عن فروع المعرفة الأخرى (الفلسفة والمنطق وعلم النفس وعلم الاجتماع)، وكانت للبدايات الفلسفية الأولى فى حقل التحليل المنطقى أكبر الأثر فى تحديد الأبعاد الجديدة لفلسفة القرن العشرين، وقد تأثرت الفلسفة الحديثة بمناهج العلوم الطبيعية، فنشأت تيارات فلسفية جديدة ذات طابع تجريبى، ومنها الفلسفة التحليلية التى تبنت منهجاً وسطاً بين الواقعية المادية والعقلانية المثالية، ورأت أن فهم الإنسان ذاته وعالمه يرتكز فى المقام الأول على اللغة، فهى التى تعبر عن هذا الفهم ومادة التعبير الذى يجسد رؤية صاحبه، وأنها أول مبحث من مباحث الفلسفة الرئيسة، فهى مقدمة البحث الفلسفى القديم، وقد عد فلاسفة التحليل هذا المبدأ المنهجى الأصيل علامة قوة منهجهم وصلاحيته، وقد اهتمت هذه الفلسفة بتحليل العبارات الفلسفية والعلمية، فارتبطت بالعلوم ومناهجها، وحاولت وضع منهج علمى جديد يأخذ بالفلسفة نحو الاتجاه الذى تراه صحيحاً يقوم على ضوابط واقعية ومنطقية أيضاً فى مقابل اتجاه فلاسفة ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) الذين يناقشون مسائل الفلسفة ومفاهيمها بوسائل فلسفية خالصة فى ضوء التأمل الخالص، وحاول فلاسفة التحليل أن يبرهنوا بوسائل منطقية ومبادئ تجريبية أن معظم قضايا الفلسفة وجميع القضايا الميتافيزيقية لا معنى لها؛لأنها لا

تستطيع تزويدنا بخبرات تجريبية يمكن التحقق منها، كما أنها ليست منطقية أو رياضية، فوضع الاتجاه التحليلى الفلسفى المنطق الرياضى الجديد لتطوير مناهج علمية جديدة وبناء اللغات المنطقية، وعرف بمنطق العلوم (وأبرز رواد هذا الاتجاه كارناب صاحب كتاب منطق اللغة) (١)، والجانب المنطقى يمثل البنية التصورية لِلمعارف البيئية بيد أنه غير كاف فى وصف المعنى، فالجانب الصورى يجافى الجانب الواقعى الحقيقى أحياناً.

ويرجع الفضل فى اكتمال البراجماتية اللسانية ومنهجها التطبيقى إلى المدرسة التحليلية الفلسفية(٢)، وأشهر روادها الفيلسوف الألمانى جوتلوب فريجه (Frege Gottlob) رائد

---

١) هنالك عوامل ساعدت فى ظهور الفلسفة التحليلية، وهى: ١- أنها تأثرت بالفلسفتين التجريبية والوضعية السابقتين، وقد ساهم فى هذا الاتجاه: هيوم ومل وماخ و بوانكاريه. ٢- أنها تأثرت بعلم المناهج الخاص بالعلم التجريبى، وقد ساهم فى هذا الاتجاه: هلموبولتز وماخ وبوانكاريه ودوهيم وبولتزمان وآنشتاين فى القرن التاسع عشر.٣- أنها تأثرت بالمنطق الرمزى والتحليل المنطقى للغة، وساهم فى هذا الاتجاه فريجه و وايتهيد ورسل وفتجنشتاين، وقد ألف كارناب كتاباً سماه "منطق العلوم"، وقد بلغ شهرة عظيمة بين دارسى البراجماتية اللسانية.

٢) تعد الفلسفة التحليلية المنبع الأول الذى انبثقت منه بوادر البراجماتية اللسانية، وقد خرجت نظرية "الأفعال الكلامية" من رحمها،وقد ظهرت اتجاهات تحليلية ساهمت فى بلورة البراجماتية اللسانية، والفيلسوف الألمانى "جوتلوب فريجه" (١٨٤٨-١٩٢٥م) رائد هذا الاتجاه من خلال التحاليل اللغوية التى أجراها على العبارات اللغوية وعلى القضايا مميزاً فيها بين مقولتين لغويتين تتباينان مفهومياً ووظيفياً، وهما: اسم العلم والاسم المحمول،وهما عماد القضية الحملية، وذلك فى كتابه "أسس علم الحساب" فاسم العلم عند (فريجه) الذى يشير إلى فرد معين، والاسم المحمول يقوم بوظيفة التصور،وقد عد الفلاسفة أن ما جاء به "فريجه" يعد انقلاباً جديداً، وذلك في رؤيته الدلالية التى تميز بين اسم العلم والاسم المحمول وبين المعنى والمرجع، وقد ربط بين مفهومين تداوليين هامين هما: الإحالة والاقتضاء، وتقوم الفلسفة التحليلية على ثلاثة مبادئ: أولها ـ التخلى عن أسلوب البحث الفلسفى القديم وخصوصاً جانبه غير الطبيعى(الميتافيزيقى). والثانى ـ تغيير بؤرة الاهتمام الفلسفى من موضوع "نظرية المعرفة"إلى موضوع "التحليل اللغوى". الثالث ـ تجديد بعض المباحث اللغوية وتعميقها، ولا سيما مبحث "الدلالة"، والظواهر اللغوية المتفرعة عنها، وقد تفرعت الفلسفة التحليلية إلى ثلاثة اتجاهات: أولها ـ الظواهرية اللغوية "Phénoménologie du Langage" بزعامة إدموند هوسرل. وثانيها ـ فلسفة اللغة العادية "Philosophe du Langage Ordinaire" بزعامة فيتنجشتاين، وهى التى ساهمت فى ظهور نظرية "الأفعال الكلامية"(٢). وثالثها ـ الوضعية المنطقية "Positivisme logique" بزعامة رودولف كارناب.

والاتجاهان الثانى والثالث أكثر تأثيراً فى اللسانية البراجماتية، وقد ظهرت ظاهرة الأفعال الكلامية نتيجة النقد الذى وجهه "لودفيج فتنجشتاين" إلى المبادئ التى قامت عليها الوضعية المنطقية،والحديث عن طبيعة اللغة والمعنى فى كلام الرجل العادى، فالمعنى ليس ثابتاً؛ لأنه يتغير وفق مقامات الأحوال،وهو الأمر الذى أسهم فى ظهورعدة قضايا لغوية أهمها : الإحالة، والاقتضاء، والاستلزام الحوارى،ومفهوم الافتراض السابق، وقد تأثرت بعض

المدرسة المنطقية الرمزية والتحليلية الذى اتخذ من التحليل المنطقى منهجاً لمعرفة العناصر المنطقية فى اللغة، وهى التى تؤلف مع غيرها من العناصر اللسانية الأساس فى بناء لغة رمزية، يتجلى فيها المنطق والاستدلال، وقد تناول هذا فى كتابه "أسس علم الحساب" الذى عالج فيه قضايا البراجماتية اللسانية، فميز بين اللغة العلمية ولغة التواصل، ورأى أن اللغة الطبيعية قابلة لمعالجة دقيقة خاصة، وأنه بالإمكان استخلاص شروط عامة للتواصل، وفرّق فريجه بين المعنى والمرجع، فالمعنى يحدد فى ضوء السياق وتصاعد الحقيقة المشروطة، فمعنى الجملة يقوم على شروط حقيقية تعين دلالتها، وتنأى عن الافتراض والتأمل، فمعنى الجملة الحقيقى فيما يمكن مشاهدته والتحقق منه فى صلب الممارسة اليومية لألعاب اللغة، ورأى فريجه أنه لا يجب الخلط بين المعنى الظاهر من القول والمعنى المقدر أو المضمر؛لأن هذا يعنى الخلط بين الجملة والقول والمرجع (الشىء ذاته الذى نتكلم عنه)، وفرّق بين اسم العلم والمحمول الاسمى اللذين يشكلان القضية المنطقية الحملية، فرأى أن وظيفة المحمول تصوّرية من حيث إسناد جملة من الصفات المتصورة إلى علَم معين، وهذا العلم يؤدى وظيفة إشارية بحتة وغير قابل للاقتران بلفظى الحكم "بعض" و"كل"، وميّز بين المظاهر المحددة للحقيقة والمظاهر غير المحددة، فرأى أن تحديد الحقيقة يستوجب ضرورة إدخال اعتبارات برجماتية.

وقد أثر فريجه فى "فتجنشتاين"، فبحث عن اللغة المثلى لوصف العالم، واهتم بدراسة اللغة الطبيعية أواللغة العادية، فعالج فيها مشكلة الغموض والوقوع فى التناقض المعنوى، وقامت دراسته على ثلاثة مفاهيم أساسية: الدلالة، والقاعدة، ولعبة اللغة (قياساً على لعبة المسائل الرياضية)، وهو طرح يتجانس مع طبيعة العقل الغربى المشبع بالمادية، فمفهوم اللعبة اللغوية يستقيم فى أطروحته مع البعد الإنسانى للغة فى إطار الممارسة اليومية التى تحقق المعرفة الإنسانية عبر مسارات شكلية متنوعة ومتكاملة، وهذا تصور برجماتى يجعل اللغة

نظريات البراجماتية اللسانية بالفلسفة،فقد تأثرت "نظرية المحادثة" بفلسفة "جرايس" التى يدور موضوعها على "مبدأ التعاون"، وما يترتب عليه من مسلمات حوارية، وقد تأثرت "نظرية الملاءمة" بعلم النفس المعرفى، ففسرت اللسان وظواهره البنيوية فى ضوء الطبقات المقامية المختلفة. ارجع إلى: مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، يونس، ص١٣، والتداولية عند العلماء العرب، ص ١٨

مماثلة اللعب التى تقوم على قواعد يتعلمها من يمارسها، وكذلك اللغة تطلب تعلم قواعدها التى تفعّل دورها الاجتماعى فى التواصل (١)، والاهتمام الفلسفى بدراسة قواعد اللعبة اللغوية يهدف إلى تمييز ما له معنى واقعى أو حقيقى عما ليس له معنى ولا يصدقه الواقع الوجودى، ويعد لغواً، ووضع تصور آخر للغة يعبرعن بنائها اللفظى وقواعدها ومولّدها، فهى تشبه مدينة قديمة تمثل حقباً تاريخية مختلفة، وتحاط بسلسلة من الضواحى الجديدة لها أنماط حديثة منتظمة، وقد تناول فى كتابه "بحوث فلسفية" التطور المعرفى والمنهجى فى مظاهر الاتصال اللغوى، و قد تجاوز فيه مذهب من يرون أن اللغة مجرد آلة تقرر الوقائع عبرالتصوير إلى دراسة المظاهر العامة للاتصال بين مستعملى اللغة (٢)، وهى الفكرة التى قامت عليها البراجماتية اللسانية من بعد، وقد ميز بين وظيفتين أساستين فى الفلسفة الوضعية(٣): أولاهما – الوظيفة المعرفية الاخبارية . والثانية . الوظيفة التعبيرية الانفعالية.

وتقوم اللغة بالوظيفة الإشارية للوقائع فى العالم الخارجى محققة الوظيفة المعرفية التى تعمل فى المستوى الشعرى الذى يعبر عن الأحاسيس والانفعالات بالكلمات والعبارات المجازية، واتجه الدرس الفلسفى إلى تحليل التركيب اللغوى الإشارى المناظر للحقائق الموجودة فى العالم.

وقد ميزالفلاسفة بين نوعين من العبارات فى سياق تحليلهم قول الصدق والكذب (٤): أولهما– العبارة التحليلية التى تقوم على تحليل الموضوع إلى عناصره فقط دون زيادة. وثانيهما– العبارة التركيبية التى تقوم على إضافة معرفة جديدة إلى رصيد التجارب الخاصة.

وتعد فلسفة "فتجنشتاين" أهم مرتكز ساعد على نضج مفاهيم البراجماتية اللسانية

---

١) ارجع إلى: فلسفة العلم فى القرن العشرين، يمنى طريف الخولى، ص٢٦٧.

٢) مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالى دلاش، ص١٩، وارجع إلى: ، التحليل اللغوى عند فلاسفة إكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، ص١٢١، وآفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعة ، الإسكندرية ، د ط ، سنة٢٠٠٢م، ص٢٢.

٣) ارجع إلى: اللغة والخطاب، عمر أوكان، إفريقيا الشرق ، ط١ ، المغرب ، ٢٠٠١، ص١١، وقد اهتم بياجيه، وهو من السلوكيين إلى أهمية البعد الرمزى للغة .

٤) موقف من الميتافيزيقا، زكى نجيب محمود، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط٢/ ١٩٨٣م، ص٧٩، وقد أسهم فى تطوير هذا الاتجاه راسل(Rasle)، ومور(Mur) وشليك (Chlak) وكارناب (Carnap).

وتصوراتها، فقد ساهمت فى استقلالها عن البحث الفلسفى؛لما قدمه فى حقل التحليل اللغوى والمنطقى والرياضى، وقد أثرت جهوده فى توجيه التيارات الفلسفية واللسانية فى التحليل، و قد تأثر بهذا الاتجاه التحليلى أبرز رموز البراجماتية اللسانية (أشهرهم أوستن وجون سيرل).

لقد كانت اللغة مبحثاً فى هذه الفلسفة التى استبعدت جانب ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) الذى صرف القدماء عن دراسة طبيعة اللغة ووظيفتها، فقد أنكرت على الفكر الفلسفى القديم أنه لم يلتفت إلى اللغات الطبيعية، ولم يولها ما تستحقه من الدراسة والبحث، فسعت إلى معالجة هذا النقص فاتخذت اللغة موضوعاً للدراسة باعتبارها مقدمة البحث الفلسفى [١]، وقد اختزلت الأسس البراجماتية فى جانبين، هما: الجانب المعرفى، والجانب التواصلى، وضيقت الجانب اللغوى.

وقد ظهر فى الفلسفة التحليلية ثلاثة اتجاهات:

أولها ـ الظواهرية اللغوية (Phenomenal Language) بزعامة إدموند هوسرل (١٨٥٦ـ ١٩٣٨م) (٢)، وهى رؤية تقوم على أساس الشعور المجرد؛لكونه المجال المحايد للمعرفة

---

١) مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، يونس، ص١٣.

٢) ألفينو مينو لوجيا (Phenomenologie): أصله اللغوى لاتينى، وترجمته الدقيقة "علم الظواهر" ويجوز: "الظواهرية"، ولا أقول الظاهرية؛لئلا تلتبس بمذهب ابن حزم إمام الظاهرية، ولها ترجمات أخرى منها: "الظاهراتية "، وهو شاذ لغة، فجمع الظاهر ظواهر، واستخدم اللفظ الدخيل "الفينو مينو لوجيا"، ويقصد به: العلم الذى يكتفى بدراسة الظواهرالواضحة فى الشعور دراسة وصفية مع تحليل الشعور وكشف حقيقة أفعال "الادراك ومكوناتها"، وترجع جذوره إلى فلسفة توما الأكوينى (١٢٢٥: ١٢٧٤م) الذى تأثر بفقهاء الأندلس وفلاسفتها، وقد تناول مفهومه فى كتابه "حول الوجود والماهية"، وقد رأى فيه أن وجود الشىء خارج العقل يختلف عن وجوده داخل العقل، واستخدمه اللاهوتى الألمانى فردريك أويتنجر (١٧٠٢: ١٧٨٢م) فى وصف النظام الإلهى للعلاقات بين ماهو إلهى وماهو إنسانى؛للتعبير عن القدرة الإلهيةُ، واستخدمه الفيلسوف الألمانى لامبرت (١٧٢٨-١٧٧٧م) فى وصف المعطيات المباشرة للتجربة، واستخدمه كانط فى أواخر القرن الثامن عشر، وهو يفرق بين ظاهرالشىء وباطنه، وميز بين المعرفة البشرية وبين الشىء فى ذاته، فرأى أن المعرفة البشرية تقتصرعلى الظاهر دون الشىء فى ذاته، وقد شاع المصطلح فى القرن الثامن عشر للدلالة على المظاهر الجوهرية للمعرفة التجريبية وخصوصاً المعطيات الحسية، واستخدمه بعد ذلك " هيجل " فى أوائل القرن التاسع عشر، وأطلقه على "علم ظواهر الروح" الذى تبنى فيه رؤية مثالية فى وصف تجليات الروح عبر التاريخ (المؤسسات الدينية والاجتماعية والسياسية)، وسجل هذا فى كتابه "ظواهرالروح"الصادر عام ١٨٠٧م، واستخدمه عالم النفس النمساوى فرانز برنتانو(١٨٣٧-١٩١٧م)، ودرسه، ورأى أنه فى حاجة إلى بحث، فنصح تلميذه الألمانى

اليقينية، ولارتباط القصد (Intentionnalite) به، وهو العنصر الجوهرى والأساسى فى الفلسفة الظواهرية من ثلاثة أسس تقوم عليها الظواهرية عند هوسرل [١]، وهى: المعنى، والقصد، والحصر [٢]، ويتحقق الوعى عند هوسرل على أساس الابتعاد عن التجريبية

أدموند هوسرل (١٨٥٩ ـ ١٩٣٨)، فدرسه وتوسع فيه، وجعله اسم فلسفته التى تبناها فى أوائل القرن العشرين، واقترن" فينو مينو لوجيا "به لشهرته فى هذا المجال، وقد اقتفت هذه الفلسفة فى بدء ظهورها خطوات التحليل الرياضى والوصف العلمى، ولكنها انحرفت عن هذا متأثراً بالفكر التقليدى، ولكن هوسرل استطاع أن يحول الفلسفه من مجرد مذاهب نظريـة متناقضة وأبنية ميتافيزيقية خاوية إلى علم يقينى دقيق يوصل إلى حقائق يقينية تكون أساساً لكل العلوم الأخرى الممكنه، وذلك مثلما أراد " كانت " من قبل تأسيس الميتافيزيقيا علماً صحيحاً مستقلاً، وحدد هوسرل منهجاً جديداً للعلم الجديد "الفينو مينو لوجيا " يتفق مع طبيعته وأهدافه، ويجمع بين التحليل الرياضى والوصف العلمى برؤية جديدة.ارجع إلى: نظرية القيم فى الفكر المعاصر بين النسبية والمطلقية، ميمون ربيع، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٨٠، ص١٣١

١) لقد أقام هوسرل فلسفته على أساس الشعور المجرد، لكونه المجال المحايد للمعرفة اليقينية، ولاتصافه بصفة القصد (Intentionnalite) ، وهذه الصفة جوهرية وأساسية فى الفلسفة الظواهرية، فمن خصائص الشعور أنه يتجه إلى الأشياء التى تواجهه من أجل أن يدركها، فيحولها إلى (ظواهر ذات طبيعة ثابتة)، لتكون الأساس الذى تبدأ منه كل معرفة يقينية، وقد استعار هوسرل مصطلح "القصد الشعورى"من أستاذه الفيلسوف عالم النفس النمساوى فرانس برنتانو(١٨٣٨ : ١٩١٦م) الذى الذى استخدمه فى كتابه "كشف النفس"، وقد حاول برنتانو وضع تخطيط منطقى للتصورات الذهنية؛ لتكون تمهيداً لعلم النفس التجريبى، وقد فسر هوسرل الوجود على أنه ظاهرة، وقد كان يفسر فى صيغة جوهر ذى محمولات متعددة، فنظر إليه على أنه ظاهرة، وظاهر الوجود هنا ليس مقابل باطنه المستتر، فالوجود نفسه يمثل هذا الظهور، ولا يتضمن وجوداً آخر خلفه (ما وراء الطبيعة)، وينبغى دراسته من خلال سلسلة تجلياته التى تظهر لنا.

٢) الحصر: تحديد الواقع والوعى الذاتى تجاه الموضوع فى اللحظة التى يتعالى فيها الشعور، وتتبع عملية الحصر إقصاء ما وقع خارج الحصر، وعملية الحصر أو التعالى تقوم على إقصاء الحكم القبلى أوالجاهز عن الموضوع، وهى الخلفية التى يعكسها على الموضوع. وتحديد ماهية الموضوع(حصر الماهية)، وهذا يتطلب إقصاء الخلفية السابقة و فرضيات النظريات الميتافيزيقية، وهى فى النهاية تجتهد فى التوفيق بين الواقعية والعقلانية المثالية. وقد رفض هوسرل الشك الديكارتى منهجاً لمعرفة ماهية الموضوع، ورأى أن الشك نفسه عملية يصدر من خلالها حكم على الموضوع المقصود فى ذاته، ومن ثم لا يمكن أن يحقق معرفة بإصدار حكم على حكم، والمنهج الفينومينولوجى يرفض الأحكام التى لا يتجلى فيها الوعى الخالص، فالإدراك المرتبط بالوعى الخالص والمدعم بالقصد يقوم بالحصر والإقصاء، فالحكم يكون فى لحظة تجلى الوعى الخالص، وقد أعطى هوسرل للذات العارفة لحظة مثالية لأجل تأمل الموضوع تأملاً وصفياً جوهرياً فى ضوء شروط إدراك الموضوع، وذلك بربطه بالأحوال النفسية للذات التى تتأثر بأحوالها الشعورية، والمنهج الفينومينولوجى لايهتم بالحكم فى ذاته، بل يهتم بطريقة المتأمل التى توصل بها إلى ماهية الموضوع .ارجع إلى: تاريخ الفلسفة المعاصرة فى أوربا، بوخينسكى، ترجمة عبد الكريم الوافى، مكتبة الفرجانى، ليبيا، ص ٢١٨.

والروح السيكولوجية التى تفسر الأحداث التاريخية، وتتوقف عند العمليات العقلية؛ لتكتشف مركبات الوعى ذاته، والظواهر نفسها، ولكن هوسرل اتجه إلى ماهية الأشياء فى الوعى والواقع موفقاً بين الرؤية التجريبية والعقلية، وقد رأى أن العالم ليس سوى شيء يمكن إذابته وتحويله إلى صورة ذهنية، وتخيل هوسرل موقعاً متسيداً للذات المبهمة التى تطبع صورتها على العالم، ورجح كفة الذات على حضور العالم.

لقد اقترب هوسرل من تصور الهرمنيوطيقا الرومانسية لغاية القراءة وطبيعة في النص، وقد تبنى توجهاً مقارباً توجهات التأويلية (الهيرمنيوتيقا) فيما يتعلق بإشكاليات فهم النص والتعرف على المعنى النصى ومدى قدرتنا على التحقق من معرفتنا اليقينية به وصحتها على الرغم من الانتقادات الشديدة التى وجهها هوسرل نفسه إلى أقوال شلايرماخر ووليم دلثاى التأويلية، وقد ذهب شليرماخر إلى أنه لكى نفهم المعانى المحددة لأجزاء من الوحدة اللسانية علينا أن نتخذ لها طريقاً من خلال الإدراك الأولى للمعنى الكلى، وأنه يمكن أن نفهم معنى الكل من خلال معرفة معانى أجزائه المكونة له فحسب، وقد ذهب دلثاى إلى أن هدف التأويل تأسيس نظرية عامة " للفهم "تطبق على كل نص من أى حقل علمى، فالفهم النصى على وجه الخصوص، يكمن فى تفسير تلك الأعمال التى يبلغ فى داخلها نسيج الحياة الداخلية درجة التعبير التام، ورأى جان جراندان الباحث فى التأويلية (الهيرمينوتيقا) أن هوسرل رفض معطيات الفكر الهرمينوتيقى؛ لأنه فكر تاريخى، لا يقبله، وقد ناقش فيه وليم دلثاى (Dilthey) سنة ١٩١١م، واختلف معه فى تبنيه هذا الفكر فى التأويل (١).

وقد رفض هوسرل الأخذ بمذهب التاريخ (٢) الذى يستحضر الماضى و يستشرف المستقبل، ورفض أثره فى عمليتى الإدراك والمعرفة اللتين يقوم عليهما الوعى الذاتى، والبعد التاريخى والتراث يشكلان ركنين مهمين من أركان الهرمينوتيقا، وقد وقفت الفلسفة الظاهراتية موقفاً مضاداً من الهرمينوتيقيا، وعدتها نقيضاً لها، وهذا لا ينفى حقيقة التداخل

---

١)المنعرج الهرمينوطيقى للفينومينولوجيا، جان غراندان، ترجمة وتقديم د. عمر مهيبل، الدار العربية للعلوم، ناشرون ومنشورات الاختلاف، ٢٠٠٧م، ص ٤٣.

٢)التاريخية(historicality): موقف عقلى ينظر إلى الماضى و يستشرف المستقبل، وهى جزء لا يتجزأ من وجود كل كائن فرد، ورائد هذا المذهب شلا ير ماخر "(١٧٦٨- ١٨٣٤ م).

المنهجى والنظرى بين الفلسفتين، فهوسرل تأثر بأقوال شلايرماخر ودلثاى، وقد شكلت الظاهراتية الهوسيرلية الإطار النظرى العام الذى ساعد الهرمنيوتيقا على الخروج من كونها منهج قراءة النصوص وتأويل دلالاتها والكشف عن معانيها إلى فلسفة معرفية تبحث فى إشكاليات الوجود والكينونة على يد وليم هايدجر تلميذ هوسرل.

وقد رأى هوسرل أن المعنى يسبق اللغة، وأنها نشاط ثانوى يسمى المعانى التى فى حوزتنا، وأن المعانى لا يشكلها الحد المنطقى كما ذهب إلى ذلك أنصار المنطق الصورى، فالذى يبلور المعنى إدراك الاسم أو الموضوع، وقد رأى بوخينسكى أن هذا النقد موجه إلى قول المناطقة الصوريين إن المنطق ميدانه الخاص ينحصر فى إعطاء المعانى، بيد أننا عند إدراكنا معنى الاسم أوالموضوع لا يعد الحد المنطقى جزءاً من قوة الإدراك نفسها بل مجرد دلالة على الاسم أو الموضوع (١).

وقد فصل هوسرل المعنى عن الحد المنطقى، وربط المعنى بالإدراك الخاص بحالة الشعور القصدى، فإدراكى معنى الشىء لا يكمن فى الحد المنطقى الذى يعبر عن صيغة تجريد الشىء، بل يكمن معناه فيما يستدعيه من خواطر فى شعورى الخالص وفيما تعكسه ذاتى الشاعرة على الموضوع (الشىء) من صفات وأحكام، وقد حاول هوسرل أن يربط النحو بعملية إدراك المعنى، وربطه بعلم اللسان المتخصص فى قضايا اللفظ والمعنى.

وقد بحث هوسرل مفهوم القصد (٢) الذى أصبح الهدف الرئيس للبراجماتية اللسانية،

---

١) تاريخ الفلسفة المعاصرة فى أوربا، بوخينسكى، ترجمة عبد الكريم الوافى، مكتبة الفرجانى، ليبيا، ص ٢١٤.

٢) القصد: الهدف المضمر القائم. فى رؤية هوسرل. على وعى المتكلم والعالم الخارجى معاً، ويعد برنتانو أول من قدم فكرة القصد بمفهومها الفلسفى الحديث، وقد رأى أنها تحتاج بحثاً، فنصح تلميذه هوسرل بمواصلة بحثه فيها، فقدمها فى شكلها النظرى الأخير، فاستطاع أن يختار منهجاً وسطاً بين المادية والمثالية، فعرف اتجاهه بالاتجاه المحايد، وقد ركز هوسرل فى العملية المعرفية على القصد باعتباره موجه عملية الإدراك، وجعل هوسرل كل ما هو موجود موضوع التأمل الفينومينولوجى، ورأى أن الوعى الخالص يلازم بالضرورة ماهية الموجود، ذلك أن الموضوع لا يعرف التعالى إلا من خلال وعيه، وهو يستمد معرفته التجربة والوعى الخالص فى ذهن صاحبه، وهذا الوعى الخالص يصبح مطلب الذات العارفة التى تريد أن تصل إلى ماهية الموجود، ويستحضر الوعى الخالص داخل بؤرة الشعورعند هوسرل فى وجود القصد، وهو يتكون عند هوسرل من سلسلة التجارب التى مرت بها الذات العارفة من خلال لحظة فلسفية تحدث نتيجة شعور بموضوع معين، ويتحقق القصد تحت تأثيرالرغبة فى معرفة الموضوع، قال هوسرل: "إن الشعور بشىء لا يعنى أن نفرغ الشعور من هذا الشىء بل أن نجعله يتجه إليه حيث إن كل الظواهر لها تكوينها القصدى الذى يوجه الإدراك نحوها تلقائيا". ارجع إلى: كير

وقد تأثر هوسرل فى تعيينه بـ "برنتانو" الذى وضع "علم النفس القصدى"، وقد درسه هوسرل على يديه وتأثر به.

وقد رأى برنتانو أن حالات العقل الرئيسة ينبغى أن توصف فى ضوء القصد نحو الأشياء؛ لأن جميع الحالات حالات عن أشياء سواء أكانت حقيقية أم غير حقيقية، وأن حالات العقل المختلفة حالات عن موضوعاتها بأشكال متباينة (١)، ويتعين القصد بضوابط وصفية يعرف بها (٢).

وقد بحث برنتانو القصد فى العمل الأدبى، فرأى أن موضوع النص يدرس لذاته مستقلاً عن أحواله وظواهره دراسة معرفية (Ontology) فى وعى المؤلف، وقد حصل المؤلف موضوعه والصورة التى تشكلت فى ذهنه عن الواقع وطبيعته ودلالاته المتعددة من خلال الخبرة الحياتية المباشرة، ويتوجه المؤلف عن قصد لإعطاء شكل لذلك الموضوع الأنتولوجى من خلال اللغة والشكل الفنى للعمل الأدبى، ويعد العمل الأدبى بهذا تجسيداً جمالياً لصورة الحياة فى وعى المؤلف، فالنص الأدبى عنده تجسيد ظواهر العالم على ما تجلت عليه فى وعى المؤلف، ويصبح القصد الوحدة الموضوعية التى تضفى الانسجام والترابط على أجزائه، فالمعنى لا يفهم من محصلة تشابك العلاقات التركيبية والدلالية للنص، بل يفهم عندما يكون

كارد رائد الوجودية، عبدالفتاح إمام، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٥.

١) ظهرت نظرية القصد فى العصور الوسطى بيد أنها كانت ذات طابع فلسفى خالص، وكانت ترى أن القصد الفعل الذى يتجه فيه العقل إلى الموضوع ليدركه، ورأى برنتانو أنه يحتاج مزيد بحث، فأقنع تلميذه هوسرل ببحث القصد بحثاً جديداً، فطوره فى نظريته الفينومنولوجية، فرأى أن القصد يتحقق من خاصية الشعور الحقيقى الذى يتجه نحو شىء، ولا يستطيع أن يفصح عن نفسه إلا بعد أن يكون مقصده شيئاً محسوساً، فيستخلص معناه من الواقع، ويعبر عنه بكلام ذى دلالة دقيقة.

٢) حدد هوسرل الوصف شروطاً للوصف الصحيح: أولها. تحديد الكيفية التى تتم بها عملية إدراك المعنى وماهية الموضوع من خلال إسقاط الإدراكات التى تتجه إلى ما لا إدراك. وثانيها. اليقين الذى يؤدى إلى إثبات الموضوع على النحو الذى أدركه عليه أو من خلال إدراك الاعتقاد. وثالثها. تحديد معنى الإدراك وماهيته للوصول إلى ماهية الموضوع، ومذهب الفينومينولوجية يقصد التمكين لفكرة الماهية، ووضع ثلاثة شروط لتحديد ماهية الموضوع: الأول - تحديد قضية أو حكم يصلح أن يكون موضوع الإدراكِ. الثانى - الشك فى ماهية الموضوع الأولى، وذلك فى حقيقة صورته وغايته وصدقه. الثالث - إعادة بناء الإدراك الجديد، لإثبات صواب الموضوع أو خطئه. وهذه المراحل الثلاث تعطى للتجريد بعداً فينومينولوجيا إذا ما استطاع العقل أن يميز بين المعنى المنطقى والمعنى الفينومينولوجى.

وجوداً منجزاً ومتعالياً على الوحدات النصية، ومكانه وعى المؤلف، وعلته قصد المؤلف، ويصبح معنى النص (الموضوع الذهنى الذى يحمله المؤلف فى عقله أو يقصده وقت الكتابة) حقيقة عندما يتطابق مع عالمه الخارجى أو يواقعه، ويصبح عقل المؤلف الجوهر الموحد لكل عناصر النص وكل مستوياته الدلالية والأسلوبية والبلاغية والشعرية (١).

وتتحقق القراءة الصحيحة عنده بإعادة القارئ تشكيل التجربة الشعورية للمؤلف التى يكشف عنها النص، ويشترط لها تعليق جميع الأحكام السابقة والافتراضات القبلية عند القارئ والتقييم وتصنيف الأفكار ومقاصد المؤلف، وأن يحاول أن يفهم النص من خلال معطياته من أجل تحقيق فهم موضوعى للمعنى النصى الذى يتطابق مع قصد مؤلفه، وتتم القراءة هنا من خلال انفتاح الذات على الآخر ومحاولة فهمه كذات غيرية، وليس كصورة انعكاسية للذات فقط، وتتحقق هذه المرحلة بافتعال نوع من التواصل بين الذوات فى سياق متعالٍ؛ليكتشف مركبات الوعى ذاته، والظواهر نفسها، وتتجلى الروح المتعالية فى فهم القصد عندما يبتعد القارئ عن التجريبية والروح السيكولوجية التى تفسر الأحداث التاريخية وتتوقف عند العمليات العقلية الخالصة، وقد تأثر بهذا الاتجاه الناقد "أ. د. هيرش" الذى يعد امتداداً للتيار النفسى فى النقد والقراءة، وهو تيار قام على أفكار كل شلايرماخر ودلثاى وهوسرل، وقد ودافع هيرش بقوة عن مفهوم إعادة البناء النفسى للتجربة الشعورية للمؤلف ليساهم فى التأويل، ورفض مسلمات مايعرف بـ"النقد الجديد الأمريكى" الذى قام به "ومسات" (W. K. Wimsatt) و"بيردسلى" (Monro Beardsley) حول القصد، وقد أطلقا على دراستهما "المغالطة القصدية" (Intentional Fallacy)، وقد ذهبا إلى أن قصد القائل قد يغيب عن المتلقى، فيخالفه فى التفسير ويرى غيره، وقد خالفهما هيرش، ورأى أن قصد المؤلف يعد محدد المعنى النصى، وقال: "إن التحقق من النص يعنى الإقرار بأن المولف ربما قصد ما نظن أنه هو معنى النص، لا غيره، وتتمثل مهمة المؤول الرئيسة فى أن يعيد هو نفسه إنتاج منطق المؤلف و اتجاهاته ومعطياته الثقافية ثانية" (٢) .

---

١) من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، عبد الكريم شرفى، الدار العربية للعلوم، ناشرون ومنشورات الاختلاف، ط ١/ ٢٠٠٧م، ص ١٠٤، ١٠٥.

٢) الحلقة النقدية، الأدب والتأريخ والهرمنيوطيقا الفلسفية، ديفيد كوزنز هوى، ترجمة خالدة حامد، منشورات الجمل، كولونيا (ألمانيا)، ٢٠٠٧م، ص٢٦، ٢٧.

وقد رأى "أ.د.هيرش" أن"النص يعنى ما قصده المؤلف"، وأن معناه اللفظى قد يكون واضحاً، وقد يكون غامضاً ويحتمل وجوهاً متعددة، وأن النص يقبل أن يعيد القارئ إنتاجه، وأنه يتضمن قصداً أو معنىً واحداً؛لأنه الأصل الذى عمد إليه المؤلف، وحاول بلوغه وتقديمه إلينا، وأنه يمكن الاستعانة بالسياق الخارجى؛ لتعيين القصد، ولدفع الاحتمال الذى يفهم من قطع النص عن سياقه، فالرجوع إلى المؤلف أو إلى الوثائق التى تركها حول نصّه أو إلى عصره والظروف التى أحاطت بنشأة المؤلف وثقافته يسد باب الاحتمال، ويحقق الوصول إلى المعنى المقصود، وقد خالف الاتجاه المضاد الذى يكتفى بالنص فى تحصيل القصد ما ذهب إليه هيرش، ورأوا أن القارئ قد لا يستطيع الوصول إلى المؤلف أو شيء عنه، وقد لا تتوفر لديه الوثائق الكافية لمعرفة مناسبة النصّ، وليس لديه إلا النص، وهو الحقيقة الثابتة التى يستطيع القارئ دراستها من خلال تركيبه اللغوى والقرائن الموجودة فى داخله، ولم يك هذا مقنعاً؛لأن بعض النصوص الحديثة تختلف تفسيراتها، وبعضها يتعارض فى نص واحد، ولكن هيرش رأى أن هذا التعدد وهذا التعارض دليلا "الفوضى" فى هذا الاتجاه الذى يكتفى فى التفسير بالنص ويعزله عن سياقه، وقد تطرف بعضهم ودعوا إلى موت المؤلف، يريدون إقصاءه عن التفسير واكتفوا بمعطيات النص اللفظية، وخالفهم آخرون ورأوا أن النص هو المؤلف، ولم يتورط المفسرون العرب المتقدمون فى هذا الجدل الفلسفى، فقد عالجوا النصوص معالجة كلية فى ضوء سياقيها اللغوى والخارجى، والأصل فيها أنها تعبير عن أغراض قائليها.

وقد رفض هوسرل التفسير الفينومينولوجى والبحث الماهوى والاختزال و دعا إلى إقصاء القارئ أحكامه السابقة فى مواجهة موضوع النص، ولكن هايدجر يذهب إلى أن ماقبل الإدراك الانعكاسى والمعرفة السابقة ضروريان فى عملية الفهم، وقد تبنى مارتن هايدجر دمج فعل التفسير بفلسفة ظواهرية وجودية تركز على الوجود أو ما هو كائن فى هذا العالم، وربط مارتن هايدجرعملية الفهم بنوع من الحركة الدائرية المتواصلة بين الفهم والمعرفة القبلية (الإدراك الانعكاسى)، وهو الوعى بالشيء كما هو معطى للوعى، فمعرفتنا بالموضوع لا يمكن أن تتشكل معزولة عن خبرتنا الحياتية وطبيعة وجودنا التاريخى ومعرفتنا القبلية، والوعى يتحرك بين ما يعرفه مسبقاً وبين ما يعرفه من دلالات ومعانى جديدة يطرحها الموضوع المعطى، ويتم هذا ضمن سياق تاريخى له شروطه، وتصبح محصلة هذه

الدائرة النقدية التأويلية المعرفة النظرية، وتأتى هنا للكشف والإنارة، وليست المعنى المنجز التام، وقد حاول هانز جورج هايدجر (١) حل مسألة الحلقة التفسيرية، فهو لايركزعلى الصلة بين الأجزاء والكل حسبما هو فى التفسير الشليرماخرى، بل على دراسة العلاقات المتبادلة بين ما قبل الإدراك المعرفى والإدراك الانعكاسى، ورفض الأغراض المنهجية التى تهدف إلى نسف "الحلقة التفسيرية"، وخالف هايدجر الفلاسفة ذوى التوجهات الوضعية الذين طالبوا بنزع المقدمات (ماقبل الإدراك) عن المعرفة؛ للتحرر فى الحكم على النص، وهى عملية أساسية وضرورية وهامة فى المعرفة (٢).

---

١) لقد تبنى هانز جورج جادامير تلميذ وليم هايدجرفلسفة أستاذه، وصاغ منها نظرية فعالة و مؤثرة فى التفسير النصى، وتناول رؤيته فى كتابه " الحقيقة و المنهج" الصادر فى عام ١٩٦٢م، وقد ترجم إلى الإنجليزية فى عام ١٩٧٥م، وقد رأى أن الحالة الزمنية المؤقتة(Temporality) والحالة التاريخية (Historicality) (موقف عقلى فى حاضر المرء الذى ينظر إلى الماضى و يستشرف المستقبل) جزء لا يتجزأ من وجود كل كائن فرد، ورأى أنه لكى نفهم شيئاً ما يقتضى أن يتضمن التفسير التجربة الذاتية لمؤلفه، فقراءة النص وحده لا تكفى فى الفهم، وأن اللغة مثلها مثل الزمنية المؤقتة تتخلل كل جوانب التجربة وتشملها، ورأى أن القارئ يعكس على النص فهماً مسبقاً (Pre-understanding)، وهذا الفهم السابق يتألف، ويتشكل فى النص متزامناً مع زمنية القارئ الشخصية و آفاقه، فهو بصفة الفاعل(منتج النص)لا ينبغى له أن يحاول تحليل النص أوأن يقوم بتقطيع أوصاله بصفته مفعولاً به(متلقياً) تلقائياً، أولأنه يتعلق بذاته، فهذا عمل القارئ ودوره التفسيرى، فـ"أنا" تخاطب "أنت" القارئ المسئول عن التفسير والفهم، ويجمع بينهما إرث لغوى مشترك وتفاعل واستجابة، ذلك أن المعنى المفهوم من النص عبارة عن حدث (an event) نتيجة الانصهار والاندماج و إدماج بين النص والقارئ.

والتأويل عند جادامير ليس محاولة لتأسيس معايير للتفسير السليم، بل هو محاولة فحسب لوصف الكيفية التى ننجح بها فى فهم النص فى واقع الأمر، ورأى أن البحث عن معنى النص الثابت والمحدد قد صار سراباً و وهماً؛ لأن معنى النص يصمم بشكل مشترك من كل من الظروف الآنية المعينة و الأفق الشخصى (Personal Horizon) للقارئ الفرد، ومن ثم لن يكون ممكناً أن يتحقق تفسير صحيح واحد؛لأنه لا يوجد معنى واحد دائم، فمعناه الآن الذى أراه خاص بى، وهوغير الذى يراه غيرى فى المستقبل، ومن ثم توجد فجوة بين معنى النص الآن و بعد حين، فالجانب التاريخ متغير عن الجانب الشخصى للمؤلف فى النص، وكذلك المتلقى، ويتحقق، ويستحيل استرجاع ظروف إنتاج النص؛ليفهم فهماً يتسق مع رؤية المؤلف، وقد خالفه هيرش، فرأى أن القارئ يمكن أن يفهم قصد االقائل إن استطاع إعادة بناء الشروط اللسانية و الأدبية و الثقافية للمؤلف التى تمكنه من أن يحدد المعنى اللفظى الذى لا يعروه تغيير عما أريد به فى الماضى، وهذه الرؤية تتسق مع ما اصطلح عليه علماء التفسيرالقرآنى المسلمون الذين اعتبروا السياقين اللغوى والخارجى المتعلق بأساب النزول فى التفسير، والمقاصد لم تختلف عندهم بل وجوه التفسير.

٢) ارجع إلى: التحليل النفسى والفلسفة الغربية المعاصرة، سيجموند فرويد، ترجمة د. زياد الملا، دار الطليعة الجديدة، سوريا، دمشق ط١ ١٩٩٧، ص١٧٧

ورأى أن القارئ لا يستطيع أن يتخلص من كل خلفياته وميراثه، ولن يستطيع أن ينقى وعيه إلى درجة الصفر، وهو يفسرالنص، فلن ينقطع عن تجاربه ومعرفته السابقة، وقد أُطلق على هذا "الإدراك الانعكاسى" الذى يعكس فيه على النص خبرته ووعيه، وقد يتسبب هذا فى أن يتخذ القارئ موقفاً من النص، فيفسيره وفق سياق خبرته السابقة، ورأى أن القراءة تختلف باختلاف التاريخ والمحيط، ويستحيل استرجاع سياق النص التاريخى فى الزمن اللاحق، ويصل من هذا إلى أنه لا توجد قراءة واحدة، أو قصد واحد، ولكن هيرش خالفه، ورأى أنه من الممكن التعرف على قصد المتكلم فى حالة استدعاء ظروف إنتاج النص الحقيقية، وقد حاول الناقدان إنجاردن وإيزر تقديم تصور يتوسط بين تعليق هوسرل الظواهرى ومفهوم هايدجر حول المعرفة السابقة، وتمثل ذلك فى ممارسة التعليق المؤقت للحكم والتحيزات السابقة للتعرف على الموضوع الجمالى للنص كما يتجسد من خلال بنية النص المعرفية الانطولوجية، ومن ثم يوضع هذا الموضوع ضمن سياق الوعى الذاتى للقارىء، فقول هوسرل فى الوعى الصافى لايعدو أن يكون قولاً افتراضياً مثالياً لأغراض إجرائية، وليس وصف الحقيقة أو وضع الوعى على صعيد الواقع الخارجى، وقد أيّد جدامير مفهوم هايدجر "ماقبل الادراك الانعكاسى" وأقواله فى التصورات السابقة، فهو يؤكد فى كتابه "فلسفة التأويل" أن هايدجر اقترح وصفاً فينومينولوجيا دقيقاً وصحيحاً عندما كشف عن بنية الاستحضار السابق للفهم على أنها نشاط فعلى وعملى فى القراءة المفترضة لما هو موجود أمام أعيننا (١).

وتعد فلسفة برتراند راسل مرحلة مهمة فى تشكيل البراجماتية اللسانية، فقد ربط الوعى بالمدركات الحسية أو الخبرات الحسية حيث أكد على ضرورة عدم فصل الوعى عن مثيرات العالم الخارجى، وهذا يتطلب دخول هذا الإنسان فى علاقة مع العالم الخارجى، ليكتشفه لذاته ولأفكاره ولعواطفه، ويتجلى فى هذه اللحظة التى يكتشف فيها العالم رد الفعل الحقيقى،

---

١) ارجع إلى: فلسفة التأويل: الأصول، المبادئ، الأهداف، هانز جورج جدامير، ترجمة محمد شوقى الزين، الدار العربية للعلوم، ناشرون ومنشورات الاختلاف والمركز الثقافى العربى، ط ٢، ٢٠٠٦، ص ١٢٥، وفعل القراءة، نظرية جالية التجاوب، فولفغانغ إيرز، ترجمة د. حميد لحمدانى و د. الجلالى الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، ط ١/ ١٩٩٥م، ص١٣، ١٤

فالوعى عبارة عن ردود أفعال الإنسان تجاه المحيط الخارجى، وهذا يعنى أنه طاقة تميز الإنسان عن الجمادات، وأكد راسل على ارتباط الوعى الحقيقى باليقظة، ولا يتحقق من الحالة التى يغيب فيها عن عالمه أثناء النوم أو غيره، فهو قائم فى الواقع، وأكد كذلك على ضرورة الانتباه إلى أثر اللغة فى الوعى، فاللغة. حسب رأيه. جهاز و نظام غير منسق، ومن ثم يميز بين نوعين من اللغة: لغة مرشدة تمكن الإنسان من فهم طبيعة العالم الذى نتحدث عنه، ولغة مضللة وخدّاعة للتفكير.

وثانيها . فلسفة اللغة العادية ((Philosophe du Langage Ordinaire ، ويمثل الفيلسوف النمساوى لودفيج فيتجنشتاين ((L.Wittgenstein (١٨٨٩- ١٩٥١) [١] الذى تأثر بالفلسفة التحليلية والفلسفة العادية، وقد قام بدور هام فى تطبيق المنهج الفلسفى التحليلى على اللغة، وأسس اتجاهاً جديداً سماه فلسفة "اللغة العادية" يقوم على "الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى فى كلام الرجل العادى"، ونجح لودفيج فيتجنشتاين الذى تأثر بالفلسفة التحليلية فى إسقاط الفلسفة التحليلية على اللغة، فأسس اتجاهاً جديداً سماه "فلسفة اللغة العادية" أو"الفلسفة الطبيعية" (دراسة طبيعة اللغة وطبيعة المعنى فى كلام الرجل العادى)[٢]، وأهم ما يميز فلسفة فيتجنشتاين التحليلية "بحثه فى المعنى وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتاً ولا محدداً ودعوته إلى تفادى البحث فى المعنى المنطقى الصارم [٣]، وأهم ما يميز فلسفته التخليلية بحثه فى المعنى وذهابه إلى أن المعنى ليس ثابتاً ولا محدداً ودعوته إلى تفادى البحث فى المعنى المنطقى الصارم.

وقد أثرت أفكار فيتجنشتاين فى كثير من الباحثين، وأبرز من تأثر به جون أوستن (أحد فلاسفة مدرسة أوكسفورد) الذى وضع نظرية "الأفعال الكلامية"، وقد تأثر فيها بمعطيات فلسفة اللغة العادية، وأثر فتجنشتاين فيه واضح فى كتابه "عندما يكون القول هو الفعل"، وتأثر به كذلك جون سيرل، ويعد أوستن وتلميذه جون سيرل من أبرز مؤسسى المدرسة

---

١) ارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب، ص ١٨

Françoise Récanati "Naissance de le pragmatique",in: Quand dire c'est faire (postface),p.١٨٥

٢) التداولية عند العرب، ص ٢٠

٣) التداولية عند العرب، ص ٢٠، اشتهرت فلسفة فتجنشتاين بتبنى "ج.ل.أوستين" و"ج.سيرل" و"بول جرايس" لها، وقد تأثر به أوستن فى قوله القول هو الفعل، وتأثر به سيرل فى نظرية أفعال الكلام.

البراجماتية اللسانية، ثم تبعهم فى تطوير هذا المنهج الفيلسوف بول جرايس فى جهوده الكبيرة التى طور بها الدرس التداولى، ولاسيما فى حديثه عن مبادئ المحادثة.

ثالثها.الوضعية المنطقية (Positivisme logique) ([1]) بزعامة رودولف كارناب (R-Carnap) (١٨٩١.١٩٧٠م) ([2])تلميذ فريجه ولودفيج فتجنشتاين، والفيلسوف الإنجليزى "برتراند رسل" (١٨٧٢ - ١٩٧٠م)، وقد دعا كارناب إلى مراجعة الأفكار اللسانية القديمة فى الفلسفة وتحليل اللسان تحليلاً منطقياً، وانتقد الدراسات الفلسفية السابقة، ومنها ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا)، فرأى أنه لابد لنا من أن نفرق بين وظيفتين مختلفتين من وظائف اللغة، وهما الوظيفة اللغوية والوظيفة الوجدانية، فاللغة قد تعنى شيئاً، وقد تعبر عن بعض العواطف و الرغبات، والفلسفة التقليدية دأبت على الخلط بين هاتين الوظيفتين، و قد ترتب على هذا أن أصبحت ألفاظ الفلاسفة معبرة عن مجرد عواطف غير دالة على معان، والفلاسفة الميتافيزيقيون ظلوا يتوهمون أن عباراتهم تمثل قضايا منطقية تقبل البرهنة، وهى مجرد تعبيرات عاطفية تكشف عن انفعالات ومشاعر دفينة، ولا تنطوى على نظريات، كما أنها لا تشمل قضايا علمية، بل تعبر عن أشياء تعبر عن الشعور بالحياة، و رأى أن ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) أقرب إلى الشعر والأساطير من غيرهما، وأن الفيلسوف الميتافيزيقى فريسة الوهم؛لأنه يصوغ عباراته في قالب منطقى محاولاً أن يقيمها على أسس برهانية، ويتوهم أن

---

١) الوضعية المنطقية(Logical Positivism)، اسم أطلقه عام ١٩٣١م بلومبرج وهربرت فايجل على مجموعة من الأفكار الفلسفية التى أخذ بها أعضاء جماعة فينّا، وهذه الجماعة قد تكونت منذ عام ١٩٠٧م، ثم أعيد تشكيلها عام ١٩٢٢م، وترأسها كارناب، وهى مدرسة فلسفية، جمعت بين التجريبية التى تعتمد على الملاحظة فى معرفة العالم، والعقلانية التى تشمل البناء اللغوى ذا الطبيعة المنطقية الرياضية والاستدلال المعرفى (الأبستمولوجى)، وهى تعارض أنواع الميتافيزيقا خصوصاً الأنطولوجيا والقضايا التركيبية الأولية (الأبستمولوجيا عند كانط)، ويرجع رفضها الميتافيزيقا إلى أنها تعدها فارغة من المعنى المنطقى، وقد أطلق على هذه المذهب" التجريبية العلمية"، و " التجريبية المنطقية " و " حركة وحدة العلوم " و " التجريبية المتسقة" و "التجريبية الحديثة " و " الفلسفة التحليلية "، والأخير أشهرها.

٢) الفيلسوف اللغوى الأمريكى ردولف كارناب"Rudolf Carnap"(١٨٩١.١٩٧٠م)من علماء المنطق والرياضيات والفيزياء الذين درسوا اللغة، وينتمى إلى المدرسة الشكلية أو الصورية، وقد درس عملية توصيل معنى اللغة العادية (لغة الخطاب) بين المتكلم والمتلقى، وعملية التفسير.ارجع إلى: اللغة والمعنى والسياق، البراجماتية ، المعنى والسياق، جيفرى ليش ترجمة عبد الله حميدان، ص٥٦، والنحو العربى والمنطق الأرسطى، الأزهرى ريحانى، ص١٤،

أداته العقل والتفكير لا الخيال والعاطفة، والصحيح أن تأملاته كلها لا تخرج عن كونها أحلام شاعر يعيش فى خياله، ورأى أن فلسفة "ما وراء الطبيعة" لا تصلح فى التحليل اللسانى فى مقاله "استبعاد الميتافيزيقا من خلال التحليل المنطقى للغة"، فالقضايا الميتافيزيقية مضللة أو زائفة، وقد قسمها نوعين: أولها. قضايا تحتوى على ألفاظ غير مفيدة ويعتقد خطأ أن لها معنى. وآخرهما. قضايا تحتوى على ألفاظ لها معنى، ولكنها وضعت مع بعضها بطريقة لا تخالف قواعد اللغة بيد أنها ليست قضايا، وهذه المفاهيم الميتافيزيقية لا معنى لها لعدم وجود معيار تجريبى لها، والقضايا التى تقدمها الميتافيزيقية فارغة على ما بها من ألفاظ ذات دلالة، لأن طريقة تكوينها المنطقية فاسدة ، وأن إصلاحها يؤدى إلى تحويلها إلى قضايا غير ميتافيزيقية، ويستدل برأى الفيلسوف الألمانى مارتن هايدجر الذى رأى أن فلاسفة الميتافيزيقا يرتبون كلمات فى قضايا صحيحة لغوياً، ولكن ليس لهذه القضايا معان تجريبية، وأن تطبيق التحليل المنطقى عليها يكشف أخطاء هؤلاء الفلاسفة فى استعمال الألفاظ من الوجهة المنطقية، ويشترط لصحة الجملة أن تكون مقبوله فى التحليل المنطقى الجديد، ولا ضير عند كارناب من قبول كلمة الفلسفة على شرط أن تفهم الكلمة بمعنى التحاليل المنطقية للعبارات اللغوية، ورأى أن كل من يشاركه وجهة نظره المعادية للميتافيزيقا، يتبين له إن جميع المشكلات الفلسفية الحقيقية ما هى إلا تحاليل لغوية، والتركيبات اللغوية التى تعنى الفلسفة بتحليلها هى ما تقوله العلوم المختلفة غالباً من قضايا، ومن ثم يمكن القول عن الفلسفة إنها منطق العلوم، فهى تحلل القضايا العلمية تحليلاً يبرز طريقة تركيبها وصورة بنائها، ليتضح معناها.

وقد تناول كارناب مجالات فروع علم العلامات الثلاثة التى وضعها موريس، فقال: "إنه فى مجال البحث اللغوى لو أشرنا صراحة إلى المتحدث أو مستخدم اللغة، فإننا نعمل فى إطار حقل التداولية، وأما إذا قمنا بتحليل التعبيرات وما تشير إليه، فإننا ننتقل إلى مجال علم الدلالة، وإذا ابتعدنا عما تشير إليه العبارات وحللنا العلاقات بين التعبيرات، فإننا ندخل دائرة تركيب الجملة" (١)، والتداولية تدرس اللغة من وجهة نظر وظيفية، فتفسر أوجه

---

١) ارجع إلى: النحو العربى والمنطق الأرسطى، الأزهرى ريحانى، ص١٤

.R.Carnap,"Foundations of Logic and Mathematics", Ibid., pp.١٣٩-٢١٤

التراكيب اللغوية بالإشارة إلى عوامل غير لغوية [1].

و قد تبنى البراجماتية اللسانية علماً مستقلاً عن علم الرموز ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفى لجامعة أكسفورد، هم: "ج. ل. أوستين" [2] و "ج .سيرل" و"بول جرايس"، و قد تأثروا فى بعض آرائهم بفلسفة فيتجنشتاين، وهم الذين أذاعوا تراثه الفلسفى، ويعد أوستن إمام المدرسة البراجماتية الللسانية [3]، وقد حظيت جهوده التداولية بالتطبيق فى كثير من اللغات [4]، وتبعه تلميذه سيرل، وقد أحدثا فيها تطويراً واسعاً، ثم تبعهما الفيلسوف بول جرايس (Paul Grice) بجهوده البارزة التى طور بها الدرس التداولى، وأبرز جهوده وضع مبادئ المحادثة (conversational maxims) [5]، و "النظرية الحوارية" التى تمثل الوجه الحقيقى للبراجماتية اللسانية التى تأثرت بـ"الفلسفة التحليلة" [6].

---

١) ارجع إلى: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو ، ترجمة د. سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، ص١٦.واجع إلى: Stephen C.Levinson,Pragamtics,Cambridge: Cambridge University ress,١٩٨٣,pp. ٥,٧.

٢) جون أوستين(John Autin): ألقى محاضراته فى جامعة هارفارد ضمن " محاضرات وليام جيمس" سنة١٩٥٥م ، ولم ينزع إلى تأسيس اختصاص فرعى للسانيات؛ لأن هدفه كان تأسيس اختصاص فلسفى جديد هو"فلسفة اللغة"، و كان يهدف أيضاً إلى تنظيم الدلالات تنظيماً جديداً ومفيداً، فكان أشبه بمن قام بمسح فلسفى للغة لكى يرسم خريطة عليها الاستعمالات الهامة، وأصبحت "محاضرات وليام جيمس" الركن الأساسى فى الدرس التداولى خلال ثلاثين سنة ، وتوفى أوستن سنة (١٩٦٠م) بعد فترة قصيرة من تقديم "محاضرات وليام جيمس" التى نشرت سنة (١٩٦٢م)، وقد ذاع صيته بها، وكتب بعض البحوث المهمة فى مجال اللغوى. ارجع إلى: المقاربة التداولية، أرمنيكو، ص٣٨

٣) كان أوستن وسيرل وجرايس من مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية أو العادية فى مقابل مدرسة اللغة الشكلية أو الصورية التى يمثلها كارناب، وكانت المدرستان تهتمان بعملية توصيل معنى اللغة الإنسانية الطبيعية وتفسيرها، وهما ما تهدف إليهما التداولية، وقد ذكر بعض العلماء أن الثلاثة لم يستخدموا مصطلح البراجماتية فى أبحاثهم.

٤) يعد أوستن وتلميذه سيرل من أبرز مؤسسى المدرسة التداولية، ثم تبعهم فى تطوير هذا المنهج الفيلسوف بول جرايس فى جهوده الكبيرة التى طور بها الدرس التداولى فى حديثه عن مبادئ المحادثة، وهم من فلاسفة اللغة، ومن المنتمين إلى التراث الفلسفى لجامعة أكسفورد ، ومن مدرسة فلسفة اللغة الطبيعية فى مقابل المدرسة الشكلية التى يمثلها كارناب، وكان الأربعة مهتمين بتوصيل اللغة الإنسانية الطبيعية من خلال إبلاغ المتكلم رسالة إلى مستقبل يفسرها، وهذا من صميم البحث التداولى. مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، يونس، ص١٣.

٥) ارجع إلى: مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، محمد محمد يونس على، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص١٣

٦) ارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب ، صحراوى، ص ١٨ ، ومقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، يونس، ص١٣

وهذا التيار يهتم بدراسة الجانب الاستعمالى فيها، وهو وليد "فلسفة اللغة الطبيعية" التى وضع أسسها "فيتجنشتاين "الذى دعا إلى دراسة اللغة فى جانبها الاستعمالى (١)، وهذا الاتجاه تبناه "ج.ل.أوستين" وتلميذه "ج.سيرل"، وهما اللذان تأثرا بهذا الفيلسوف واستلهما منه بعض أفكاره التى تبدو واضحة فى دراسة "القوى المتضمنة فى القول" (٢)، وتسمى الأقوال المضمرة (٣) التى تمثلها جملة المعلومات الخطابية الضمنية، ويمكن معرفتها وتأويلها فى ضوء سياق الخطاب (٤).

وقد نشأت داخل البراجماتية " نظرية الأفعال الكلامية " (٥)التى تأثرت بفلسفة اللغة

---

١) التداولية عند العلماء العرب ، د.مسعود صحراوى ، ص ٢٢.٢٣ .

٢) التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه ، دار الحوار ص١٧، والتداولية عند العلماء العرب ، ص ٢٢.٢٣

٣) أشار ليفنسون إلى أن وليم جيمس أول من اقترح مصطلح الإضمار(Implicature)فى المحادثات فى محاضرات ألقيت فى هارفارد ١٩٦٧م ، وهو الذى استخدمه بعد ذلك جرايس Grice سنة ١٩٧٥ م فى نظريته المعروفة.ارجع إلى: المقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو، ص ١٩ ، التداولية من أوستن إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، دار الحوار ص١٧ ، والتداولية عند العلماء العرب ، ص ٢٢.٢٣

٤) يتصل بالافتراضات السابقة الأقوال المضمرة (les sous – entendus) التى تمثلها بفعل التأويل السياقى للحديث جملة المعلومات الخطابية غير الظاهرة على السطح ، مثل : إن السماء تمطر، يحتمل الإخبار عن حال الطقس والدعوة إلى المكوث في البيت ، والتحذير من الطقس ، والبشارة بالمطر، واستخدام المظلة والمعانى المكتسبة من سياق الحال، والمعنى الأول الحقيقى من السياق الكلامى، والمعانى الأخرى من معطيات السياق الخارجى، وقد رأى ليتش Leech أن وظيفة التداولية العامة تربط بين المعنى النحوى للخطاب ودلالته التداولية ، وهذه العلاقة تتمثل فى الكلام المباشر وغير المباشر، والتداولية تصف معنى الخطاب بطرق مختلفة ، و مهمة التداولية شرح العلاقة بين هذين النوعين للمعنى(المعنى النحوى(sense the) الذى يوصف بالمعنى الحرفى، أو المباشر ، والمعنى البراجماتى المتمثل فى قوة فعل الكلام (force)، قال ليتش : " وإننى أفترض، كما فعل آخرون، أن المعنى يمكن وصفه بوسائل التمثيل الدلالى فى بعض الاستعمالات الرسمية للغة، وقوة التلفظ تتمثل فى عدد من الإضمارات"، والإضمار هنا يستعمل بمعنى أوسع مما ذهب إليه جرايس (Grice)، وقد رأى جرايس (Grice) أن حضور الإضمار المحادثى يجب أن يكون قادراً على حل المشكلة، وهذا نتيجة القول، و التداولية تدرس السلوك الناتج عن دوافع معينة وفق المصطلحات الأهداف المحادثية. ارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى، الدكتور مسعود صحراوى، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م ، ص٢٤، والتَّدَاولِيَّة، البُعد الثالث فى سيميوطيقا موريس، الدكتور عيد بلبع، مجلة فصول ، القاهرة ، ربيع ٢٠٠٥م. والمقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكو، ص ١٩

٥) تأثر أوستين(Austin) بفتجنشتاين(L.Wittgenstein)فى الرد على فلاسفة الوضعية فى محاضراته التى ألقاها فى أكسفورد بين سنتى (١٩٥٢-١٩٥٤ م)، ومحاضراته الأخرى التى ألقاها فى جامعة هارفارد سنة ١٩٥٥م، والتى

العادية، وذلك أن تراث فتجنشتاين لم يكتسب العناية الحقيقية إلا بعدما تبناه فلاسفة مدرسة أوكسفورد، وعلى رأسهم جون أوستن، الذى تأثر بفتجنشتاين فى كتابه "عندما يكون القول هو الفعل"، وكتابه "كيف ننجز الأشياء بالكلام" الذى تناول فيه "أفعال الكلام" (١)، وميّز بين نوعين من الأفعال (٢).

اختار لها جامعها إرمسون(Ermsson) سنة ١٩٦٠م عنواناً مميزاً هو (How to do things with word?) "ماذا نصنع بالكلمات ؟"، وقد رفض أن تكون اللغة مجرد وصف الوقائع الخارجية، ويحكم على أقوالها بالصدق أو الكذب باعتبار المطابقة أو عدمها، وعد هذا الوجه الفلسفى مغالطة وصفية، فاللغة تحتوى على جمل كثيرة لا تصف العالم، ولا تقرر حقيقة إنما تنجز فعلا وتوقع عملاً، وقد تناول أوستن اللغة من تناولاً تجريبياً، وعدها شيئاً متصلاً اتصالاً وثيقاً بالطبيعة البشرية فى جانبيها الرئيسين: أولها. القوة الإبداعية، والثانى. القدرة العقلية التى تتحكم فى رسم بنية العالم.

١) نظرية أفعال الكلام: ترى أن الخطاب اللسانى يعبر فى بعض صوره عن أفعال حقيقية، فالطلب يعبر عن رغبة فى شيء، وحكم القاضى يعنى الفعل المترتب على هذا الحكم بالعفو أوالإدانة، وقول المشترى: بعنى كذا، وجواب البائع بعتك، والحدث الذى يترتب عليه، وقول الرجل لزوجه: أنتِ طالق، يترتب عليه المفارقة والتحريم، وقد أطلق على هذا أوستن أفعال الكلام، فاللغة عند أوستن وسيرل تعبر عن مواقف فعلية تسمى "أفعال الكلام"، وقسم أوستن الفعل الكلامى الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية: الأول. فعل القول، أو الفعل اللفظى: وهو النطق بالجملة المفيدة متفقة مع قواعد اللغة، ففعل القول "يشمل أفعال لغوية فرعية، وهى المستويات اللسانية الأساسية (المستوى الصوتى، والمستوى التركيبى، والمستوى الدلالى). والثانى. الفعل المتضمن فى القول، أو الفعل غير اللفظى: ويراد به الحدث الذى يقصده المتكلم من الجملة، كالأمر أو النصيحة، وهذا النوع من الأفعال الكلامية الهدف الرئيس لهذه النظرية، وقد سماه أوستن الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال، أوالقوى الإنجازية، مثال: السؤال، وإجابة السؤال، والتأكيد أو التحذير، الوعد، الأمر..."، والفرق بين الفعل الأول والثانى أن الأول يتضمن فعلاً فى جملة، والثانى يتضمن فعلاً حقيقياً منجزاً. والثالث. الفعل الناتج عن القول: ما يتحقق عن القول من فعل، وهو التأثير العملى للقول، الذى يقوم به المتلقى، كقبول الدعوة، وإجابة السؤال، وامتثال الأمر، ويمكن توضيح هذا بقول القائد لمن فى إمرته: اضرب، وهو أمر يتضمن فعلاً لغوياً، وما يترتب عليه من فعل، يسمى الفعل الناتج عن القول، وهو هنا عملية التصويب على الهدف، وإصابته.

٢) ميز أوستن(Austin) بين نوعين من الأفعال: ١- أفعال إخبارية تقريرية وصفية يمكن أن نحكم عليها بالصدق أو الكذب (Constative) . ٢- أفعال أدائية إنجازية (Performative) يمكن أن تكون موفقة أو غير موفقة، مثل: التسمية والوصية والاعتذار والرهان والنصح والوعد...، وتقوم الأفعال الأدائية على شروط لتحققها، قسمها أوستن على نوعين: أولها. الشروط التكوينية (الملاءمة)، ويمكن تلخيصها فيما يأتى: أ- أن يكون الإجراء عرفياً مقبولاً اجتماعياً كالزواج والطلاق. ب- أن يتضمن الإجراء نطق كلمات معينة من طرف أشخاص معينين فى ظروف معينة. ج- أن يكون الشخص المنجز مؤهلاً لإنجاز الفعل وأن يكون تنفيذه صحيحاً وكاملاً، وأما الشروط القياسية، فليست لازمة لأداء الفعل بل هى مكملة له، لتحقيق صورته المثالية الخالية من العيوب

وقسم الفعل الكلامى إلى ثلاثة أفعال (١) ثم تبعه تلميذه جون سيرل الذى طور أفكاره، وتوسع فيها، وقد طور النظرية الإنجازية (٢) وأضاف جرايس مبادئ الحوار (٣).

ج. نظرية التقويض:

عرفت فى الساحة الثقافية بـ"النظرية التقويضية" أوالتفكيكية (Deconstruction) (٤)،

والإساءات ، وهى: أ- أن يكون المشارك فى الفعل صادقاً فى أفكاره ومشاعره ونواياه. ب- أن يلتزم بما يلزم نفسه به، إلا أن هذا التقسيم لم يقنع أوستن لما رأى نوعاً من التداخل بين النوعين فى مستوى التداول اللسانى. التحليل اللغوى عند مدرسة إكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، ص٢٢٢

١) قسم أوستن بنية الفعل الكلامى نفسه ثلاثة أفعال بسيطة هى: أ- الفعل اللفظى (النطقى) (acte locutoire) يمثله نظم الأصوات المنطوقة فى السلسلة الكلامية وفق تركيب نحوى يحقق معنى يحيل إلى مرجع معلوم. ب- الفعل الإنجازى (acte illocutoire): يمثله المعنى الإضافى المؤدى خلف المعنى الأصلى أو الحرفى (المتضمن فى القول). ج- الفعل التأثيرى (acte perlocutoire) (الناتج عن القول): الأثر الذى يحدثه الفعل الإنجازى فى التسامع سواء كان سلوكياً ظاهرا أو لغوياً. ووجه أوستن (Austin) نظره إلى الفعل الإنجازى فهو صلب العملية اللسانية كلها، وراح يبحث عن أصناف تتفرع عنه في ضوء قياس القوة الإنجازية للفعل المؤدى (La force illocutoire) ، نظرية أفعال الكلام ، أوستن، ترجمة عبد القادر قنينى، الدار البيضاء ، دار إفريقيا الشرق ، ١٩٩١م، ص١٢٣.

٢) الفعل الإنجازى: الوحدة الصغرى فى الاتصال والتحليل اللسانى، والقوة الإنجازية "Indicateur de la force illocutoire" : تتمثل فى نظام بناء الجملة والنبر والتنغيم وعلامات الترقيم وصيغة الفعل والأفعال الأدائية.

٣)ارجع إلى: التداولية عند العرب، ص٢٤، ومقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، يونس، ص١٣ .

٤) التفكيكية فى مدلوله العربى لا يحمل مفهوم"Deconstruction"، والمقابل القريب نظرية "التقويض" بلفظ المصدر العام، وقد اجتهد بعض العرب فى ترجمة المصطلح، فقد ترجمه عبد الله الغذامى إلى "التشريحية"، وهو مصطلح غير دقيق بالمفهوم الذى طرحه وغير مماثل لمفهومه عند دريدا، وقيل إنه أول من اجتهد فى ترجمته، وترجمه الدكتور محمد عنانى إلى "التفكيكية"، وهى التسمية المشهورة بيد أنه لا يتضمن الجانب التقويضى الرئيس، وترجمه الدكتورسعد البازعى إلى "التقويضية "ورأى أنه أدق من "التفكيك"، واستخدم الدكتور عبد الوهاب المسيرى"التفكيك"و"الانزلاقية"، وترجمه الدكتورعبد الملك مرتاض إلى المصدر العام "التقويض"، وهوالأرجح لغة واصطلاحاً، وأرى أن تسميتها بالتفكيكية يجردها من مفهومها الهدمى للأصول والثوابت بخلخلة أسسها وحلحلتها، وهى .حسب رأى معارضيها .حركة هدّامة أو تخريبية، وهى فى علم العمارة تعنى الهدم، وقد ظهرت التفكيكية فى اللسان والفلسفة والنقد الأدبى، ثم انتقلت إلى الفن والعمارة بمفهومه (التكسير، الهدم، لتقويض، التخريب)، وهو المعنى الأصلى، ويراد به فى اللسان اعتبار المعنى فى ضوء ما يقابله وطرحه بديلاً له، فاللسان عبارة عن تراكيب لها معان مختلفة، والنص غير منجز ما دامت قراءته مستمرة، و دلالته تتضاعف مثل تضاعف المسألة الرياضية تبعاً لتعدد القراءات، والمعنى ضعيف يسمح بطرح آخر يخالفه، وهذا يستوجب عدم اليقين فى النص؛ليحتمل الطرح الآخر، فليس هنالك نص قطعى الدلالة، ويراد به فى النقد تفكيك النصوص وإعادة

وهى تعتمد على بعض القضايا غير الطبيعية (Meta Physica) (١)، ورائدها جاك دريدا(٢)، ويعد هذا الاتجاه ثورة على البنيوية التى سيطرت على الساحة اللسانية فى القرن

طرحها بمفهوم ما يناقضها، ويراد به فى الفلسفة: إعادة النظر فى الفكر باعتبار صحة ما يناقضه باعتباره بديلاً أقوى له، والهدف هزّ القواعد المعرفية الحديثة و مراجعة المسلمات النظرية، وتتخذ نظرية التقويض من اللغة مدخلاً إلى التقويض باعتبارها مادة الفكر، وهى تنظر إلى الأشياء على أنها نصوص تشبه النص الأدبى و كذلك نصوص المعارف الأخرى، فالثقافة و الفلسفة الإنسانية والفنون التشكلية نصوص، فالقصة نص، والقصيدة نص، والكتاب الفلسفى نصّ، واللوحة نصّ، والمبنى المعمارى نصّ، وهذه النصوص قابلة للمراجعة والنظر، والتفكيكيون يرون أن السياسة والأخلاق والاقتصاد والقانون ميادين خصبة لإعمال الرؤية التفكيكية عليها لكونها نصوصاً لغوية يمكن تحييدها عن مفهومها.

١) "metaphysica"مصطلح لفظه لاتينى أى: ما وراء الطبيعة(الميتافيزيقية)، والكلمة منحوتة من كلمتين يونانيتين "μετά" (ميتا: ما وراء أو بعد) و"φυσικά" (فيزكا: مادى أو طبيعى) ثم نحتت من كلمتين لاتينيتين هما"meta" (ما بعد)"physica" (الطبيعة)، وأرسطو أول من استخدم مصطلح"الطبيعية"يريد بها الأشياء فى الواقع الحسى، وقد تناول الموضوعات التى تتناول ما وراء الطبيعة مما ليس فى الحس بعد أن فرغ من الحديث عن الطبيعيات، بيد أنه لم يستخدم مصطلح "μετά φυσικά"(الميتافيزيقا: ما وراء الطبيعة) فى ملحق أعماله المادية فى "الفيزياء" بل استخدم "الفلسفة الأولى"(first philosophy)، ويراد به بحث الطبيعة الأولية للوجود والعالم، وقد قام أندرو نيقوس الروديسى(٧٠ ق.م) بترتيب مباحث أرسطو، وهو الذى وضع عنوان"μετά φυσικά"(ميتا فيزيقا) لمباحث "الفلسفة الأولى"(first philosophy) . وهى تسمية أرسطو. وهى التى تتجاوز بحث العالم الطبيعى والبحث التجريبى إلى بعث الجوانب غير المادية، وقد تعرف عليها الفلاسفة المسلمون من خلال أعمال أرسطو، وأطلقوا عليها تسميات متعددة تختلف باختلاف رؤية الفيلسوف، فقد اختار إسحق الكندى تسمية أرسطو، فأطلق عليها "الفلسفة الأولى"، وسماها أبو نصر الفارابى "علم الوجود بما هو وجود"، و سماها محمد الرازى "العلم الإلهى"و"الإلهيات"، وسماها أبو على الحسين بن سينا وابن ملكا"الفلسفة الإلهية"، وسماها إخوان الصفا" دين الفلسفة" و"العلم الكلى الإلهى"، واختار محمد بن رشد "ما بعد الطبيعة" وأطلقها على واحد من كتبه فى الفلسفة "تفسير ما بعد الطبيعة"، و هو اسم يواقع الترجمة الدقيقة للمصطلح اليونانى "μετά φυσικά" (ما وراء أوبعد الطبيعة)، وهى التسمية التى شاعت فى الترجمات العربية المعاصرة، وصارت عَلَماً لهذا العلم إلى جانب "ما فوق الطبيعة"، و"الإلهيات"، و"الميتافيزيقا"، و "الميتافيزيقية"، و"الماوراء أو الماورائيات"، وهى ترجمة غير دقيقة وضعيفة، ويجوز النسب إلى جزئها الأول: الماورائى مثل: معدى وبعلى، والترجمة الدقيقة التى اختارها ابن رشيد، وبعض العرب المدثين يسميها "الغيبيات"، وهو خطأ فى العربية؛لارتباطه بمفهوم دينى، ولاختلاف مفهوم الغيب عن مفهوم المغيبات والمعانى.

٢) جاك داريدا فيلسوف فرنسى، ولد فى الجزائر عام ١٩٣١م لأبوين فرنسيين، ثم رحل إلى فرنسا وعاش فيها، ففكره غربى، وقد ظهرت التفكيكية أوالتقويضية في ثلاثة كتب أصدرها دريدا عام ١٩٦٧م، وقد بدأ دريدا نظريته بنقد الفكر البنيوى الذى ساد فى القرن العشرين، فأنكر قدرتنا على الوصول بالطرق التقليدية إلى حل مشكلة الإحالة(وهى قدرة اللفظ على إحالتنا إلى شيء ما خارجه)، فهو ينكر أن اللغة "منزل الوجود" ويعنى بذلك القدرة على

العشرين، وتأثرت فى رؤيتها اللسانية بمعطيات العلوم التجريبية، فبحث بنية اللسان دون المعنى، فالشكل أو البنية يمثل الجانب الحقيقى الحسى الذى يمكن بحثه والمعنى ليس له معيار ثابت أو شكل ثابت يمكن بحثه، فعادت التفكيكية إلى الوراء، فاهتمت بالأفكار التى تتجاوز الطبيعة المادية؛فجعلتها ميدانها (١)، واتخذت اللسان وسيلة للزعزعة المفهوم

سد الفجوة ما بين الثقافة التي صنعها الإنسان والطبيعة التى صنعها الله، ويرى أن جهود الفلاسفة الذين حاولوا إرساء مذاهب على بعض البدهيات أو الحقائق البدهية الموجودة خارج اللغة ليست إلا محاولات بائسة كتب عليها الفشل، ومن ثم راجع أفكرهم، وهاجم الاتجاه البنيوى الذى بحث العلاقة بين الوحدات الشكلية، وعدها الحقيقة التى تقبل البحث دون المعنى، وهاجم ما زعم البنيويون أنه طموح إلى اتباع المنهج العلمى فى بحث اللسان، فالعلم فى رؤيته الجديدة مثل الدين والفلسفة الميتافيزيقية، ويقيم نظامه على ما يسميه "الحضور" ومعناه التسليم بوجود نظام خارج اللغة يبرر الإحالة إلى الحقائق أو الحقيقة، ويفترض أطروحة أخرى يمكن أن تكون بديلاً لما نسميه حقيقة، ويرى أنه يجب تقويض فكرة الحقيقة الثابتة التى يراها قابلة للشك، فالفلسفة الغربية منذ أفلاطون تفترض وجود شيء يسمى الحقيقة أو الحقيقة السامية المتميزة أو ما يسميه "المدلول المتعالى"، فهذا المدلول أو المفهوم الذهنى . عنده . يتعالى على نطاق الحواس ونطاق مفردات الحياة المحددة، ومن ثم ليس له حقيقة يمكن أن نصطلح عليها، فالمعانى تختلف بين المؤلف والمفسر، ويعيد طرح بعض عناصرالفلسفة الميتافيزيقية مثل: الصورة، المبدأ الأول، الأزل، الغاية، الهيولى، الرب، وجعل اللسان ضمن هذه القائمة، وحاول قراءة النص قراءة مزدوجة تسعى إلى دراسة النص دراسة تقليدية أولاً لإثبات معانيه الصريحة ثم يسعى إلى تقويض ما تصل إليه من معان فى قراءة مناقضة تعتمد على ما ينطوى عليه النص من معان تتناقض مع ما يصرح به، وهى تهدف إلى التشكيك فى الدلالة القطعية والحقيقة الثابتة، ويعد هذا الاتجاه ثورة على معطيات الفلسفة النظرية المثالية، وقد ترك دريدا بعض المؤلفات، وأهمها: الكلام والظاهرة، هوامش الفلسفة، الكتابة والاختلاف، وقد ترجم الأخير إلى العربية وتأثر به بعض العرب فى النقد.

١) ترى نظرية التقويض أن الكتابة شكل أدنى من أشكال إيصال المعنى، وتفضل عليها الصوت voice ، تبعاً لميتافيزيقيا الحضور، فاللغة مستهدفة باعتبارها مادة الفكر، فالإنسان يفكر بمفاهيم لغوية، ومن ثم هاجمها خصومها، وعدوها اتجاهاً تخريبياً هدفه تقويض أسس الفكر البشرى ومنجزات الحضارة الثقافية والمادية، لأنها تستهدف أسس العلوم والفكر والمعتقد، وأرى أنها رجْع الفوضى التى وصل إليها الإنسان الذى أفرط فى التحرر من كل شيء ذى قيد قيمى(ومنه الدين والعرف الطبيعى)، وخطورة هذا الاتجاه أنه يرى أن المعنى ليس ملك المتكلم الذى يقصد بتواصله مقصداً، فقد يرى المتلقى خلاف ما ذهب إليه، ويصوب له قوله وفق فهمه، (وهذا عندى لا يبرر فرض النقيض، وهذه المراجعة لا تعنى أن كل الأشياء تحتمل نقيضاً وأن كل المفاهيم خطأ)، وذهب إلى أن النص المكتوب شكل ثابت على ما يحمله من طرح صاحبه الذى يحتمل النقيض، فيسوغ للمتلقى أن يختار خلاف المعهود من ظاهر المعنى، فيضع له احتمالاً آخر بعيداً عن قائله، فيضيف إليه المعنى الذى يفهمه، وقد يخالفه، وترى هذه المدرسة لهذا السبب أن الحضارة الغربية كانت تفضل الصوت على الكتابة كأداةِ إيصالٍ للمعنى، فالصوت حالة حضور، والكتابة حالة غياب، والحقيقة فى الحضور، أكثر منها فى الغياب، وقد أطلق على

وتقويض قيمته الصريحة من لفظه، فالتفكيك فك الارتباط الاصطلاحى بين اللغة وما يقع خارجها أو ما ترمز إليه، وتلاعبت ببعض معانى المفردات المترادفة والمتضادة والمعانى المجازية، وبدأت بفض الاصطلاح فى اللغة؛فالعلاقة بين اللفظ والمعنى علاقة تواطؤ (يسميها بعض الباحثين علاقة اعتباطية أو عشوائية، وهى غير دقيقة لغوياً) وليست علاقة مادة أو روحية، فاتخذت من هذا مطعناً فى قطعية الدلالة فى النص، وزعمت أن الوجه الآخر المستبعد من الفهم قد يكون الأقوى والأولى بالاعتبار، ومن ثم تقرأ النص قراءة مزدوجة، القراءة الأولى تقليدية؛ لإثبات معانيه الصريحة ثم تسعى إلى تقويض ما تصل إليه من نتائج القراءة الأولى بقراءة أخرى مناقضة الأولى تعتمد على ما ينطوى عليه النص من معان تناقض

هذا الاتجاه الذى يُفضل الصوت على الكتابة فى "الأدبيات التفكيكية "التمركز الصوتى"(Phonocentrism) ، ويرون أن النصوص عبارة عن شكل مضادات ثنائية (binary oppositios) ، وهم فى هذا متأثرون بالمنطق الأرسطى، فكل نصّ يزخر بعددٍ من المضادات: الموتُ و الحياة، الخير و الشر، الأبيض و الأسود، الجميل و القبيح، وقد يفهم المضاد من المعنى الذى يستدعى النقيض؛ليفهمه الذهن، فاستحضار النقيض الغائب يبين المعنى، وأطلقوا على هذ الظاهرة فى الأدبيات التفكيكية "ظاهرة الأثر" (The trace) ، نحو: اللون الأحمرُ هو اللون الذى ليسَ أبيض، و لا أسود، و لا أخضر، و لا أزرق، وكل هذه الألوان الغائبة يستدعيها اللفظ ، وهى ضرورية فى إعطاء اللون الأحمر معناه الكامل، ويرجع أصل هذه الفكرة إلى "ميتافيزقيا الحضور"، فكل شىء يلزمه حضور آخر، وإن كان نقيضاً له؛ليعرف من خلاله، وأن التفاضل جار بين كل نقيضين، فالخيرُ أفضل من الشر، والجمال أفضل من القبح، والحياة أفضل من الموت، ومن ثم الصوت أفضل من الكتابة، ويرى دريدا أن هذا التفضيل يرجع إلى ارتباط أحد هذين المتضادين بـ"ميتافيزيقيا الحضور"، ويطلق على هذه الظاهرة "التمركز العقلى" (Logocentrism)، كلمة"logos" يونانية تعنى عقل وتعنى كلمة، ومن ثم ترجمه بعض المترجمين "التمركز الكلمى"، والصواب "العقلى"؛لأنه يستدعى المعنى إلى الذهن . ويرى دريدا أيضاً أن القارئ يتحيز إلى أحد النقيضين عندما يقرأ نصاً من النصوص سواء أكان نصاً أدبياً أو فلسفياً أو قراءة لوحة، فيستدعى المضادات الثنائية، ويتحيز لأحد هذين المضادين، ويرجع هذا التحيز إلى أسس ثقافية ومعرفية عامة ربطها دريدا بميتافيزيقيا الحضور، وهذا يتطلب منك التسليم بعدم اليقين (Undecidability) فى الثنائية بين المتناقضين، ويمكنك أن تعيد النظر فى الحكم المطروح فى النص، فإن كان النصّ يتحيز للأبيض، فعليك أن تبحث عن العوامل التى تجعل الأسود أفضل، وأن تزيل الحد الفاصل بين المتناقضين، فيتماهيان فى بعضهما، وينتفى "التمركز العقلى" لأحدهما لحساب الآخر، وهذه الفكرة تتبلور فى مفهوم التشكيك فى معرفتك السابقة، وهذا يزعزع يقينك بالثوابت، ويجعلك تراجع أفكارك التى صارت فى حكمها تقليدية، وقد انتقل إلى فن العمارة بمفهومه الأصلى: الهدم التقويض، وبعض أتباع هذا المذهب يرفعون حرمة التقديس أو حرمة المساس بالنص المقدس ويطرحونه للتحليل فى ضوء هذه الثنائية التى تنحاز لرؤية المحلل فى النهاية بعد أن ترفع صفة التحريم أو شروط تفسير النص المقدس.

صريح المعنى الأول، وافتعلت ثنائية فى الأشياء؛لتضعف جوهرها فى الوعى المعرفى، وهذا يستوجب عدم اليقين فى شىء و مراجعة المعتقد والثوابت والمصطلح عليه، فلا توجد حقيقة ثابتة واليقين والمسلمات والاصطلاحات تحتمل الشك، وليست هنالك دلالة قطعية فى النصوص، ولهذا الرأى خطره فى النصوص الدينية التى يُعاد تقويضها دلالياً؛لتؤدى خلاف ما قطعت به، فيبدأ مثلاً بزعزعة اليقين فى معنى "الحلال" ليقبل التوازى والمفاضلة مع الحرام، وهذا يستوجب اعتبار الحرام أفضل؛ليكون بديلاً لما سلم بضعفه. وهو الحلال. ولئلا يرتبط الحرام بمفهوم الحرام فى النص الدينى يسمونه بغير اسمه كقولهم: مشروبات روحية وممارسة الحب والهدية، وهى المقابل التقويضى للخمور والزنا والرشوة، وهذه النتيجة تستوجب حكماً أن نقيض الشىء أفضل منه، وهذا يقوض النظرية ويسقطها، وأراه وهمياً وغير مطرد، فمفهوم التفضيل فى ضوء الرؤية التقويضية يحتمل نقيضه السىء، وليس كل ما يفعله المرء أفضل من نقيضه، فالمشتهى فى الشهوات من النساء والأموال والأولاد وغالب ما دون هذا قد لا يكون مفضلاً عند فاعله كالقتل والسرقة اضطراراً، فالنقيض. وهو الترك. هنا أفضل، ومن ثم لا يصلح القتل بديلاً تقويضياً للعفو، ولا تصلح الخيانة بديلاً للأمانة، وليس كل بديل أقوى مما يستبدل به، وبعض البدائل غير مقبولة عند من يمتنع عنها تحريماً أوتأففاً، وبعض الأشياء ليس لها بديل، والقوة فى بعض البدائل وهمية وذات افترض نظرى لا يواقع الواقع.

وهذا الاتجاه التقويضى فاسد من وجوه: أنه يطالب المفسِّر بأن يسلم تسليماً مطرداً بنقيض كل نص، وأنه يفترض الحقيقة فى النقيض، وأنه ينفى وجود حقيقة ثابتة، وأنه لا يعتد بالأشياء فى الواقع، وافترض لها حكماً ذهنياً لا دليل عليه غير افتراض ذهنى (وضعى) من وضع المفسر، وأنه اعتد بفهم المتلقى والمفسر وتجاهل مقاصد المتكم صاحب النص أو الخطاب، وهو تعبير عن غرضه، وأنه يتجاهل مقاصد المتكلم السياقية التى لا تحتمل وجهاً آخر فى سياقها، فالقراءة الأخرى التى يطرحها التقويضيون قد تُحتمل فى النصوص المبتورة عن سياقها، والسياق قرينة قطعية فى الخطاب المباشر، وأنه يعول على النص وحده دون الخطاب التفاعلى، والنصوص فى الأصل تعبير عن انفعالات وتفاعلات ومقاصد قيد الموقف الاتصالى، وأنه يفترض ثنائية فى الأشياء تنتهى بنقيض الأصل؛لكونه ـ إيهاماً ـ أنه الأقوى والأفضل، والمجتمع لا يتواطأ على نقيض ما يريده، وأن التشكيك فى المفاهيم

اللغوية والمعانى يفسد دلالة الخطاب، فلا يحتمل معنى أوقصداً، فتنتفى وظيفة اللغة فى الاتصال. وقد ظهر اتجاه مناهض له عرف بـ "تفكيك التفكيكية" (Deconstrucing de Construction)يدافع عن الثوابت والأسس والقيم التى زعزعها. ويبقى الذهن العربى بئراً غير نضاخ، فترمى فيه هذا الاتجاهات نفاياتها بيد أنه لا يعرف أين يلقى بها وكيف يتخلص منها أو كيف يخرج بعد أن وحل فيها؟

د. علم العلامات (علم الإشارات)[1]:

نشأت البراجماتية اللسانية فى كنف علم العلامات الذى أسسه شارل سندرس بيرس فى الغرب، كما نشأت السيمياء البراجماتية (Semantics Pragmatic) فى كنفه أيضاً، فهى تحمل المبادئ التى وضعها بيرس، وقد بلور نظريتها تلميذه "شارل موريس"، ويتداخل علم العلامات مع تصورات المناطقة وفلاسفة اللغة أمثال : راسل و كارناب و فريجه و فيتجينشتاين وغيرهم، و قد تميزت السيمياء البراجماتية عند بيرس بتصورها الشمولى والدينامى للعلامة، فقد عدتها كياناً ثلاثياً (٢) تتفاعل داخله العناصر التركيبية والدلالية والتداولية فى إطار منظومة دائمة تسمى "السيميوزيس" (Semiosis) (٣)، وهو الحدث الذى

---

١) مصطلح علم الإشارات مختلف فيه، ويرى "ترانس هوكز" أنه من غير اليسير التمييز بين كلمتين تستخدمان للتعبير عن هذا العلم، وهما: (Semiotics) و(Semiology)، ورأى أن الفرق الوحيد بينهما أن (Semiology) مفضلة عند الأوروبيين تأثراً بدى سوسير الذى استخدمها، وفضل فريق آخر من الناطقين بالإنجليزية استخدام (Semiotics) تأثراً بالعالم الأمريكى "بيرس "الذى استخدمها فى حديثه عن علم العلامات، و يرجع الخلاف بينهما إلى أن دراسة دى سوسير كانت دراسة وصفية تناولت اللغة وحدها ، ولكن بيرس توسع فى البحث، فدرس علاقة اللغة بمستخدميها، والمشهور بين اللغويين أن المصطلح الأول عام فى الإشارات والثانى خاص بالإشارات اللغوية، وأصل الكلمتين من الكلمة اليونانية القديمة (seemeiootikee)، وهنالك مصطلح الإشارات البراجماتية (Signals Sragmatism) ، ارجع إلى: البنيوية وعلم الإشارة، ترنس هوكز، ترجمة مجيد الماشطة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦ ، ص ١١٤.

٢) تقوم العلامة (Representamen) عند بيرس على بناء ثلاثى: أ. العلامة اللغوية(Sign) أو غير اللغوية .ب. الموضوع(Object) الذى تحيل إليه هذه العلامة .ج. المؤول (المفسرة Interpretant): الذى تتم من خلاله إحالة العلامة إلى الموضوع فى عملية أطلق عليها بيرس السيميوزيس.

٣) ارجع إلى: علم الإشارة، بيير جيرو، ص١٠، وما بعدها، ويرجع الفصل الأول للفيلسوف جون لوك(١٦٣٢: ١٧١٤)، ولكنه سلك مسلكاً نظرياً، واستطاع بيرس أن يطوره ويطبقه.

Charles Senders Peirce: Ecrits sur le signe. Ed. Seuil, Paris, ١٩٧٨, p. ٣٢.

يتضمن تعاوناً بين العناصر الثلاثة الآتية: العلامة(Sign) (العلامة اللغوية وغير اللغوية)، و موضوعها(Object)، (و هو الشىء الذى تحيل إليه العلامة)، و مؤولتها (interprete the): نظام التدليل (System to demonstrate) المفسِّر غير البشرى الذى يربط بين العلامة و الموضوع فى عملية الإحالة، ويضمن صحة العلامة، ومنه الترميز (Encoding) للشىء بصورته أو بالإيماء إليه بسهم أو بنحوه أو بتعريف أو باسم علمي يوضحه، ومنه فى بحثنا استخدام الرمز العلمى أو وضع النظيرالأجنبى للفظ العربى توضيحاً له وتعييناً، والعربية تستعين بالجملة الوصفية والتعقيبية والاعتراضية والبدل والإحالة والتمثيل والتشبيه فى التفسير، وهى المرحلة التى أطلق عليها بيرس السيميوزيس .

هـ. علم الدلالة (Semiotics):

وهو العلم المختص بدراسة معنى الكلمة(1)، و العلاقات بين اللفظ والشىء المشار إليه، والتحليل الدلالى يحاول توطيد العلاقات بين الأوصاف اللفظية و الحالات التى تحدث فى المحيط على أنها صحيحة (حقيقية) دون اعتبارما يقدمه هذا الوصف، و الدلالة عند بيرس فرع من علم الإشارة أو السيمياء، و يشارك البراجماتية اللسانية فى دراسة المعنى غير أن البراجماتية اللسانية لا تدرس دلالة المستوى الصوتى والصرفى، لما فيهما من جوانب تجريدية ولا تهتم بمعنى الكلمة المعجمى (الحرفى)، بل تعتد بدلالة الجملة فى السياق، وتدرس علاقات العلامات بالمؤولين، وتبحث العلاقات بين الصيغ اللغوية ومن يستخدمها، ولم تعد الدلالة فى اللسان الحديث ذات طبيعة لغوية محضة بل ترتبط بحقول معرفية أخرى منها علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الاتصال، وهى من مقدمات البحث فى العلوم الإسلامية المتقدمة (علم التفسير وعلم الفقه وعلم الحديث).

و. علم اللسان (Linguistics) (2):

وهو الشكل الحديث لعلم اللغة الذى يعرف بعلم اللغة التقليدى (ومباحثه التقليدية

---

1) ارجع إلى: علم الدلالة، بيير حيرو، ترجمة منذر عياشي، دار طلاس، ص١٥، وما بعدها. ساعدت التأويلات التداولية للسيميائية ودراسة الاتصال اللفظي فى كتاب "أسس نظرية العلامات" للفيلسوف شارلس موريس عام ١٩٣٨م فى التقريب بين السيمياء واللسانيات.

٢) ارجع إلى: مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفرى سامسون، ترجمة محمد زياد كبة، الرياض، جامعة الملك سعود، ١٤١٧هـ، المقدمة، ص: ح، ط.

التى تقوم.فى الغرب.على دراسة اللغة وحدها: الأصوات، الصرف، النحو، الدلالة)، وقد ظهرت اللسانيات نتيجة تفاعل علم اللغة مع علمى الأدب و البلاغة، ونتج عن هذا التلاقح اللسانيات والأسلوبية، وقد جمعت الدراسات اللسانية العربية المتقدمة بين فروع العربية ومن ثم حققت تقدماً سريعاً وتوصلت إلى نتائج علمية بيد أن الدراسات الغربية الحديثة تعثرت وحققت نتائج جزئية؛لأنها انشغلت بقضايا اللغة الفلسفية وعزلتها عن محيطها وعن العلوم التى تتداخل معها، واستبعدت بعض جوانبها من البحث تأثر ببعض التيارات الفلسفية، وتكمن أزمة البحث الغربى أنه انطلق من خارج اللغة فى دراسة اللغة، فليست لديهم ثوابت مرجعية يصدرون عنها، بيد أن العرب انطلقوا من اللغة فى بحث المعرفة، فشكلت اللغة الأساس المعرفى فى المفاهيم، وتقدم البحث اللغوى، ولكنه توقف بعد عندما انتكسوا حضارياً، فاكتفوا بمراجعة الأصول والشروح، وعوّل الدارسون العرب على معطيات الدرس الغربى.

وقد استفاد علم اللسان الغربى من العلوم غير اللغوية (ومنها علوم الفلسفة والاجتماع والاتصال والنفس)، ونتج عن هذه المصاهرة فروع لغوية حديثة، وأظهرها البراجماتية اللسانية (التداولية) التى تعد فرعاً حديثاً من اللسانيات تبلور فى سبعينات القرن الماضى[1]، وقد ظهر فى الفترة الأخيرة "علم اللغة البراجماتية "الذى يدرس اللغة فى سياق التواصل أو الخطاب التفاعلى، ويسمى البراجماتية اللسانية الاجتماعية ونظرية الفعل وعلم لغة الأداء وعلم استخدام العلامات عند علماء السيمياء وعلم لغة الحوار أو المحادثة عند أصحاب نظرية أفعال الكلام (٢)، وأرى أنه المرحلة الأخيرة التى انتهت إليها البراجماتية اللسانية التى تبلورت فى شكل علم مستقل يقوم على بحث المقاصد السياقية.

ودخل علم النحو ضمن اللسان فى الدرس الغربى الحديث، وقد كانت القواعد مستقلة،

---

١) ارجع إلى: مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفرى سامسون، ، المقدمة، ص١ و ما بعدها. التداولية عند العلماء العرب ، م س ، ص ١٦، . اللسانيات الوظيفية، مدخل نظرى، أحمد المتوكل، منشورات عكاظ، المغرب، ١٩٨٩، ص٣٥، وقد بدأت الدراسات اللسانية الحديثة فى الغرب على يد دى سوسير بمحاضراته التى أسست للبنيوية التى ازدهرت على يد بلومفيلد (Bloomfield)، وتطورت فى الولايات المتحدة.

٢) ارجع إلى: تطور علم اللغة الحديث منذ ١٩٧٠م، جرهارد هلبش، ترجمة د.سعيد بحيرى، مكتبة الزهراء، ص٢٢٥، ٢٢٦

والنحو لصيق باللغة فى البحث العربى المتقدم، وكتاب سيبويه يؤصل المنهج الحديث الذى وسّع مجال البحث اللسانى وربط بين القواعد والدلالة والسياق، وقد أطلق حديثاً على النحو علم التراكيب وعلم نَظم الجمل (syntax)، وموضوعه دراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية المختلفة فى تركيب تربطة علاقات وظيفية مقبولة شكلاً ومعنى فى السياق اللغوى، وليس من اختصاص علم النحو الحديث التوسع فى دراسة علاقة التركيب بالعالم الخارجى وما تشير إليه هذه الصيغ أو مرجعها (Reference) و مَن يستخدمها إلا فيما يعزز إفادة الجملة وتفسيرها فى العربية، وبعض الوحدات داخل الجملة يفسرها السياق الخارجى، وهو ما لم يغفله النحو العربى فى علاقة الجملة بدلالتها على العالم الخارجى وقبولها عقلاً، ولكن النحو الغربى اهتم بشكل الجملة وعد المعنى والسياق خارج بحثه. واهتم علم اللسان البنيوى بالأصوات والصرف ونظام الجملة بيد أنه عد المعنى والسياق خارج مجال بحثه، ولكن الاتجاه اللسانى الحديث تراجع عن هذا، واهتمت البراجماتية بالسياق التفاعلى والمتلقى والمعنى التركيبى وانتقدت البنيوية الشكلية فى اهمالها المعنى، بيد أنها لم تهتم بالقواعد ولم تعالج الأخطاء القواعدية، فهى خارج اهتمامها، والمستوى الصوتى والصرفى والنحوى خارج بحثها، فهى تعد الأصوات والصرف والنحو أنماطاً تجريدية، تقع خارج البحث البراجماتية اللسانى، وهى ليست تجريدية وليس لها وحدات تحليل صغرى (الوحدات الصوتية والصرفية)، وهذا من عيوبها[1].

ز. علم اللغة الاجتماعى (Sociolinguistics:

وهو العلم الذى يدرس اللغة فى ضوء المجتمع الذى يستعملها، (وهذا من خلال الإجابة على: من يقول، ماذا يقول، أين، متى، كيف، لماذا؟)، وأدرج الوظائف والسياقات الاجتماعية والثقافية فى دراسة اللغة حتى قيل: "إن اللسانيات الاجتماعية هى اللسانيات"[2]،

---

١) ارجع إلى: الاتجاه التداولى فى البحث اللغوى المعاصر، الدكتور محمود نحلة، (فى اللغة والأدب) ص١٦٨

٢) ارجع إلى: التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة، دار الحوار، الاذقية، ٢٠٠٧م، ص ، والتداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، صفحات للدراسات والنشر، سورية ، ٢٠٠٨م، ص١٢٧، أسس علم اللغة الاجتماعى أو علم اللسانيات الاجتماعية مارتينيه و فاينرايش ولابوف وفشمان وفرجسن فى الولايات المتحدة الأمريكية، وطوره جون جمبرز عالم اللسانيات الاجتماعية الإثنولوجية، وهو الذى حلل التفاعلات اللغوية متأثراً بمدرسة بالو ألتو النفسية وتأثر بفوجمان وبالمنهج الإثنولوجى وبمدرسة شيكاغو وتأثر باللسانيات

وتعد اللغة فى هذا العلم كائناً اجتماعياً يتأثر بحركة المجتمع وتفاعلاته، وتساعد اللسانيات الاجتماعية فى دراسة الظواهر الاجتماعية، وقد ساهمت البراجماتية اللسانية فى اللسانيات الاجتماعية فى تحليل المحادثات والخطاب والأدوار الاجتماعية ودورها فى تحديد صيغ المخاطبة، والقواعد الاجتماعية والثقافية التى تضبط العلاقات بين المتخاطبين [١]، وظهرت "الكفاءة التداولية" تأثراً بعلم اللغة الاجتماعى، وهى القدرة على إنتاج الفعل التواصلى وفهمه، وتتضمن معرفة المرء بالرتب الاجتماعية بين المشاركين فى الموقف، وكذلك المعرفة الثقافية والمعرفة اللغوية الظاهرة والضمنية [٢].

ورفض علم اللغة الاجتماعى التصور البنيوى للغة الذى أرساه "دى سوسير"، فقد اتخذ من اللغة موضوعاً، فجعل دراسة اللغة فى ذاتها ومن أجل ذاتها، وتوصف اللسانيات البنيوية بوصف "الشكلية والصورية"، وهى لا تتناول "الأحداث الكلامية الحقيقية فى الواقع الحقيقى"، ومن ثم استبعد السياق الخارجى، وانقطعت صلتها بالعالم مما جعلها مفتقرة إلى التعيين والإحالة، لافتقادها للعناصر الإحالية التفسيرية، ولم تهتم هذه المدرسة بدراسة ظروف إنتاج اللغة سياق (الحال والطبقات المقامية المتنوعة التى ينجز فيها الخطاب) والمشاركين فى التواصل اللغوى، واستبعدت موضوعات الدلالة، وهى عنصر رئيس فى التواصل اللغوى الاجتماعى، وهى العيوب التى توارثها الاتجاه التوليدى [٣] الذى تبناه

الاجتماعية للابوف و بالإثنولوجيا اللسانية لسابير، وخرج من هذا بوضع نظرية إثنوجرافيا الاتصال، وهى التى تعرف بالسانيات الاجتماعية التفاعلية، وهى التى يعتمد عليها فى تأويل المحادثة.

١) ارجع إلى: التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، ص١٢٩، التداولية والحجاج، الحباشة، ص١٣٠

٢) ارجع إلى: استراتيجيات الخطاب، عبد الهادى بن ظافر الشهرى، دار الكتاب المتحدة، بنغازى، ص٢١، ٢٢ ، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، ص١٣٠

٣) رائد هذا الاتجاه ناعوم تشومسكى، وهو صاحب النظرية التحويلية (Rransformationnelle)، وهى التى تقوم على التحولات النحوية، والنحو يتمثل فى مجموع المحصول اللسانى الذى تراكم فى ذهن المتكلم باللغة يعنى الكفاءة (Competence)اللسانية والاستعمال الخاص الذى ينجزه المتكلم فى حال من الأحوال الخاصة عند التخاطب والذى يرجع إلى القدرة(Cerformence)الكلامية، ويقصد بالتحويل فى النحو التوليدى التغيرات التى يدخلها المتكلم على النص، فينقل المتكلم من البنيات العميقة المولدة من أصل المعنى إلى بنيات ظاهرة على سطح الكلام، وتخضع بدورها إلى الصياغة الحرفية الناشئة عن التقطيع الصوتى. والنحو يتألف من ثلاثة عناصر:

.عنصر تركيبى: نظام القواعد التى تحدد الجملة المسموح بها فى تلك اللغة .

.عنصر دلالى: يتألف من نظام القواعد تفسير الجملة المولدة من التراكيب النحوية .

تشومسكى (Chomsky) [١]، وشكل أساس المدرسة البنيوية الأمريكية، وصارت أعماله أقوى الخطوط الدفاعية النظرية عن المدرسة التجريدية، وقد أعاد تشومسكى النظر فى المنهج البنيوى فى النظرية التحويلية فى آخر الخمسينات، ولم يأخذ بالمنهج الوصفى الذى تبناه أستاذه زيلج هاريس، بل أخذ بالمنهج العقلى الذى تبناه أفلاطون و العقليون الجُدد (ديكارت وجاليليه وبرتراند راسل)، وتأثر به تشومسكى فى دراسة اللغة، ونقد الوصفيين (ورائدهم بلومفيلد) الذين تأثروا بمعطيات علم النفس فى تفسير بعض ظواهر السلوك الخارجى وعلاقتها باللسان؛ لأنهم أهملوا الدلالة اللغوية ووصفوا اللغة وصفاً خارجياً، ولم يعتدوا بدور العقل فى الحديث، واعتنقوا فكرة المثير الخارجى الذى يدفع الإنسان إلى التكلم، وجعل تشومسكى العقل مصدر المعرفة الرئيس وأسمى من الحواس، ورأى أن هناك تلازماً بين البنية العميقة والتأويل الذهنى اللذين يعودان فى الحقيقة إلى مرجعية واحدة، هى مرجعية التفسير الدلالى [٢]، ولكنه اكتفى بدراسة التراكيب دون دلالتها، ولم يلتفت إلى قدرة الفرد

.عنصر صوتى وحرفى: نظام القواعد التى تنشئ كلاما مقطعاً من الأصوات في جمل مولدة من التركيب النحوى.
ويقوم التحليل على الشبكة النحوية (Composante): البنية النحوية مكونة من قسمين: أولهما الأصل الذى يحدد البنيات الأصلية والتحويلات التى تمكن من الانتقال من البنية العميقة المتولدة عن الأصل إلى البنية الظاهرة التى تتجلى فى الصيغة الصوتية وتصبح جملاً منجزة بالفعل . وقد وضع هذه النظرية لتكون قادرة على تفسير ظاهرة الإبداع لدى المتكلم وقدرته على إنشاء جمل لم يسبق أن وجدت أوفهمت على الوجه الجديد.ارجع إلى: المدارس اللسانية فى التراث العربى وفى الدراسات الحديثة، محمد البنانى، ص ٨١، والتداولية عند العرب، ص١٥، وما بعدها.

١) ناعوم تشومسكى لغوى أمريكى معاصر، التحق بجامعة بنسلفانيا، وتابع دروسه فيها فى مجالات الألسنية والرياضيات والفلسفة، وتتّبع دروس أستاذه الألسنى زليج هاريس(وهوألسنى أمريكى يدرّس الألسنية فى جامعة بنسلفانيا منذ سنة ١٩٤٢م)، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (النظرية الألسنية)، ميشال زكريا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ص٩، ١٠ .

٢) كان أول ظهورالتحويلية سنة ١٩٥٧م عندما نشر اللغوى الأمريكى ناعوم تشومسكى كتابه الأول "البنى التركيبية"أو "التراكيب النحوية"(Syntactic Structures) ١٩٥٧م، والذى بدأ به الثورة على علم اللغة الوصفى، وركز على توليد الجملة وتحويلها فقط، دون الأصوات، ونشر كتابه الثانى "مظاهر النظرية التركيبية"١٩٦٥م، واكتملت النظرية فى كتابه المشهور "دراسات الدلالة فى القواعد التوليدية" ١٩٧٢م، والذى عرف بالنظرية النموذجية أو المعيارية الموسع (Extended Standard)، وهو مجموع مقالاته الثلاث حول الدلالة والبنية العميقة فى نظريته، ومفاد النظرية أن اللغة البشرية " ملكة الفطرة" (مثل ملكة الطفل)، وذات جوانب "إبداعَية"، تتجلى فى القدرة على فهم وإنتاج ما لا يتناهى من الجمل الصحيحة من خلال نسق صورى متماسك يدخل فى التركيب العضوى للدماغ بقدر ما يشكل جزءاً من النظام الإدراكى للعقل، والنسق اللغوى الوراثى

على إنتاج الخطاب، وهو ما خالفته فيه التداولية التى اعتنت بإنتاج الخطاب وفهمه فى سياق التواصل [١]، ونقدت الدراسات اللغوية الاجتماعية مفهوم الناطق المثالى للغة (Ideal Native Speaker)، وهو الشخص الذى جرد من الظروف الخارجية والخصائص النفسية، وهى تؤثر فى المتكلم، فللغة جوانب نفسية وأخرى اجتماعية، وقد أثر "علم اللغة الاجتماعى" فى بعض اللسانيين التوليديين فى المدرسة التشومسكية، فاهتموا بدراسة السياق، وانضموا إلى حقول معرفية أخرى تبحث فى العملية الكلامية ضمن سياقاتها المختلفة، و ظهرت فى السنوات الأخيرة "نظرية النحو الوظيفى" ليسمون ديك" (Simon Dick)، وهى فى الأصل نظرية بنيوية تأثرت بالمنهج التداولى [٢]، وقد أثر النحو التوليدى فى بعض التداوليين مثل

قوامه جملة محدودة من المبادئ العامة سمّاها تشومسكى "الكلّيات النحوية"، وهى موجودة فى كل اللغات.ولم يتناول تشومسكى علم الأصوات منفرداً إلا فى كتابه(النظام الصوتي للغة الانجليزية)(The Sound Pattern of English)(١٩٦٨م)، وقد شاركه فى تأليف هذا الكتاب العالم المعروف موريس هالى (Morris halle) ، ولد موريس هالى عام (١٩٢٤م)، وتتلمذ على يد جاكبسون الذى كان يعمل فى حقل علم اللغة فى جامعة هارفرد، ونال درجة الدكتوراه فى علم اللغة بإشرافه.ارجع إلى: الألسنية التوليدية والتحويلية، ميشال زكريا، ص ٢٠

١) ارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب، ص١٥ وما بعدها، وقواعد تحويلية للغة العربية: محمد على الخولى- الرياض- دار المريخ للنشر- الطبعة الأولى، ١٩٨١م.، ص١٨، ١٩، وسيميائية التواصل وفعالية الحوار، أحمد يوسف، منشورات مختبر السيميائيات وتحليل الخطاب، جامعة وهران، ط١/ ٢٠٠٤م، ص٥٤، وقضايا أساسية فى علم اللسانيات الحديث مدخل، مازن الوعر، دار طلاس للدراسات، دمشق، والترجمة والنشر، ط١، ١٩٨٨م، ص٣٢٠.

٢)ارجع إلى: التداولية عند العرب، ص١٥: ٢٠، هنالك بعض الجوانب الإيجابية التى حققها تشومسكى وأتباعه فى حقل اللسانيات وأبرزها الاهتمام بالقواعد اللغوية التى تركتها التداولية، والمشكلة حسب رأى نقاد تشومسكى لا تكمن فقط فى المفهوم المثالى للمقدرة اللغوية، بل تكمن أيضاً فى نسبية هذا المفهوم، وعابوا عليه أنه عزل السلاسل النحوية التي تولد الجمَل الصحيحة عن السلاسل غير النحوية التي تولد الجمل الخاطئة ثم أن ندرس البنية التركيبية لهذه السلاسل، و قدعالج بعضهم علاقة شكل الجملة بالقبول أوصحة المعنى، فتحدثوا فى اللسانيات التوليدية عن درجات القواعد ودرجات القبول فى اللغة، وتناولوا أمثلة اعتبرت غير نحوية و تبين أنها مقبولة فى بعض اللهجات، وظهر اتجاه من اللسانيين الاجتماعيين الأمريكيين (Sociolinguistis) فى أواخر الستينات أمثال روز، ومكولى، ولايكوف، يرى ضرورة الربط بين القواعد والمعانى، وأثبتوا أن اللسانى لا يستطيع أن يدرس النحو بمعزل عن المعنى، قال لايكوف (١٩٧٢): "لكى نعرف عمل قواعد لغوية عدة على نحو صحيح علينا أن نرجع إلى السياق الاجتماعى للغة، وكذلك إلى الخلفيات والافتراضات التي يضمنها المتحدثون المشاركون في الخطاب". ارجع إلى: نظرية تشومسكى اللغوية، جون ليونز، ترجمة وتعليق حلمى خليل، دار المعرفة الجامعيّة، الأسكندرية، ط ١، ١٩٨٥، ص ٢٩، والمدارس اللسانية فى التراث العربى، وفى الدراسات الحديثة، دار الحكمة، محمد الصغير بنانى، الجزائر، ص ٧٦

روس (Ross) الذى جعل بعض الأحوال البراجماتية خلفية لتفسير منطوقات لغوية فى النظرية الدلالية فى النحو التوليدى - وهو يفرق فى نظرية الأفعال الكلامية بين الجمل الإخبارية والجمل الأدائية - وأدرج روس الفعل الإنجازى فى التمثيل الخاص بالبنية العميقة منطلقاً من أن كل الجمل الملفوظة يجب أن تتضمن فى شكلها الأساسى مكونات تمثل محتواها القضوى ودورها الإنجازى، ومن ثم استنبط كل الجمل من الأبنية العميقة التى تشتمل على جمل "جمل أدائية" جملة عليا، تتكون من فاعل، وهو الشخص الأول وفعل أدائى ومفعول غير مباشر، وهو الشخص الثانى (المتلقى) (١)، ويمكن حذف الجملة الأدائية العليا بشروط معينة على أن تغنى عنها جملة خبرية تتضمنها، مثل قولك: أنت على حق، تتضمن محذوفاً: أقول أنت على حق، فالفعل الإنجازى "أقول" حذف لتضمنه فى جملة القول (أنت على حق)، وهذا يتكرر فى سياقات كثيرة، وقد تناول النحاة والبلاغيون هذا فى مواضع حذف الفعل فى العربية، وهذا يستخدم فى سياق الجمل الأدائية الطلبية أو الإنشائية كالاستفهامية والأمرية، وبعض السياق التى تتضمن معانى خاصة كالسخرية والتعجب، والفعل الإنجازى المقدر قيد هذا المعنى مثل قول القائل سخرية: أنت حليم عاقل، يريد السخرية والتهكم استنكاراً لقوله أو فعله، وهذه الوجوه استوفاها علماء العربية قديماً بيد أن بعض معاصرينا انقطعوا عن هذا التراث، فظنوا أن ما جهلوه عن القدماء وليد عصرنا! و"ليس كل جديد على السمع وليداً"، ونلاحظ أن روس يحلل التراكيب فى السياق البراجماتى بمساعدة الجمل الأدائية، وهذا معيار عام عنده، وهو موضع نقد أيضاً، لأن نمط الفعل الكلامى نمط واحد من أنماط التعبير الأخرى، وبعض أنماط الفعل غير مرتبطة بالصيغ الأدائية، وأضيف إلى هذا أن الجمل الأدائية مرتبطة بالسياق والمنهج التحويلى يستبعده من التحليل مكتفياً بالشكل اللغوى الذى قسمه إلى بنية سطحية وأخرى عميقة تستخرج منها أو تولّد منها، وأن الاعتماد على الجملة الخبرية فى معرفة فعل الأداء ليس كافياً فى كل الجملة كما أن الجمل التى تولد من فعل الأداء قد تكون غير خبرية، مثل: أتعجب أو أقول: لماذا تقف هنا؟ كما أن الفعل الإنجازى مستقل عن الصيغة النحوية فى بعض السياقات، كقولى الأدائى: افتح النافذة!وهو فعل أمر طلبى، فيفتح المتلقى النافذة، فالفعل هنا وقع خارج اللغة، ولو

Lakoff, R (١٩٧٢) "Language in context" in: Language p: ٩٠٧-٩٢

١) ارجع إلى: تطور علم اللغة منذ ١٩٧٠م، جرهارد هلبش، ترجمة د.سعيد بحيرى، مكتبة الزهراء، ص١٧٤، ١٧٥.

قلت : ما اسمك؟ تقول: اسمى محمود، القول هنا خبر ونوعه إنجاز قولى، ومن ثم الإنجاز نوعان: قولى وعملى (فعلى)، وقد خلط بعض المعاصرين بين مفهوم الفعل عند النحاة المرتبط بمعنى صيغة الفعل ومفهوم الفعل عند الأصوليين المرتبط بالإنجاز فى الواقع مثل: فلان يصلى، الفعل عند النحاة فى زمن الحال، ويراد زمن الحدث، وهو عند الأصوليين: فعل واقعى مشروط بشروط صحة الصلاة كالوضوء والاتجاه نحو القبلة واستيفاء أركان الصلاة وأقوالها الشرعية، والنحاة يقفون عند الحدث اللغوى، فلو قال قائل قولاً غير صادق، صحيح نحوياً، ولكنه لوقال كلاماً غير مفيد فهو فاسد نحوياً، كقول فرعون: (أنا ربكم الأعلى) [النازعات: ٢٤] قول مفيد، ولا يبطله نحوياً بطلان ما أخبر به فرعون عن نفسه، وتصنيفه فى الكذب خارج دراسة علم النحو، فتقييم الأخبار المفيدة من عمل النحو وتقييم الصدق والكذب مرجعة الجهة المنوطة بمعرفته كعلم السامع وإيمانه أومخالفة الخبر الواقع أو لمناقضته العرف والوعى، ومن ثم بعض ما نراه صحيحاً باطلاً عند غيرنا بل بعض ما نألفه ونتخذه عرفاً قد يكون باطلاً بيد أن كل ما نقوله صحيحاً أو باطلاً قيد نظام نحوى لا يصح دون الفائدة وسلامة القاعدة.

ح. علم اللغة النفسى (Psycholinguistics):

علم اللغة النفسى [1] فرع من علم اللغة، يدرس العوامل النفسية والعصبية الحيوية والعقلية المعرفية التى تمكن الإنسان من اكتساب اللغة وتؤثر فيها والتى تحدث فى أثناء فهم

---

١) علم اللغة النفسى وعلم النفس اللغوى، والأول الأرجح فى الدرس اللغوى الذى يعالج تأثر اللغة بالعامل النفسى، ويرجع الفضل فى نشأته إلى تشومسكى الذى تبنى الاتجاه العقلى الذى أشاعه ديكارت، وقد ظهر عند تشومسكى فى حديثة عن طبيعة اللغة ووظيفتها ومنهج دراستها وتحليلها، و أساليب اكتسابها، والتى عدت ثورة على البنيويين الذين عالجوا اللغة معالجة شكلية وعلى السلوكيين الذين يرون اللغة سلوكاً آلياً، تكتسب كما تكتسب العادات السلوكية الأخرى، ودعا إلى التعمق فيها ودراسة جوانبها وأسرارها العقلية المعرفية، فاللغة عنده أشكال سطحية وأبنية عميقة ونظام فطرى عالمى كامن فى العقل. وقد تناول هذا فى كتابة الأبنية النحوية. وأدى هذا إلى: الاهتمام بالجوانب النفسية، وهو الأساس الذى قامت عليه النظرية التوليدية التحويلية التى تهتم بالجانب العقلى المعرفى فى اللغة، ومن ثم عد تشومسكى من علماء النفس، ومن مؤسسى علم اللغة النفسى الذى يعد الوجه الحقيقى لعلم اللغة بالمفهوم المعرفى الفطرى.ارجع إلى: علم اللغة النفسى، الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم العصيلى، عمادة البحث، وزارة التربية والتعليم السعودية، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص٢٦، وما بعدها.واللغة والطفل، دراسة فى ضوء علم اللغة النفسى ، الدكتور حلمى خليل، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧م، ص١٩.

اللغة واستعمالها، ويدرس قدرات المشاركين التي لها أثر كبير في أدائهم اللغوي (الانتباه و الذاكرة والشخصية، وعيوب النطق والتعلم)، ولا يطلق على الكلام لغة إلا إذا أدى وظيفة نفسية قائمة على التحليل والتصور ورد الفعل، ولا تدرس اللغة بمعزل عن عن العوامل النفسية والعقلية والاجتماعية، وللبراجماتية اللسانية علاقات مباشرة مع اللسانيات النفسية واللسانيات العصبية (دراسة اللغة في المخ) (١)، وهنالك علاقة بينها وبين علم النفس الإدراكي فيما يتعلق بمعالجة قضايا اللسان وإنتاجه وتطور مفاهيم القوة الإنجازية والتضمينات والافتراضات السابقة ؛ ويساعد علم نفس النمو في اكتساب اللغة ودور السياق في اكتساب الطفل اللغة، وقد نتج عن التلاقح بين البراجماتية اللسانية "البراجماتية اللسانية النّموية "أو ما يعرف بـ"تداولية النّمو" (٢)، وهي التي تدرس تطور استعمال اللغة في المراحل العمرية.

وأكدت الدراسات اللسانيات النفسية على عملية التطور في اللغة على العكس مما ذهب إليه تشومسكي، وللمدرسة النفسية "بالو ألتو" (Palo Alto) جهود في الدراسات اللغوية الحديثة، وهي التي تأثربها جمبرز في اللسانيات الاجتماعية العرقية (الإثنولوجية)، وقد عالجت اللغة في ضوء التواصل والمؤثرات النفسية (٣)، وقد ولدت " نظرية الملاءمة " من

---

١) يدرس علم اللسانيات النفسي أو "علم اللغة النفسي" العمليات العقلية للفهم والإدراك بأدوات مستقاة من اللسانيات، وأخرى من علم النفس، وتأثراللغة بالعمليات العقلية غير المباشرة. وهناك ثلاثةُ أسئلةٍ رئيسة يحاول هذا علم اللغة النفسي الإجابةَ عليها: كيف يكتسب الإنسان اللغة؟ وكيف يفهمها؟ وكيف ينتجها؟. وتعد دراسات اكتساب الأطفال للغة، وتعلم الأفراد لغة ثانية دراسات لسانية نفسية في الأساس، ويسعى الباحثون في هذا المجال لتطوير نماذج (models) تبين كيف تكتسب اللغة وتتطور وتستخدم، وكيف يتم فهمها باستخدام دلائل مما يحدث نتيجة استخدام اللغة بشكل غير معياري، ويهتم هذا الفرع أيضاً بدراسة مشاكل اللغة والتخاطب مثل صعوبات الكلام (Dyslexia) أو احتباس الكلام: الحبسة (Aphasia).علم اللغة النفسي، الدكتور عبد العزيز بن إبراهيم، وزارة التعليم العالي، ص٣٣، ٣٤، واللغة والدماغ، لورين أوبلر وكريس جيرلو، ترجمة محمد زياد يحيى، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك محمد بن سعود، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، ص: س، وما بعدها.

٢) ارجع إلى: المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ص٢٦. و مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، يونس: ص١٣. والتداولية عند العلماء العرب، مسعود صحراوي ، ص٢٠.

٣) بالو ألطو اسم ضاحية في سان فرانسيسكو بولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، تضم المدرسة التي حملت هذا الاسم كريكوري باتيزون، بول فاتسلافيك، جون روش، وآخرين. وهي مدرسة نفسية أسست في الستينات من القرن المنصرم. ارجع إلى: علم اللغة النفسي ، ص٢٥، وما بعدها، و ارجع إلى: التداولية والحجاج، ص ١٢٩، و علم الأثنولوجيا (Ethnology): علم الأعراق البشرية، وهو من لفظ الكلمة اليونانية "νθρωπος"

رحم علم النفس المعرفى، وهى تفسر الخطاب وظواهره البنيوية فى الطبقات المقامية المختلفة.

والحديث هنا يستوجب الإشارة إلى أن علم النفس فى الغرب نحا نحواً مادياً فى القرن التاسع عشر تأثراً بالمنهج التجريبى، وقد اعتد بالظواهر النفسية الحسية فقط، وكانت اللغة من مباحث علم النفس، وتأثرت بهذا الاتجاه، وظهر فى البنيوية اتجاه نفسى يعالج علاقة اللغة بالظواهر النفسية التى تتعلق برد الفعل وما يترتب عليه من استجابة لفظية.

ط. تحليل الخطاب (Discourse Analysis) (١):

يهدف تحليل الخطاب إلى إعطاء وصف صريح ومنظم للوحدة اللغوية تحت الدراسة فى

(إنسان) و"λογία" (علم)، وقد انتقلت إلى الإنكليزية عام ١٥٩٣م ، وهو علم يبحث فى أصول الشعوب المختلفة وخصائصها وتوزّعها وعلاقاتة بعضها ببعض، ويدرس ثقافاتها دراسةً تحليلية مقارنة، وهو قريب الصلة بعلم الأنثربوجيا: علم الإنسانيات أو علم دراسة الإنسان ، وعلم الأثنوجرافيا: علم الأجناس البشرية.

١) كلمة خطاب(Discourse) بالإنجليزية، و(Discours) بالفرنسية ترجع إلى الكلمة اللاتينية (Discursifs)، وترجع البدايات الأولى لتحليل الخطاب فى العصر الحالى إلى أعمال زيلج هارس Zellig Harris فى أوائل الخمسينات من القرن العشرين ، (وهو الذى وضع اسم هذا الحقل تحليل الخطاب في مقال نشره فى مجلة Language بعنوان تحليل الخطاب) ، وبدأ العمل التطبيقى فى منتصف الستينات، فقد أفردت مجلة الاتصال Communication الفرنسية عام ١٩٦٤م عدداً خاصاً أسهم فيه عدد من الباحثين الذين وضعوا الأسس الأولية لمشروع تحليل الخطاب، وهم بارت، وميتز، وتودوروف، وبريموند، ومن الموضوعات التى ظهرت فى ذلك العدد: تحليل نقدى جديد لبروب ، تطبيق اللسانيات الحديثة والسيميوطيقا على الأدب، تحليل الفيلم، مقدمة فى السيميولوجى. وصدربعد عامين عدد آخر من المجلة نفسها أسهم فيه بارت، وميتز، وتودوروف، وبريموند، وجريماس ، وأمبرتو أكو، وجينيت، صدر كتاب هايمز (Hymes) اللغة فى الثقافة والمجتمع " عام ١٩٦٤م، وقد ظهر فى هذه توجه إلى دراسة موضوع الخطابة والاتصال الذى تطور فيما بعد إلى تحليل خطاب أثنوجرافيا الكلام، وقد ظهر هذا الاتجاه نتيجة التفاعل بين اللسانيات البنيوية والأنثروبولوجيا، وكان له أثره فى الاهتمام بدراسة استعمالات اللغة والخطاب وأشكال الاتصال، وشارك فى هذه الدرسات عدد من الباحثين الاجتماعيين والأنثروبولوجين واللغويين، أمثال مالينوسكى، وبواز، وجرينبرج، وليفى شتراوس، وسابير، وفيرث، وغيرهم. و نشأت مدرسة علم اجتماع اللغة فى شكله الجديد الذى يركز على السياق الاجتماعى والثقافى والتاريخى إضافة إلى اهتمامها بالخطاب والفنون اللغوية الأخرى، وهى الجوانب التى تدرسها التداولية.ارجع إلى: تحليل الخطاب، براون ويول، ترجمة الزليطنى والتريكى، جامعة الملك سعود، النشر العلمى والمطابع، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م، ص: ى، ولغة الخطاب السياسى، دراسة لوية فى ضوء نظرية الاتصال، الدكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، مصر، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م، ص٣٤، والنص والسياق، استقصاء البحث فى الخطاب الدلالى والتداولى، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنينى، أفريقيا الشرق، ط١/ ٢٠٠٠م، ص١٧، وما بعدها.

إطار بعدين لهذا الوصف ، هما: النص (text) والسياق (context) (١)، وأولهما يتوجه إلى بحث بنية الخطاب فى ضوء مستويات الوصف، والبعد الثانى السياقى يقوم بربط تفسيرالبنية النصية بالسياق وخصائصه الإدراكية والاجتماعية والثقافية، وهذا البعد الأخير موضوع التداولية وهدفها، فتحليل الخطاب عبارة عن تحليل استعمالات اللغة، فالهدف من التحليل ليس البنية اللغوية بل المعنى المرتبط بظروف الإنتاج، فالخطاب الشكل التفاعلى وليس النص اللغوى الثابت، ويتطلب تحليل الخطاب استرجاع الظروف التى أدت إلى إنتاج النص (تحليل السياق الخارجى)، و من ثم السياق جزء أساس من عملية تحليل الخطاب.

وتحليل الخطاب متصل بعلم الاتصال، ويدرس قيمة الخطاب الحوارية ((valeur dialogique du discour التى تكتسب العلامة شرعيتها منها من خلال تواصل المتكلم مع المتلقى، ومن ثم تتحقق قيمة العلامة ضمن الفضاء الحوارى (٢)، ورفضت نظريات تحليل

---

١) لقد أشار دى بيجراند (Debeaugrande) إلى وجود اتجاهين: الأول ـ الأعمال التى قام بها كينيث بايك (Pike) وزملاؤه ، فقد وجدوا أن تحليل الخطاب عنصر أساسى فى تطور حقل الأنثروبولوجيا فى مجال اللغات غير المعروفة (أو قليلة المعرفة)، ويواجه الباحث الميدانى صعوبة عندما يحاول تحليل اللغة دون مساعدة من قواعد أو قواميس تلك اللغة ، وقد لا يجد مترجماً ، فيعتمد فى تحليل تلك اللغة على استنتاج طبيعة الكلمات والجمل ومعناها من سياق استعمالها الاجتماعى، ومن ثم فإن هذا الاتجاه يؤلف بين العوامل اللغوية والعوامل غير اللغوية . الاتجاه الثانى ـ نشأ من أعمال زيلج هارس (Zellig Harris) فى أوائل الخمسينيات ، فقد اقترح هارس أن يكون هناك توجه فى اللسانيات لدراسة توزيع تدفق الكلام وترتيبه والربط بين أجزائه، وعرف بالتحليل التوزيع (Distributive Analysis) ، واقترح أيضاً البحث عن أنماط خطابية باكتشاف وحدات وبنيات شكلية متساوية بين الجمل التى يتكون منها الخطاب.ارجع إلى: لسانيات النص، محمد الخطابى، المركز الثقافى العربى، البيضاء – بيروت ١٩٩١، ص ٢٩.

٢) يرى الفيلسوف هـ.ب. جرايس (١٩٧٥م) أن للكلام دلالات غير ملفوظة يدركها المتحدث والسامع دون علامة معلنة أو واضحة، وفسر هذا بمثال: "ألا تزورنى؟" فلا يفهم السامع من ظاهر الجملة أنها سؤال، بل يفهم أنها دعوة للزيارة، وقد اتجه البحث فيما يعرف بتحليل الخطاب إلى استنباط القواعد التى تحكم مثل هذه الاستدلالات أو التوقعات الدلالية، وهو مما يصل هذا الحقل بحقل آخر يعرف بـ "نظرية القول الفعل" (Speech Act Theory) و بالسيمياء أو علم العلامات من حيث هو بحث فى القواعد أو الأعراف التى تحكم إنتاج الدلالة، وتحولت اللغة من النص إلى الخطاب فى شكله التفاعلى، واستطاع فوكو أن ينقل الخطاب من الإطار التقليدى إلى مجالات أوسع، فرأى أن الخطاب عبارة عن شبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التى تبرز فيها الكيفية التى ينتج فيها الكلام كخطاب ينطوى أيضاً على الهيمنة والمخاطرة ، وإنتاج الخطاب فى مجتمع ما إنتاج مراقب أو منتقى ومنظم ومعاد توزيعه من خلال بعض الإجراءات التى يكون دورها الحد من سلطاته

الخطاب و تحليل النص التقيد بقواعد الجملة عند تشومسكى، وأظهر تحليل المحادثات اللغوية أهمية البعد الاجتماعى فى دراسة اللغة (١).

ى. علم اللسان البراجماتى (Linguistics pragmatic) (٢):

فرع حديث فى علم اللسان الحديث، وهوالعلم الذى يعالج براجماتية الفعل والبراجماتية الاجتماعية، ويعالج نظرية الفعل الكلامى أونظرية الحدث اللغوى، ومن ثم يطلق عليه بعض اللسانيين علم لغة الأداء، وهو يتداخل مع علم لسان النص ونظرية النص القائمة على التواصل، وليس للنهج القضوى، وعلم اللسان الاجتماعى وعلم اللسان النفسى، وهذا العلم لم يصل إلى درجة النضج، وأرى أنه قد يعمل به لفترة، ثم يصبح علماً مستهلكاً ينصرف الباحثون عنه مثل "البنيوية" و"الأسلوبية" و"الخطاب" و"السردية"؛لعدم اكتمال نسقه، فهو امتداد للبراجماتية اللسانية (التداولية)، وهذا شأن الاتجاهات التى تختزل الكليات فى الفروع الفروع، فالبراجماتية اللسانية اختزلت اللغة فى الاستعمال السياقى، والبنيوية اعتدت باللفظ دون المعنى، واللفظ لاحق على المعنى، وهما وجهان لا ينفصلان وليسا بمتضادين،

ومخاطره والتحكم فى حدوثه المحتمل وإخفاء ماديته، ويرى جاكبسون أن عملية التخاطب(التواصل) وظيفة، فالمخاطِب تتولد عنه الوظيفة التعبيرية(Fonction Expressive) والمخاطَب تنتج عنه الوظيفة الإفهامية(F.Conative)، والمقام يولد الوظيفة المرجعية (F.Rèfèrentielle)، و ينتج عن الخطاب الوظيفة الشعرية أو الإنشائية (F.poetique)، وعن الصلة أو قناة التخاطب، تتولد الوظيفة الانتباهية (F.phatique)، وتتولد عن وضع الخطاب الوظيفة المعجمية (F.mètalinguistique). الشعرية، تودوروف، ترجمة شكرى المبخوت ورجاء بن سلامة، الدار البيضاء، المغرب، ص١٦. واللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين: الشفهى والكتابى) ، عبد الجليل مرتاض، دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص٤١، ٤٢

١) لقد تبنيت اتجاهاً تحليلياً يجمع بين منهج المتقدمين والمحدثين فى تحليل الخطاب المعاصر، ولكن نشر هذا التحليل فى الصحف التابعة للسلطة بتر كثيراً من جوانبه وعدّل فيه وحذف وقوض أركانه وسيّسه، وقد لامنى بعض من أثق بهم على تورطى فى توجيهاتالصحيفة السلطية، وعدوا كتابتى التى يعدل الناشر أو المحرر مساهمة فى هذا النظام، فاستعذت بالله تعالى أن أكون عوناً للظالمين، فتوقفت عن الكتابة بعد أن عزمت أن أقدم منهجاً صحفياً جديداً فى التحليل يقوم على الواقع السياسى الحقيقى، فحال المتسلطون دون هذا، وأرجو أن يكشف الله تعالى ما نحن فيه، والطريف أن بعض المعلقين من الصحفيين والمعلوماتيين كانوا يعرفوننى بأننى عضو الحزب الحاكم، ولست من المتحزبين للأحزاب، ولم يفهموا ما وراء تحليلى على ما تعرض له من بتر وتغيير وعنونة وأسلوب التعريض الذى أستخدمه فى الصحيفة التى تخضع لنفوذ السلطة!

٢) ارجع إلى تاريخ علم اللغة، هلبش، ص٢٢٥، ٢٢٦

والبراجماتية اللسانية رد فعل مثالب البنيوية التى أخرجت المعنى والسياق والمجتمع من البحث اللغوى بيد أنها انصرفت عن دراسة اللفظ والتركيب النحوى والمتكلم واهتمت بالسياق والتلقى وفهم المتلقى متأثرة بالصراع الذى قام بين أنصار معنى النص وأنصار إنتاج النص فى السياق الاتصالى، وما ترتب عليه من التعصب للنص أو للمتكلم أو للمتلقى، وقد مالت البراجماتية إلى المتلقى مثلما فعلت التقويضية (التفكيكية)، ومآل هذا الجدل إلى زوال بعد أن تستهلكه الأقلام والألسنة.

ك. علم الاتصال (Science of Communication) (١):

ترجع أهمية الاتصال فى أنه عملية نفسية واجتماعية تستجيب لرغبة الإنسان فى التواصل لتحقيق غرضه، ويوضح هارولد لاسويل عملية الاتصال بدراسة القائل والمتلقى والقول أو الرسالة والوسيلة و أثر القول، ويقع فى التداولية ضمن استعمال اللغة والقصد، وذلك فى دراسة اللغة فى علاقتها بمستخدميها، وميزت التداولية بين معنيين فى كل ملفوظ أوكل فعل تواصلى لفظى: الأول. القصد الإخبارى أو معنى الجملة. والثانى. القصد التواصلى أو معنى المتكلم فى ضوء السياق، وقد استبعده علم اللغة التقليدى الغرب، واعتنى بالتراكيب والمعانى، واستدركت التداولية (أو التبادلية) هذا الجانب، وجعلته فى مقدمة بحثها، فاللغة. حسب منهجها. لا تنعزل عن استخدامها ولا تنحصر الدراسات اللغوية فى علمى النحو والمعانى، بل تتفاعل مع محيطها وتتأثر بمستخدميها، واستفادت من معطيات نظرية علم الاتصال فى دراسة استعمال اللغة (٢)، وقد نشأ داخل علم الاتصال الاتصال اللغوى الذى

---

١) نال الاتصال اهتماماً كبيراً، وظهرت نظرية تتبنى قضاياه عرفت بنظرية الاتصال(Communication theory).ارجع إلى: الاتصال والسلوك الإنسانى، روبن برنت، ترجمة نخبة من المترجمين، ط جامعة الملك سعود، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، ص١٥، وما بعدها، وص٧٦، ولغة الخطاب السياسى، دراسة لغوية فى ضوء نظرية الاتصال، الدكتور محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٤م، ص١٥ وما بعدها، والاتصال في مجالات الابداع الفن الجماهيرى، الدكتور محمد عبد الحميد، عالم الكتب، ط١، ١٩٩٣، ص٢٥، البحث العلمى فى الدراسات الإعلامية، الدكتور محمد عبدالحميد، عالم الكتب، ط١، ٢٠٠٠، ص١٨، نظريات الاعلام، الدكتور حسن عماد مكاوى، الدار العربية للنشروالتوزيع، ط١، ٢٠٠٧، ص١٢٩، الاتصال، الدكتور فضيل دليو، دارالفجرللنشروالتوزيع، ط١، ٢٠٠٣م، ص٢٧

٢) دليل الناقد الأدبى، ميجان الرويلى وسعد البازعى، المركز الثقافي العربى، الدار البيضاء، المغرب، ط٣/٢٠٠٠، ص١٦٩، النظرية التواصلية: إن الوظيفة الأساسية للغة الوظيفة التواصلية بين مرسل و مرسل إليه،وعلى هذا

يعنى بدراسة الشفرات اللغوية فى مقابل الاتصال غير اللغوى (الحركات البدنية والتعبيرات الحركية والسلوكية والرموز)، وقد حاولت البراجماتية إقامة علاقة بين المعنى المعجمى (أو المعنى الحرفى تريد به المعنى المباشر والمعنى النحوى) والمعنى السياقى فى مواقف معينة ومعنى الفعل الذى ينتج عن التفاعل الاجتماعى، وحاولت أيضاً إدراج المعنى اللغوى فى علاقات أعم منطقياً، وهنالك فرق بين المعنى المعجمى (الحرفى)والمعنى السياقى والقصد التواصلى، فالمعنى الحرفى (المباشر) مختلف عن السياقى بيد أنه يعبر عن معنى من معانى اللفظ أو التركيب، ويفهم فى إطار لغوى، والمعنى السياقى لا يفهم مقطوعاً عن سياقه، وله أبعاد أخرى تؤثر فيه كالجانب النفسى والاجتماعى والاتصالى والمقام الخارجى بمفهومه البلاغى. وقد نشأ فى ظل علم الاجتماع ما يعرف بأفعال التواصل التى تعبر عن منطوق تفاعلى، وهذا الاتجاه يقسم اللسان إلى نظام القواعد النحوية ونظام القواعد التواصلية، ويدخل فيها الجانب الطبيعى للمنطوق اللفظى (الفيزيائى): البنية الصوتية والصرفية والنحوية فى الخطاب المنطوق، فلهذه العناصر أثر فى المعنى والتواصل.

مجال البحث البراجماتى (التداولى):

تقسم البراجماتية اللسانية العامة (General Pragmatics) التى تعالج الاستعمال اللغوى فى ضوء السياق إلى البراجماتية اللسانية (التداولية) (Linguistic Pragmatics) والبراجماتية الاجتماعية (Sociopragmatics)، والأولى تدرس التركيب اللغوى فى ضوء الاستعمال فى الخطاب المباشر، فتنطلق من اللغة إلى السياق الاجتماعى، وتستخدم لغة معينة لنقل أفعال إنجازية معينة، والثانية تدرس شروط الاستعمال اللغوى المستنبطة من السياق الاجتماعى، فتنطلق من السياق الاجتماعى إلى التركيب اللغوى، وتدرس العناصر الاجتماعية فى الخطاب التى تؤثر فى الاستعمال اللغوى وتساعد فى فهمه (١).

وقد ظهرت فروع أخرى متأثرةً بالمجالات العلمية التى تداخلت مع البحث

المبدأ بنى أغلب اللسانيين نظرياتهم فيطلق عليها (رومان ياكبسون) وظيفة إقامة الاتصال، ويقول "أندرى مارتينيه" فى هذا الصدد " وفى نهاية المطاف فإن التبليغ أى التفاهم المتبادل هو الجدير بالاعتبار كوظيفة مركزية لهذه الوسيلة التى هى اللسان.

١) ارجع إلى: التداولية والحجاج، ص ١٣٠

البراجماتية[1] مثل: البراجماتية التطبيقية (Applied Pragmatics)، وهى تعالج مشكلات التواصل فى المواقف المختلفة فى موقف بعينه كالمحاكمة والمناظرة، والبراجماتية الاستراتيجية التى ترى أن البراجماتية اللسانية (التداولية) نظرية غير ذهنية للقصد الخطابى، والبراجماتية المتعالية التى ترى أنها الأداة المتميزة فى تحقيق المشروع الفلسفى، وتنحو نحواً أخلاقياً، والبراجماتية الحوارية، وتدرس الشروط التى تسبق التواصل، وهى تبحث عن نظرية ملائمة تتعلق بالاستعمال التواصلى للغة (٢)، والبراجماتية التعليمية (أواللغة البيئية البراجماتية، والأرجح الأول؛لأنها تتناول استعمال اللغات الأجنبية)، وهى التى تدرس لغة المتعلم غير الأصيلة، وتعالج فهم الأجنبى اللغة التى تعلمها وإنتاج الفعل الكلامى من اللغة التى تعلمها وتطوير الكفاءة التداولية مع مرور الزمن (٣)، ويساهم فى هذا الفرع علم اللغة الإثنى (العرقى) علم اللغة النفسى وعلم اللغة الجغرافى وعلم اللغة الاجتماعى وعلم اللغة التطبيقى الذى يهتم بتعليم اللغات (٤).

وتبحث البراجماتية اللسانية المعاصرة الجوانب الآتية: الإشارة ((Deixis، (وتسمى العناصر الإشارية أو الإحالية، أوالإشاريات، أوالإحالات)، والافتراض السابق

---

١) لقد تناولت التداولية دراسة الظواهر النفسية والاجتماعية الموجودة داخل أنظمة العلامات بشكل عام أو داخل اللغة بشكل خاص، ودراسة التصورات التجريدية التى تشير إلى الفاعلين، ودراسة المفردات الإشارية، و تقسم التداولية العامة إلى اللسانيات التداولية و التداولية الاجتماعية، فالأولى تدرس الاستعمال اللغوى من ناحية التركيب، ويمكن تطبيقها فى دراسة الهدف اللسانى من التداولية و المصادر التى توفرها لغة معينة لنقل أفعال إنجازية معينة ، وتتحدث التداولية اللسانية عن الهدف أو الوظيفة، وهو حقل تغلب عليه التجريدية، والثانية تدرس شرائط الاستعمال اللغوى المستنبطة من السياق الاجتماعى، وتعنى بالشروط والظروف الأكثر محلية المفروضة على الاستعمال اللغوى، وهو حقل أقل تجريداً من الأول ، فاللسانيات تنطلق من التركيب اللغوى إلى السياق الاجتماعى، والثانية تنطلق من السياق إلى التركيب، فالتداولية تدرس المعنى فى ضوء علاقته بموقف الكلام، وهنالك التداولية التطبيقية التى تعنى بمشكلات التواصل فى المواقف المختلفة، والتداولية العامة التى تدرس الأسس التى يقوم عليها استعمال اللغة .

٢) الاتجاه التداولى فى البحث اللغوى المعاصر (فى اللغة والأدب)، ص١٦٨

٣) ارجع إلى: المقاربة التداولية، أرمينكو، ص٨، وما بعدها، و مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، يونس، ص١٣، وعلم التخاطب الإسلامى، يونس، ص٤٤. وارجع إلى: مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفرى سامسون، المقدمة، ص: ح، ط.

٤) ارجع إلى: مدارس اللسانيات، التسابق والتطور، جفرى سامسون ، المقدمة، ص: ح، ط.

(Presupposition)، والاستلزام الحواري (أو المحادثي) (Conversational Implicature)، والأفعال الكلامية (Speech acts) (١)، واستخدم بعضهم متضمّنات القول ((Les Implicites، وهو مفهوم برجماتي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره، وسأتناول "نظرية الملاءمة المقامية" (Theory of relevance) التي تدرس دلالة الأفعال وتأوليها وفق المعطيات الخارجية (٢)؛ لصلتها بالمبادئ الحوارية، ولها مفهوم قديم مشهور في التراث البلاغي العربي (٣)، وتعد نظرية

---

١) المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات، أي مصطلحات لأي لسانيات؟ مصطفى غلفان، مجلة اللسان العربي، العدد٤٦، ١٤١٩-١٩٩٨، ص١٥٩، ونظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، هاشم طبطبائي، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤م، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، ط١، ٢٠٠٢، ص٤٤

٢) ارجع إلى: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية، عبد السلام عشير، ص٢٥، ويسميها بعض التداوليين نظرية الملاءمة، وهي تسمية حرفية، والصواب "نظرية المناسبة"، وهو المصطلح التراثي الذي يتضمن المفهوم الذي طرح به (Théorie de la pertinence) (theory of relevance)، ومعناه في المصطلح الأجنبي: الصلة، والملاءمة، ومناسبة الموضوع والكلام، ويعني الصلة بموضوع الخطاب، وتعتمد النظرية على التحليل الخارجي للأقوال المرتبط بالوقائع الخارجية، وقد ساهمت في إبراز القيمة البراجماتي للكلام.

٣) نظرية المناسبة أو الملاءمة: الاعتدال في القول والتوسط مراعاة لمقام القول ومستوى المتلقي، وهي نظرية عربية أصيلة، وتعد أصل البلاغة، وعبر عنها البلاغيون بقولهم "لكل مقام مقال". ونقل الجاحظ عن بشر بن المعتمر المتكلم "أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات؛ فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات". البيان والتبيين ١/١٣٦-١٣٧، واستخدم الجاحظ هذه العبارة في معالجة الخطابة وقضايا الشعر، واستخدمها كذلك أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، العسكري، ص٢١، وقال "السكاكي": "إذا شرعت في الكلام، فلكل كلمة مع صاحبتها مقام". مفتاح العلوم، السكاكي، دار الكتب العلمية، ص١٧٠، وقال حازم القرطاجني: " وليس يُحمد في الكلام أيضاً أن يكون من الخفة بحيث يوجد فيه طيش، ولا من القصر بحيث يوجد فيه انبتار،لكن المحمود من ذلك ما له حظ من الرصانة لا تبلغ به إلى الاستثقال وقسط من الكمال لا يبلغ به إلى الإسآم والإضجار ..... فلا شفاء مع التقطيع المخل ولا راحة مع التطويل الممل ". منهاج البلغاء وسراج البلغاء، ص١٩، وقال تمام حسّان: "وحين قال البلاغيون لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبتها مقام، وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على السواء، ولم يكن "مالينوفسكي"، وهو يصوغ مصطلحه الشهير "سياق الحال" (context of situation) يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها". اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، ، ص٣٧٢.

"أفعال الكلام" محور البحث البراجماتى اللسانى، وتوجد لبعض عناصرهذه النظرية جذور فى تراثنا الأصولى والبلاغى (١)، وأقدم إليك توضيح الجوانب السابقة فيما يأتى:

أولاً. الإشارات البراجماتية اللسانية (References Pragmatics):

الروابط الداخلية التى تربط بين وحدات النص وتحقق تماسكه وانسجامه، والروابط التى تربطه بعالمه الخارجى، وهى الإحالة التى تتحدد من خلال العنصر اللغوى والسياق الوجودى أوالخارجى، ومن ثم تمثل دراسة البعد الإشارى للعلامة اللغوية جزءاً من مقاصد الخطاب، فالإشارة فى : أنا ، أنت، هنا ، تفهم فى سياقها الخارجى ولا تتحقق إلا من خلال الاستعمال (٢)، وهى تستحضر المشار إليه إلى طرفى الخطاب، ووظيفتها المقاصدية تتصل بالسياق المخصوص بها؛ لتوضيح غاية المتكلم، وهى من العناصر التى يفسرها السياق اللفظى والسياق الخارجى، وهى من ناحية الدلالة مؤكدات؛ لأنها مدعمة بالواقع المادى الخارجى وبالمؤكد اللفظى أيضاً، وهى تفيد التأكيد والاختصار فى اللفظ لإغناها عن ذكر المشار إليه واستحضاره فى اللفظ، ، وأنواعها : الضمائر والموصولات وأسماء الإشارة والظروف ودلالات الأزمنة وألفاظ الأمكنة، وللإشارة ثلاثة أنواع (٣):

الأول . الإشارات الشخصية: وتتمثل فى الضمائر المنفصلة والمتصلة التى تشير إلى

---

١) تناول الأصوليون دلالة الفعل على المعنى والحدث وعلاقة الفعل بصاحبه وبالواقع الخارجى وعلاقته بالزمن والمكان وبالمخاطبين، وقد تناول حازم القرطاجنى بعض الجوانب التى تناولتها نظرية الأفعال الغربية، قال: "الكلام أولى الأشياء بأن يجعل دليلاً على المعانى التى احتاج الناس إلى تفاهمها بحسب احتياجهم إلى معاونة بعضهم بعضاً على تحصيل المنافع، وإزاحة المضارة إلى استفادتهم حقائق الأمور، وجب أن يكون المتكلم يبتغى إما إفادة المخاطَب، أو الاستفادة منه، إما بأن يلقى لفظاً يدل المخاطَب، إما على تأدية شىء من المتكلم إليه بالفعل، أو معرفة بجميع أحواله، وإما بأن يلقى إليه لفظاً يدل على اقتضاء شيئاً منه إلى المتكلم بالفعل، أو اقتضاء معرفة بجميع أحواله أو بعضها بالقول". منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص٤٧

٢) ارجع إلى: التداولية اليوم، ص١٦٧

٣) ارجع إلى: دراسات لغوية تطبيقية فى العلاقة بين البنية والدلالة، الدكتور سعيد بحيرى، مكتبة الآداب، ٢٠٠٥ م، ص٩٤، وتسمى أيضاً الإحالة، وهى التى تحيل إلى شيء ، ويراد: العلاقة بين العبارات وبين الأشياء والمواقف فى العالم الخارجى، والعلاقة بين الأعيان والمسميات؛ لأنّ الأسماء تحيل إلى المسميات، وهى علاقة معنوية بين ألفاظ معينة وما تحيل إليه من أعيان أو معان أو مواقف تدل عليها عبارات أخرى فى السياق، أو يدل عليها المقام، و الألفاظ المحيلة تعطى معناها عن طريق قصد المتكلم، وهى من المبهمات خارج السياق، مثل: الضمير واسم الإشارة واسم الموصول، وهى تحيل إلى أعيان سابقة فى الكلام أو لاحقة، وتحيل إلى أشياء خارج اللغة، وتعد من أدوات ربط اللغة بالواقع.

المتكلمين والمخاطبين ومن شاركوا فى الحوار.

الثانى . الإشارات المكانية: التى تحيل إلى المواضع التى تفاعل معها الخطاب، ويمثل المكان بعداً أساسياً يحس به الإنسان، ويؤثر فى وجوده وكينونته، وإحساسه بالمكان أسبق من إحساسه بالزمان غير أنَّ إدراكه للمكان يقترن بأبعاد حسية مادية، ويقترن إحساسه بالزمان بأبعاد ذهنية شعورية، والإحالة الظرفية يعين دلالتها الواقع، ومن الإشارات المكانية: هذا، ذاك، والظروف: هنا، هنالك، فوق، تحت...، ويدخل فيها أسماء الأماكن، وهى تدل على أشياء فى العالم الخارجى، وهى بمنزلة التعيين والتوثيق.

الثالث . الإشارات الزمانية: التى تحيل إلى زمن أحداث الخطاب والزمن نوعان: زمن نحوى وزمن كونى خارجى، والنحوى زمن الجملة، والكونى الظروف التى تحيل إلى العالم الخارجى، مثل: الظروف، وأسماء الوقت والزمن التى يكون تقديرها فى العالم الخارجى.

ثانياً. الافتراض السابق (Presupposition)(١):

المعطى السابق المتضمن فى القول المذكور (بنية الاقتضاء)، وهو ما يقتضيه اللفظ

---

١) الافتراض السابق (Pré – supposition) أو الإضمارات التداولية فى التواصل اللسانى: المعطيات والافتراضات السابقة التى تفهم من سياق الكلام أو يتضمنها التركيب، وتمثل الخلفية المعرفية لأطراف الحوار، وتقوم على المسلمات الواقعية والذهنية، وهى من العوامل التى تحقق الفهم، مثل: (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِى الأَمِين) [القصص: ٢٧]، تضمن قولها أنها رأت منه قوة كبيرة وصفته بها أمام والدها، وطلبت استجاره، وأنه أمين لما رأته من سلوكه، وكشف قولها عن إعجابها بهاتين الخصلتين فيه، فكنت عن الإعجاب بعرضها على أبيها، وقد فهمت المرأة حاجته إلى الأجر لما رأته من حاله، وذكر الطبرى أنه قال هذا القول: (فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْت إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير) [القصص : ٢٤]، وهو محتاج ، وهو بجهد شديد ، وعرض ذلك للمرأتين تعريضاً لهما لعلهما أن تطعماه مما به من شدة الجوع. جامع البيان، الطبرى ج ١/ ٥٦– ٥٧، ومثال التضمن قوله: (ثم تولى إلى الظل): فيه دلالة على أنه سقى لهما فى شمس وحر . تفسير القران العظيم، ابن كثير جـ ٣/ ٣٨٤. ويعد الفعل الكلامى أهم ما فى البراجماتية اللسانية إضافة إلى متضمنات القول التى تمثل ما يمكن فهمه بالقرائن السياقية من الخطاب المنجز، وفى مقدمتها: الافتراض السابق . والأقوال المضمرة: النمط الثانى من متضمنات القول، وترتبط بوضعية الخطاب ومقامه على عكس الافتراض السابق الذى يُحدد على أساس معطيات لغوية، قالت أوركيونى: "القول المضمر هو كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها فى الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث" ، مثال: "إن السماءَ مُمْطرة" ، يحتمل المعانى الآتية: المكوث في بيته ، أو الإسراع إلى عمله حتى لا يفوته الموعد ، أو الانتظار والتريُّث حتى يتوقف المطر، أو عدم نسيان مظلته عند الخروج، و التأويلات محتملة من تعدد السياقات والطبقات المقامية التى يُنجز ضمنها الخطاب، والفرق بين متضمنات القول وبين الافتراض السابق أن الأول وليد السياق الكلامى، والثانى وليد ملابسات الخطاب .

ويفترضه فى التركيب، وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية؛ لتحقيق النجاح فى عملية التواصل، وهى ضمن السياقات و البنية التركيبية العامة، ويتسع مفهوم الافتراض السابق؛ليشمل المعلومات العامة، وسياق الحال، والعرف الاجتماعى، والعهد بين المخاطبين، وما يفترضه الخطاب من مسلمات يأتى المعنى من منطلق وجودها حقيقة اعتباراً، وينقض الكلام عند غيابها، ومنه قول السيدة مريم معقبة على البشارة بالولد: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[مريم: ٢٠]، فالافتراض فى قولنا: أنجبت فلانه، أنها كانت حاملاً (١).

ثالثاً. الاستلزام الحوارى (Conversational involvement):

الاستلزام الحوارى (٢)المعنى المستفاد من السياق، ويعد من أهم المبادئ البراجماتية

---

١)ارجع إلى: التداولية عند العرب، ص٣٢، و مدخل إلى اللسانيات التداولية ، الجيلالى دلاش، ص ٣٤، وقد تناول حازم القرطاجنى ما يفهم من المعنى السطحى وما يتضمنه التركيب من معان خفية تحتاج تأملاً فى حديثه عن الشعر، قال: "والأمور التى تجعل القول مخيلاً، منها أمور تتعلق بزمان القول وعدد زمانه وهو الوزن، ومنها أمور تتعلق بالمسموع من القول، ومنها أمور تتعلق بالمفهوم من القول، ومنها أمور تتردد بين المسموع والمفهوم. ارجع إلى: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، أبوالحسن حازم القرطاجنى، تقديم وتحقيق محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامى، ط٣، ١٩٨٦، ص٢٦٦و٢٦٩.

٢) ترجع نشأته إلى الفيلسوف بول جرايس (H. P. Grice) فى محاضراته التى ألقاها بجامعة هارفارد عام ١٩٦٧م فى إطار بحثه " المنطق والحوار"(Logic and Conversation) ، الذى حاول فيه التفريق بين ما يقال وما يقصد فى الخطابات المختلفة، فهنالك من يقصد ما يقول وآخر يقصد عكس ما يقول وثالث يقصد أكثر مما يقول، فالجملة قد تحمل أكثر من معنى والضابط السياق، وتوصل من هذا إلى أن ما يُقال هو ما تحمله الألفاظ والعبارات من معنى حرفى(القيمة اللفظية)، ولكن ما يُقصد هو ما يريد المتكلم إيصاله إلى المتلقى بطريقة غير مباشرة باعتبار الأخير قادراً على التفسير بالاستعانة بمختلف المعطيات السياقية لإدراك مراد المتكلم، ومن ثم عد الاستلزام الحوارى حلقة الوصل بين المعنى الحرفى الصريح والمعنى المتضمن، وفرق بين نوعين من الدلالة: الدلالة الطبيعية والدلالة غير الطبيعية، فالدلالة الطبيعية تمثل التفسير المأخوذ من إشارات الجملة وما ينتجه من علاقة تربط الجمل كظواهر بنتائجها وأسبابها فى الواقع، فتصاعدالدخان يدل على وجود النار، والبثور الحمراء تدل على مرض الحصبة. فالدلالة الطبيعية للجملتين تحيلنا إلى المعنى الواقعى لها والمجسد فى الإشارات الموجودة فى التركيبين، ودلالة غير طبيعية: وهى التى تعتمد على فهم قصد المتكلم فى ضوء السياق، لا على القول، فالجمل تنتج فى مقامات إنجازها وتفسَّر بمعانى تأويلية يستنتجها السامع إذا فهم قصد مكلمه، ويميز المعنى غير الطبيعى عن المعنى الطبيعى "الاصطلاح أو المواضعة" (Convention) . ارجع إلى: نظرية المعنى في فلسفة بول جرايس، صلاح إسماعيل ، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ٢٠٠٥م ص ٣٩ ، ٤٠. آفاق

اللسانية (التداولية)، ويعنى أن التواصل الكلامى محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون) وبمسلمات حوارية، وسلامة القول وقبوله من قائله وملاءمته مستوى الحوار، فبعض جمل اللغات الطبيعية، فى بعض المقامات، تدل على معنى غير معنى تركيبها اللفظى (١)، ويختلف مفهوم الاستلزام عن مفهوم الاقتضاء ((Implicature)، فالاستلزام مفهوم لسانى برجماتى يتغير بتغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية، والاقتضاء يمتاز بكونه لا يتغير بتغير ظروف استعمال العبارة، فهو ملازم لها فى جميع الحالات والأحوال (٢)، ومبدأ الاستلزام الحوارى أصيل فى التراث العربى، قال الرازى: "إن اللفظ إذا وضع للمسمى انتقل الذهن من المسمى إلى لازمه" (٣)، وهذا الانتقال يعنى عدم وجود الافتراض فى معنى الجملة، ولكنه اتصل بها برابط عقلى أو طبيعى أو اجتماعى، وهو عند عبد القاهر معنى المعنى، قال: "إن المعنى هو

جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، الدكتور محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، ص٣٢

١) لقد لاحظ بعض فلاسفة اللغة واللسانيين التداوليين، ومنهم الفيلسوف جرايس أن جمل اللغات الطبيعية فى بعض المقامات، تدل على معنى غير محتواها التركيبى القضوى، وأرى أن هنالك جملاً لا تفهم إلا فى سياقها الخارجى، ومعناها المباشر ليس مقصوداً، ومنها الجمل الإنشائية التى تدل على معنى غير صريح من لفظها وبل تدل على معنى سياقى يفهم من التواصل، مثل: فلان رحمه الله، لا تفهم إلا فى سياق يحددها، وبعض الجمل تفهم فى سياقها الثقافى، مثل: عظم الله أجرك، وعلاقة المتكلم بالمتلقى مثل: ثكلتك أمك، وقاتلك الله، وقولنا: رحمه الله، فى سياق الحديث عن ميت صالح نحبه دعاء بالخير والزيادة، ويختلف فى سياق الإخبار بموته، وقولنا لآخر له هنات نبغضها فيه: عفا الله عنه، يعنى: التبرؤ من فعله.

٢) يذهب الدارسون إلى تصنيف الاقتضاءات إلى:

.اقتضاءات الوجود: ما كان موضع اهتمام خاص من المحادثة لارتباطه بمفهوم الإحالة، إذ من شروطها أن تدل على شخص موجود فى الواقع.

-اقتضاءات معجمية: مجموع الشروط (قيود الانتقاء) التى تقتضيها المحمولات فى الوحدات التى تواردها نفس السياق، مثال: تنبه عمرو إلى أن زيداً يقدره، فالمحمول (تنبه) يقتضى صدق مفعوله، فيكون اقتضاء الجملة: زيد يقدر عمراً.

.اقتضاءات خاصة واقتضاءات عامة: يراد بالاقتضاءات الخاصة الاقتضاءات التى تخص وحدة لغوية دون سواها، و العامة التى تخص المجموعات الكبرى التى تنتمى إليها الوحدات اللغوية.ارجع إلى: التداولية والحجاج، صابر حباشة، ص٩٧

٣) المحصول فى أصول الفقه، محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازى، دار الكتب العلمية، ط ١/ ١٩٨٨م، ١٤٠٨هـ، ج ١/ ٢١٩. قال ابن فارس في فقه اللغة: "لغةُ العرب يحتج بِهَا فيما اختلفُ فيه، إِذَا كَانَ التنازع فى اسم أو صفة أو شيء مما تستعمله العرب من سننها فى حقيقة ومجاز، أو ما أشبه ذلك، فأما الذى سبيله سبيل الاستنباط ، أو ما فيه لدلائل العقل مجال - فإن العرب وغيرهم فيه سواء". فقه اللغة، ص٣٤.

المفهوم من ظاهر اللفظ. أما معنى المعنى فهو أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر" (١)، فالاستلزام الحوارى حلقة الوصل بين المعنى الحرفى الصريح والمعنى المتضمن فى شكل الجملة (٢)، ويعد من أهم جوانب البحث التداولى الذى يعول على السياق فى معرفة المعنى (٣)، وأرى أن الاستلزام بهذا المفهوم يتداخل فى بعض المواضع مع التضمن، فالحديث عن الوضع يستلزم الاتصال بين الزوجين، ويتضمن أيضاً هذا المعنى، وهو شرط لازم فى الحمل، ولكن بعض معانى التضمن قد لا تكون واجبة أو لازمة مثل الأفعال التى لا تقتضى وجهاً واحداً كالأكل والشرب والجلوس، فهى لا تستلزم الجوع والعطش و مشقة القيام. على الترتيب. فى كل الأحوال، فقد يجلس القائم لغير علة النصب، ومن التضمن قوله: (ثم تولى إلى الظل) [القصص : ٢٤] فيه دلالة على أنه سقى لهما فى شمس وحر، وهذا غير لازم فى كل استظلال، فقد يستظل المشمس لغير علة الحرارة، والظاهر فى الآية أنه تكبد مشقة السفر الطويل والجوع، فأوى إلى الظل؛ ليستريح من السفر، وهذا لا ينفى اتقاء الحر بل يتضمنه، وهذا قيد حال زمنه والبيئة، والتضمن قد يعنى التعريض بشىء مثل قوله تعالى: (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِى الأَمِي ([القصص: ٢٧] يتضمن شيئاً كنت عنه المرأة فى استئجاره و وصفها إياه، وليس فيه لزوم، والله أعلم.

وقد قسم جرايس الاستلزام الحوارى إلى قسمين:

---

١) عبد القاهر الجرجانى، دلائل الإعجاز فى علم المعانى، بمراجعة وتصحيح الإمام الشيخ محمد عبده، دار المعرفة، بيروت ١٩٨١، ص٢٠٣

٢) المعنى فى التداولية نوعان : معنى حرفى أو صريح ومعنى ضمنى أو مستلزم، ويقوم على تعدد المعنى الذى يفهم من الكلام، فالعبارة لها معنيان: أحدهما: معنى ظاهر. وثانيهما: معنى سياقى ضمنى يفهم من وراء اللفظ ب، واقترح جرايس مبدأ "التعاون الحوارى" لمعرفة المستلزمات ، وقسم جرايس الدلالة التركيبية إلى معانى صريحة ومعانى ضمنية، فالمعانى الصريحة تشتمل على محتوى قضوى وقوة إنجازية حرفية، وتشير المعانى الضمنية إلى معانى عرفية اقتضائية ومعانى حوارية استلزامية. التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى، الدكتور مسعود صحراوى، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥ ، ص٣٦، ومن عيوب هذا أن السياق يحدد معنى الجملة التى تحتمل وجوهاً من المعنى، فالاحتمال منقطع عن السياق، وليس الاحتمال داخل السياق المعلوم.

٣) ارجع إلى: آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، الدكتور محمود نحلة، ص٣٢، مدخل إلى اللسانيات التداولية ، الجيلالى دلاش، ص٣٥

أولها. استلزام عرفى: ويتمثل فى المعانى الاصطلاحية الصريحة التى تلازم الجملة فى مقام معين مثل دلالة الاقتضاء، ويتمثل فى معانى الألفاظ التى اصطلح عليها أهل اللغة، وهى المعانى الأصلية المباشرة دون المجازية والمعانى التركيبية والسياقية، وهى المعانى المعجمية المباشرة، ويسميها الغربيون "المعنى الحرفى" (Forum) ، فلا تتغير بتغيرالتركيب والسياق، وهنالك معان غير مباشرة، وتسمى "معنى المعنى" عند المتقدمين، ومنها التراكيب الاصطلاحية التى يعبر تركيبها عن معنى مخصوص به، وبعضها يجوز فيه المعنى المباشر والمعنى المجازى، مثل: "طويل اليد"بمعنى الكرم، وقد يكون وصف يده على الحقيقة، ومنه فى الإنجليزية: "Break the ice " المعنى المباشر (الحرفى) اكسر الثلج، و المعنى المجازى : "مهد الأمور أو مهد الطريق لأمر ما".

وبعض التراكيب لا يجوز فيها المعنى الحرفى ومنها، فلا تحمل على معناها المباشر مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤١]، يريد سبحانه التعبير عن استحالة دخولهم الجنة، وجيء بالمثل هنا؛لتأكيد هذا المعنى، فالجَمَل لا يلج من سم الخياط الضيق الذى يسع فتيلاً ضئيلاً، وهذا يسد باب الجدل فيهم، ولا يحمل على المعنى المباشر فى العربية، فالمعنى الذى لا يتسق عقلاً يفسد الجملة بإجماع المتقدمين دون شواذ المتأخرين من أدعياء التنويرفى عصرنا . خلاف البنيوية الغربية الفاسدة (عند ناعوم تشومسكى الذى يجيز ما يشاكل القاعدة من غيرالمفيد أو دون اعتبار المعنى فى البنية السطحية(١)، ومن أمثلته الفاسدة فى العربية: قمت غداً، وسأقوم أمس، كلام فاسد وغير

---

١) رأى تشومسكى أن بعض الجمل قد تكون صحيحة نحوياً ومعناها غير مقبول أو قد لا تحمل معنى، وبين قوله بهذا المثال: "Colorless green ideas sleep furiasuly"، ومعناه فى العربية: الأحلام الخضراء التى لا لون تنام غاضبة، وهى تعبر عن تناقض فى الوصف، وتحمل معنى مجازياً فى العربية غير مقبول فى البنيوية الغربية التى يمثل تشومسكى أحد مذاهبها المتأخرة، وهذا الاتجاه البنيوى جرد اللغة من مضمونها اكتفاء بلفظها وتركيبه الصوتى والنحوى، ولكن بعض اللسانيين الاجتماعيين الأمريكيين (Sociolinguistis) الذين ظهروا فى أواخر الستينات، وأشهرهم روز، ومكولى، ولايكوف، رفضوا الشكلية البنيوية، ورأوا أن اللسانى لا يستطيع أن يدرس النحو معزولاً عن المعنى، وخالفوا تشومسكى فى قبوله التراكيب التى توافق فى شكلها القاعدة النحوية دون المعنى فى حديثه عن البنية العميقة والبنية الشكلية، قال لايكوف (١٩٧٢م): "لكى نعرف عمل قواعد لغوية عدة على نحو صحيح علينا أن نرجع إلى السياق الاجتماعى للغة، ونرجع كذلك إلى الخلفيات والافتراضات التى يضمنها المتحدثون المشاركون فى الخطاب"(Lakoff, R (١٩٧٢ p: ٩٠٧-٩٢٧) "Language in context in: Language

مفيد، والأصل فى العربية أن يكون الكلام مفيداً والإفادة عقلية)، ومن أمثلة التراكيب التى لا تحمل على المعنى المباشر فى الإنجليزية: "It rains cats and dogs" المعنى المباشر (الحرفى) : إنها تمطر قططاً و كلاباً، و المعنى المجازى: إنها تمطر مطراًغزيراً، ومنها وظائف حروف المعانى مثل "لكن" فى العربية التى تستلزم أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقعه السامع، و"ثم" التى تقتضى الترتيب، والفاء التى تقتضى فى بعض معانيها التعقيب.

ثانيها ـ استلزام حوارى: وهو متغير بتغير السياقات التى يرد فيها، ويعد الحوار الحقل الفعال والمباشر للتفاعل اللغوى، ويكشف عن البعد الاستعمالى فى تحقيق قصد المتحاورين، ووضع جرايس لوصف ظاهرة الاستلزام الحوارى مبدأ حوارياً آخر سماه "مبدأ التعاون" (The Co-operative Principle): وهو مجموع القواعد التى يخضع لها المتحاورون؛ليتحقق التواصل بينهم وليصلوا إلى فائدة مشتركة تتطور بقدر ما يساهم كل طرف مساهمة فعَّالة فى الحوار وبما يراه مناسباً لمقام القول، ويعد أساس عملية الخطاب؛لأنه يربط بين أطراف الحوار، فيتحقق التفاهم فيما بينهم بطريقة منطقية، وهو مبدأ اجتماعى يتحكم فى العلاقات الاجتماعية للمتكلمين من خلال الاستعمال الحرفى للغة، وأخلاقى لما يستوجبه من مبادئ أدب الحوار بين المتحاورين، وقد رأى جرايس أن الحوار أعلى نمط تفاعلى، وانطلق من بناء الحوار فى وضع مبدأ التعاون الذى يقتضى أن يتعاون المتكلمون فى تسهيل عملية التخاطب لتجنب فهم غير المراد من قصد كلام المتكلم (١).

ويقوم مبدأ التعاون على المبادئ الحوارية الآتية (٢):

٤٨/٤.)، وقد ترتب على هذا الاتجاه فى البحث اللسانى التجريبى - الاجتماعى أن بعض اللسانين البنيوين فى المدرسة التشومسكية اعتدوا بأثر السياق فى المعنى، وبعضهم تحول عن هذا الاتجاه إلى وضع منهج لسانى سياقى جديد يخالف البنيوية، وظهر اتجاه لسانى متأخر على استحياء يرى أن للأدب قيمة اجتماعية، ومن أصحاب هذا الاتجاه اللسانى الأمريكى وليام برايت(W.Bright ١٩٨٢) الذى رأى أن الأدب الخطاب أو النص الذى يحمل قيمة جوهرية ذات انتشار وانتقال ديناميكى مستمر فى مجتمع من المجتمعات.

١) مدخل إلى اللسانيات، محمد محمد يونس على، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص٩٩

٢) حاول الفيلسوف جون أوستن (John Austin) وتلميذه جريس Grice وجون سيرل (John Searl) وهم من فلاسفة اللغة العادية التى تبناها فتجنشتاين. خلال حقبة الستينات والسبعينات شرح كيفية استخدام الأشخاص للاستدلالات فى تواصلهم اليومى، ووضع جرايس مبدأ التعاونى والمسلّمات الأربع بين الثقافات، و عرّف جريس (١٩٧٥) أربع أسس يستخدمها متحدث الانجليزية فى فهم المعنى الحرفى والمعنى المتضمن فى المحادثة،و

- مبدأ القَدْر أو الكم (Maxim of quantity): اجعل إسهامك فى الحوار بالقدر المطلوب من دون أن تزيد عليه أو تنقص منه، فيقول المتكلم ما هو ضرورى بالقدر الذى يضمن تحقيق الغرض (١).

- مبدأ الكيف (Maxim of quality): لا تقل ما تعتقد أنه كاذب، ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه، فالمحاور لا ينجح فى حواره بما يراه كذباً أو غير إقناعى وبما لا يستطيع البرهنة عليه؛لأنه يضعف حجته.

- مبدأ الطريقة (Maxim of manner): كن واضحاً ومحدداً، وأوجز، ورتب كلامك، فيجب فى الحوار تجنب الإبهام واللبس والاضطراب فى الترتيب والخلل المنطقى (٢).

أطلق على هذه التوقعات اسم المسلّمات الحوارية، والتى تعمل معاً بمبدأ عام أطلق عليه اسم "مبدأ التعاون"، وهى أربعة:

.مسلّمة الكم: اجعل مساهمتك فى الحوار إعلامية بقدر ما يتطلبه الحوار (فى الهدف الحالى لهذه المحادثة)، ولا تجعلها أكثر إعلاماً مما هو مطلوب فى المحادثة.

.مسلّمة النوعية: لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس لديك دليل كافٍ عليه.

.مسلّمة المناسبة: اجعل كلامك مناسباً للموضوع.

.مسلّمة الطريقة: تجنب الغموض فى تعبيراتك،وتجنب اللّبس،وتحر الإيجاز والترتيب فى كلامك.

.مبدأ التعاون: ليكن إسهامك فى الحوار بالقدر الذى يتطلبه الحوار وفى المستوى الذى يظهر فيه وبما يتوافق مع الغرض أو الاتجاه الذى يجرى فيه هذا الحوار الذى تشترك فيه.ارجع إلى: نظرية المعنى فى فلسفة بول جرايس، صلاح إسماعيل ، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر٢٠٠٥م ص ٣٩، ٤٠، وآفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، الدكتور محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، مصر، ٢٠٠٢م، ص٣٢.

١) مبدأ الكم الذى يفترض السامع بمقتضاه أن القائل لا يستخدم صيغة التبغيض "بعض" فى مقام يتطلب أن يستخدم صيغة الشمول "كل"، وهى الصيغة الأقوى التى تدعم ما يتوقعه المتلقى، وكذلك العكس، نحو: "بعض الخبيز "يستلزم نفى "كل الخبيز". المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينيكو، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧ م ص٧٢. ولسانيات التلفظ وتداوليات الخطاب، حمو ذهبية، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة تيزى وزو، ص ١٧٦

٢) الحجاج في القرآن، من خلال أهم مظاهره الأسلوبية، عبدالله صولة، ص٢٦١، وقد ترجم عبد الله صولة المصطلحين (Modalisation) و(Modalité) بالتوجيه، و قد جعله من قبل مقابلاً لمصطلح (Orientation)، وتتفرع الطريقة إلى ثلاث قواعد : أ – اِبتعد عن اللبس . ب – تحرّ الإيجاز . ت – تحرّ الترتيب (الترتيب المنطقى أو الزمنى عند سرد حادثة معينة). ونقل ﴿الجاحظ﴾ عن ﴿العتابي﴾ قوله: ﴿كل من أفهمك حاجته فهو بليغ﴾ وعقب عليه: "... وإنما عنى العتابي إفهامك العرب حاجتك على مجاري كلام العرب الفصحاء". البيان والتبيين،

- مبدأ المناسبة (Maxim of relation): اجعل كلامك مناسباً الموضوع، فيجب أن يكون الكلام مناسباً سياق الحال (١)، وهو السياق البراجماتى، فيجب أن تكون المشاركة فى موضوع الحوار مناسبة ومفيدة، قال ديكرو: "يجب على المخاطب تقديم المعلومات اللازمة والتى يعرفها عن موضوع الخطاب وغرضها إفادة المخاطب (٢)، وقد أشار آلن (Allan) (١٩٩١م) إلى أن هذه المسلمات يجب أن تعد نقاطاً مرجعية للتبادل اللغوى، وليست قواعد علينا تطبيقها (٣)، ورأى البرجماتيون اللسانيون أن هذه المبادئ أساس نجاح كل أنماط الخطاب، ومنها المحادثة التى تتفاعل فيها الأطراف التخاطبية.

ورأى جرايس أن المحادثة تستوجب هذه المبادئ؛لأنها تلائم شروطها؛ ومن ثم سميت "مبادئ المحادثة"، ورأى أيضاً أن مبادئ المحادثة المتفرعة عن مبدأ التعاون هى التى تفسر ما يستنتج من المفاهيم الخطابية، ويتحقق بها التعاون بين المتكلم والمخاطب وصولاً إلى حوارمثمر (٤).

ويساعد التفاعل الاجتماعى والمعايير الثقافية والعوامل البيئية فى فهم الاستلزام الحوارى، وللاستلزام الحوارى عند جرايس خواص تميزه عن الاستلزام التقليدى (الاصطلاحى) الذى يرتبط بمعانى كلمات معينة، وخصائص الاستلزام الحوارى (٥):

أ- أنه يمكن إلغاؤه، فالمعنى الضمنى ثانوى بالنسبة للمعنى الصريح، لذلك يمكن

الجاحظ أبو عمرو عثمان بن بحر، تحقيق علي أبو ملجم، دار ومكتبة الهلال. بيروت ـ ط١/ ١٤٠٨هـ.١٩٨٨م، ج١، ص١٤٨.وقال: "وقال العتابي: كل من أفهمك حاجته فهو بليغ، وإنما عنى: إن أفهمك حاجته بالألفاظ الحسنة، والعبارة النيرة فهو بليغ»كتاب الصناعتين، العسكرى أبو هلال، ، تحقيق محمد علي البجاوى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية –صيدا، بيروت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ص١١. ونقل "الجاحظ" عن "أبى الأشعث" من أن "... مدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم".البيان والتبين، الجاحظ ، ج١/ ٩٥.

١)ارجع إلى: مدخل إلى اللسانيات، يونس ، ص١٠٠، والتداولية، صحراوى، ص٣٢.

٢)ارجع إلى: مدخل إلى اللسانيات، محمد يونس، ص٩٩، ١٠٠

٣) ارجع إلى: التداولية اليوم، روبول وموشلار، ص٢٧، ٢٨،

٤)ارجع إلى: مدخل إلى اللسانيات، محمد يونس، ص٩٩، الاتجاه التداولى فى البحث اللغوى، الدكتور محمود نحلة، ضمن بحوث "فى اللغة والأدب"، دار الوفاء، الإسكندرية، ص١٨٨.

٥) ارجع إلى: مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالى دلاش، ص٣٤

الاستغناء عنه، وذلك بقرينة بإضافة قول من قبل المتكلم يمنع ما يستلزم من كلامه ويحول دونه، كقولك: لم أجد كل الطعام، قد يستلزم أنك وجدت بعضه، فتلغى هذا الاستلزام بقولك لم أجد شيئاً من الطعام أولم أجد العام كله، ومثله: لم أتذوق كل الطعام، فهذا يستلزم أنك تذوقت بعضه، فتلغي الاستلزام بقولك: الحقيقة أنى لم أتذوق الطعام كله.

ب ـ أنه متصل بالمعنى الدلالى للتركيب، فلا يقبل الانفصال (Non-detachable) عن المحتوى الدلالى، ولا علاقة له بالصيغة اللغوية الشكلية للعبارة، ولا يتغير باستبدال مفردات وعبارات بأخرى ترادفها لا ينقطع الاستلزام مثل قولك لمن يرفع صوته: أنا أتأذى من صوتك العالى، فيقول: أنا أحب التكلم بصوت عال، والقول الثانى: لا ينفى ما يستلزمه القول الأول، ومثل: لا تتكلف فى الكلام، فيقول: لست متكلفاً، ولكننى أحب التفاصح وإثبات تمكنى من اللغة، والاستلزام متصل فى القول الثانى.

جـ ـ أنه متغير بتغير السياقات التى يرد فيها، فالاستلزام غير ثابت بل يخضع للطبقات المقامية، فقد يؤدى تعبير واحد استلزامات مختلفة، وتؤدى السياقات المختلفة إلى اختلاف دلالة العبارة، مثل: "السلام عليكم " فى سياق الدخول تعنى الاستئذان وعند الخروج تعنى التوديع، وتلقى على المجلس تحية، وإذا قليت لشخص مصحوبة بغضب وبإشاحة الوجه، تعنى المقاطعة والمخاصمة، ومثل: أنت الرشيد، يحتمل وجهين: المدح والسخرية فى سياقين، أولهما سياق الإعجاب، والآخر سياق النفور.

د ـ أنه يمكن تقديره ((Calculability بمعنى أن المتكلم بإمكانه أن يقوم بمجموعة من الاستنتاجات أو العمليات الذهنية بناء على ما سمعه من كلام وصولاً إلى الاستلزام المطلوب بعيداً عن المعنى التركيبى، مثل: فلانة أفعى، لا يراد حقيقة المعنى بل يراد الغدر أو الدهاء، ومثل: المرأة الحديدية، يراد الحزم، والقوة (١)، وهذه المبادئ تلائم شروط المحادثة، وقد نسبت إليها.

---

١) ارجع إلى: دراسات فى نحو اللغة العربية الوظيفى، أحمد المتوكل ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م، ص٩٣ـ١٠٣، الاتجاه التداولى فى البحث اللغوى، الدكتور محمود نحلة، ضمن بحوث "فى اللغة والأدب"، دار الوفاء، الإسكندرية، ص٢١١.

لقد قام بعض العلماء بتطوير نظرية الاستلزام لجرايس لما تحتويه من عناصر حوارية مهمة وقبولها التطوير، ومن أشهرهم هارنيش (Harnish) الذى أضاف بعض التعديلات منها: الجمع بين مبدئى الكم، والكيف (١)، وقد أشار صادُك (Sadock) إلى إمكان تقليص بعض مبادئ جرايس، وعالج بعض المفاهيم الخطابية (Conversational Implicatures) فى مبادئ المحادثة عند جرايس، وتمكن صادُك من إضافة معايير أخرى لاختبار هذه المفاهيم، ونقد ويلسون (Wilson) وسبربر (Sperber) (٢) مبادئ جرايس؛ لأنها لا تعالج كل قضايا النصوص الأدبية والقانونية، وأنها بحاجة إلى إضافات لتستوعب نصوص مجالات أخرى، واستثنيا منها مبدأ المناسبة الذى جعلا منه أساس نظرية سمياها "نظرية المناسبة" (Theory of relevance) (٣)، وهى تقوم بتفسير الخطاب وظواهره البنيوية فى الطبقات المقامية

---

١) نظرية المعنى فى فلسفة بول جرايس، صلاح إسماعيل، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر ٢٠٠٥م ص ٣٩، ٤٠

٢) وضع نظرية الملاءمة(Théorie de la pertinence) الإنجليزى ديردر ولسن(D.Wilson) الإنجليزى ودان سبربر (D.Sperber) الفرنسى ، وهى تقوم على معطيات نفسية إدراكية منها نظرية القالبية لفودور(Fodor) ، ومعطيات حوارية مستمدة من نظرية جرايس (Grice) ، وتتلخص مبادئها في المزاوجة بين الترميز والاستدلال فى عملية تأويل الخطابات ، وذلك بإنتاج مثير واضح للمخاطب يجعل مجموعة من الافتراضات واضحة أو أكثر وضوحاً لدى المخاطَب ، والسياق فى هذه النظرية ليس معلومات معطاة به بنية مولدة من افتراضات سياقية مستمدة من تأويل للأقوال السابقة من ناحية ومرتبطة بالمحيط الفيزيائى فى العملية التواصلية، و المعلومات المستفادة من ذاكرة النظام المركزى بمداخلها الثلاثة: المدخل المنطقى والمدخل المعجمى والمدخل الموسوعى .

٣) نظرية المناسبة أو الملاءمة (Théorie de la Pertinence ،Theory of relevance) نظرية تداولية معرفية، وضعها ديردر ولسن (D.Wilson) اللسانى البريطانى ودان سبربر (D.Saperber) اللسانى الفرنسى، وتقوم هذه النظرية على معطيات نفسية إدراكية من علم النفس المعرفى، ومنها نظرية القالبية لفودور (Fodor)، ومعطيات حوارية مستمدة من نظرية جرايس (Grice)، وتتلخص مبادئها في المزاوجة بين الترميز والاستدلال فى عملية تأويل الخطابات، وذلك بإنتاج مثير واضح للمخاطب فيسعى إلى طرح مجموعة من الافتراضات الواضحة مولدة من افتراضات سياقية مستمدة من تأويل للأقوال السابقة من ناحية ومرتبطة بالمحيط الفيزيائى فى العملية التواصلية ، والمعلومات المستمدة من ذاكرة النظام المركزى بمداخلها الثلاثة: المدخل المنطقى والمدخل المعجمى والمدخل الموسوعى . وللمعنى وجهان: الوجه الحقيقى: أن يتطابق المعنى مع ما وُضع له والذهن والمحيط الخارجى، ويعرف بالاصطلاح والمطابقة. والوجه الإحكامى: ويعتمد على نوع الإحالة واستعمالاتها، وخصائص هذا الوجه: التواطؤ: توحيد دلالة العبارة مع اختلاف استعمالاتها، والقرب: سهولة الانتقال من لفظ العبارة إلى معناها والانتقال من معنى العبارة إلى لفظها دون مساعد توضيحى، والاستقرار: ثبات مضمون العبارة، وأى

المختلفة، وتعد فى الوقت نفسه نظرية إدراكية (١).

***

تغير فى المعنى أو تشكيك فيه لا يغير مضمون العبارة على مستوى التركيب والمواضعة، بل يتغير المضمون على مستوى قيمته التى تُحدد من خلال المطابقة للواقع وموافقة الاستدلال، وتغير المضمون لا يؤثر فى صورية العبارة بل يؤثر فى قيمتها فى مطابقة الواقع وموافقة الاستدلال. ارجع إلى: مدخل إلى اللسانيات، ص١٠٠، التداولية عند العلماء العرب ، ص ٢٢ ، ٢٣ ، والوظائف التداولية في اللغة العربية ، أحمد المتوكل ، المغرب ، ط١ /١٩٨٥ ، ص ٨ .

١) تتميز الملاءمة البراجماتية بأمرين : أولهما – أنها تنتمى إلى العلوم المعرفية الإدراكية والأخر ـ أنها منذ ظهورالبراجماتية تبين موقعها من علم اللسان وموقعها من علم التراكيب(النحو)، فهى تجمع بين نزعتين كانتا متناقضتين: نظرية تفسر الخطاب وظواهره البنيوية فى الطبقات المقامية المختلفة، وتعد فى الوقت نفسه نظرية إدراكية .ويرجع هذا إلى أنها تدمج مجالين و تأخذ منهما : الأول مستمد من علم النفس المعرفى خاصة النظرية القالبية (Modularity) لفودور (Fodor) (١٩٨٣م) فيما يتعلق برصد وقائع الحياة الذهنية وتفسير طرق جرى المعالجة الإخبارية. والثانى يستفيد من فلسفة اللغة، وخاصة النظرية الحوارية لجرايس (Grice) (١٩٧٥م).ارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى، للدكتور مسعود صحراوى، ص١٨.

رابعاً. نظرية أفعال الكلام (Theory of speech acts)(١):

نظرية أفعال الكلام الأفعال تدرس الأفعال التى تعبر عن فعل ولا يحكم عليها بصدق أو كذب، وقد لا تصف شيئاً من وقائع العالم الخارجى، وليس من الضرورى أن تعبر عن حقيقة واقعية، فهى تهدف إلى إرساء قواعد نظرية للأفعال الكلام من الأنماط المجردة، أو الأصناف التى تمثل الأفعال المحسوسة والشخصية التى تنجز أثناء الكلام (٢)، فالمتكلم عندما يتحدث يخبر عن شيء، أو يصرح بشيء، أو يأمر، أو ينهى، أو يلتمس، أو يعِد، أو يشكر... (٣).

---

١) تسمى نظرية الفعل الكلامى ونظرية الحدث الكلامى وعلم اللسان البراجماتى. ارجع إلى: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنينى، ط٢٠٠٨م، أفريقيا الشرق، المغرب. تكلم أوستن عن نظرية الأفعال فى كتابه " How to Do Things with Words: كيف تنجز الأشياء بالكلمات" الذى نشر بعد وفاته المفاجئة ١٩٦٠م بعامين (Austin J.L.: How to do things with words, University Press, Oxford, ١٩٦٢)، وقد ميز بين الاستخدام العادى (normal use of language) وبين استخدام آخر يصفه بالتطفل Parasitic use ، ويعنى بالتطفل التطفل على الاستخدام العادى للغة، ويمثل أوستن للاستعمال المتطفل بالكتابة الشعرية والروائية والمسرحية)، وطور سيرل (Searle) تلميذه النظرية (أفعال الكلام (Theory of speech acts ، وتقوم هذه النظرية على أن الحديث يفرز أفعالاً، أوأحداثاً، ويؤكد هذا الأقوال الإنشائية (Performative utterances)، (Searle J.R.: Speech Acts, Cambridge University Press, Cambridge, Mass, ١٩٦٩) (ارجع إلى: المقاربة التداولية، فرا نسواز أرمينيكو، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م ص٧٢)، وأمثلتها: ما يطلق عليه فى كتب الفقه مصطلح "صيغ العقود" نحو: "بعتك"، و"زوجتك"، وطلقتكِ"، ومنها أيضاً "أعِدك"، و"أرجوك"، و"أتمنى أن تفعل ذلك"، و"أعتذر"، ونحوها مما يقترن فيه القول بعمل يصح أن يعد منجزاً بمجرد انتهاء المتكلم من كلامه؛ وقد تناول فقهاء المسلمين أفعال الكلام فى هذا النوع فى حديثهم عن عقد العقود والشهادات، كالزواج والطلاق، والبيع والشراء، و العتق، والوعد، والرجاء، والتمنى. ارجع إلى: نهاية السول فى شرح منهاج الأصول، عبد الرحيم بن الحسن الأسنوى الشافعى، ومعه حاشية سلم الوصول شرح نهاية السول، تحقيق محمد بخيت المطيعى، عالم الكتب، بيروت، جـ٢/ ٣٥٠، وقد تناول هذا مسعود صحراوى فى الفصل الرابع من كتابه: التداولية عند العرب، ص٣٥، وما بعدها.

٢) ارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة " الأفعال الكلامية "فى التراث اللسانى العربى، مسعود صحراوى، ص ٣٦، والمقاربة التداولية، فرا نسواز أرمينيكو، ترجمة سعيد علوش، ص٧٢، ونظرية المعنى فى فلسفة بول جرايس، صلاح إسماعيل، ص ٨٧، والتداولية، فرناند هالين ، ترجمة زياد عزالدين العوف ، مجلة الآداب الأجنبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد ١٢٥ ، شتاء٢٠٠٦م.

٣) ارجع إلى: مقدمة في علمى الدلالة والتخاطب، محمد يونس، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص٣٤. المقاربة التداولية، فرا نسواز أرمينيكو، ترجمة سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م، ص٧٢ ، ونظرية المعنى فى فلسفة بول جرايس ، صلاح إسماعيل ، ص ٨٧. أول من أطلق هذا المصطلح أوستن فى كتابه

ويرى أوستن أن الأقوال اللغوية تعكس نمطاً ونشاطاً اجتماعياً أكثر مما تعكس أقوالاً يتعاورها مفهوما الصدق والكذب الدارجين بين الفلاسفة الذين درسوا المعنى فى إطار عرف بالمعنى القضوى (Propositional meaning) للجملة التقريرية الخبرية، وهى الجملة التى يمكننا الحكم عليها قضوياً بالصدق أو الكذب (١)، وقدم أوستن أمثلة يوضح فيها أنه ليست كل الجمل جملاً خبرية، وبيّن كيف أن اللغة يمكن أن تستخدم لتنجز وعداً أو تصريحاً أو زواجاً او تعميداً أو طلاقاً أو رهاناً أو مقايضة إلى غير ذلك من الأفعال التى يقترن القول فيها بإنجاز الفعل. ويرى أوستن فى نظريته أن كثيراً من الجمل والعبارات التى يشملها الحديث ليست خبرية، ولا تخضع لمفهوم الصدق والكذب، فاللغة تشتمل على أسئلة وعبارات تعجّب وأوامر وتعابير خاصة بالأمنيات والتطلعات وعبارات الترهيب والترغيب والتشجيع مثل: "معذرة" (Excuse me)"، "مرحى، أحسنت" (Well done! Bravo!)"، "مرحباً !Hello! welcome) ")"، "أى الكتب تفضل؟" (Which book you like most?)، "أى ضرر فى المحاولة؟" (where is the harm in trying?)، "افعل ما تحب" (what you please Do)، وتوصل من هذا إلى نوعين من الأفعال فى بداية نظريته:

الأول. الأقوال التقريرية (Constative locutions): أفعال تصف وقائع العالم، وتكون صادقة أو كاذبة.

والثانى. الأقوال الأدائية (Performative locutions): التى تنجز بها فى سياقات خاصة للدلالة على معانى الأفعال التى لا توصف بصدق أو كذب، مثل التسمية والوصية والاعتذار والرهان والنصح والوعد.

وقد وضع أوستن لتحقق الأقوال الأدائية شروط مناسبة الموقف (Felicity Conditions)، وجعلها الشروط التكوينية، وهى:

كيف تفعل الأشياء بالكلمات ثم تبعه جون سيرل فى تطوير هذه النظرية.

١) يرى فجنشتاين أن وظيفة اللغة لا تقتصر على تقرير الوقائع أو وصفها، بل تتناول وظائف أخرى كالأمر والاستفهام والتمنى والشكر والتهنئة واللعن والقسم والتحذير...، ونظرية أفعال الكلام للفيلسوف جون أوستن لتجسد موقفاً مضاداً للاتجاه السائد بين فلاسفة المنطق الوضعى الذين دأبوا على تحليل معنى الجملة مجردة من سياق خطابها اللغوى. ارجع إلى: التداولية والحجاج، ص ٩١

- أن يتوفر لها إجراء عرفى (conventional procedure) مقبول، وأن يكون له تأثيره العرفى أيضاً، مثل: الزواج والطلاق.

- أن يشتمل الإجراء أو الأسلوب العرفى على التلفظ بكلمات محددة من قبل أشخاص محددين فى ظروف محددة.

. أن يكون الأشخاص المحددون مؤهلين لتنفيذ الإجراء.

. أن تكون الظروف مناسبة لتنفيذ الإجراء العرفى المحدد.

. أن يتم تنفيذ الإجراء العرفى على نحو صحيح من قبل جميع المشاركين فيه.

. أن ينفذ الإجراء كاملاً.

وقد أضاف أوستن إلى هذه الشروط شرطاً أخرى قياسية (Regulative) للإجراء، وهى:

. أن يكون المشارك فيه صادقاً (Sincerity).

. أن يتوفر للمشاركين المشاعر والنوايا الأساسية التى يقتضيها الإجراء العرفى.

. أن يكون المشاركون مؤمنين بأفكارهم.

. أن يداوم المشاركون على تمسكهم بالسلوك العرفى وبما ألزموا به أنفسهم.

وانتهى إلى أن الأقوال داخل سياق عرفى مكتمل الشروط تفصح عن حالة النشاط التى تدل عليه مثل: "أعتذر"(I apologize)، أو "أسمّى هذه السفينة الهولندى الطائر": (I name this ship the Flying Dutchman)، أو "أعلن افتتاح الجلسة" : (I declare this meeting open)، وإن لم تتحقق لها هذه الشروط أخفق الأداء، وعد أوستن بعض استخدامات اللغة فى أغراض محددة مثل الحجاج والتحذير أقرب إلى التعبير الإنجازى من أغراض الإقناع والتحريض والتنبيه، وأشار الى إمكانية فشل الأقوال الإنجازية وعدم تحققها مستخدماً معياراً مختلفاً عن معيار الصدق والكذب، فهى إما أن تكون موفّقة (Felicitous) أى: موافقة لمقتضى الحال، أو أن تكون غير موفّقة (unhappy)، ولذلك تتم المزاوجة غالباً

بين كلمة (felicitous) وكلمة (happy)، أوالعكس (infelicitous) و (unhappy) (١).

وقد رأى أوستن أن تمييزه بين الأفعال الإخبارية والأدائية غير حاسم، وأن كثيراً مما ينطبق عليه الأفعال الأدائية ليس منها، وأن كثيراً من الأفعال الإخبارية تقوم بوظائف الأفعال الأدائية، فاستدرك هذا بالإجابة على سؤال طرحه: كيف ننجز فعلاً حين ننطق قولاً؟ وأجاب بأن الفعل الكلامى مركب من ثلاثة أفعال تعد جوانب مختلفة لفعل كلامى واحد، ولا يُفصل بينهما إلا لغرض الدرس، وقسم الفعل الكلامى الكامل إلى ثلاثة أفعال فرعية:

الأول - فعل القول، أوالفعل اللفظى (Locutionary Act): ويتمثل فى ثلاثة مستويات للجملة وليس الكلمة، وهى: الصوتى والتركيبى والدلالى للجملة التى يعبر بها المتكلم عن قصده، أوالقول المفيد عند علماء النحو، والبراجماتية اللسانية تهتم بالمعنى المستفاد من التركيب، وتستبعد المعنى العام المعجمى (ويسميه بعضهم المعنى الحرفى، وهى تسمية غير دقيقة، والصواب أن نقول المعنى المعجمى أو العام)، والمعنى السياقى هدفها الرئيس.

الثانى - الفعل المتضمن فى القول أوالفعل الإنجازى، أوالقوة الفاعلة المصاحبة للجملة (Illocutionary Act): ويراد به : الحدث الذى يقصده المتكلم بالجملة، كالأمر أو النصيحة، وهذا الصنف "من الأفعال الكلامية هو المقصود من النظرية برمتها، ولذا اقترح أوستن تسمية الوظائف اللسانية الثاوية خلف هذه الأفعال: القوى الإنجازية، ومن أمثلة ذلك: السؤال، إجابة السؤال، إصدار تأكيد أو تحذير، وعد، أمر..."، فالفرق بين الفعل الأول والثانى أن الفعل الأول مجرد قول والثانى قيام بفعل ضمن قول، وزاوج أوستن بين القول والفعل فى بداية نظريته غير أنه عدل عن هذا إلى أن كل قول عبارة عن فعل، ولا يمكن الفصل فى مضامين الفعل (٢).

---

١) ارجع إلى: فى اللغة والأدب: الاتجاه التداولى فى البحث اللغوى المعاصر، الدكتور محمود نحلة، ص١٩٦، والتداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ص٤١.

٢) الفعل الإنجازى: ما يعبر عن معنى منجز مستفاد من المعنى الأصلى أو ما يؤديه الفعل اللفظى من معنى إضافى يكمن خلف المعنى الأصلى، مثل: أقوم وأجلس، وبعض حديث المتكلم ينجز معنى قصدياً (Speakrs inention) أو تأثيراً مقصوداً (intended effect)" ، وقد سماه أوستن "قوة الفعل" (force)، وأسميه أثر القول أو الفعل، أو الفعل الإنجازى، وهو الأدق، و اشترط لتحقيق هذا المعنى الإنجازى أن يتحقق من السياق العرفى أو المقام، مثل: "I will come to see you tomorrow"، سأحضر لرؤيتك غداً، يعتمد معناها الإنجازى - وهو الوعد -

والأقوال المضمرة ترتبط بالخطاب ومقامه خلاف الافتراض السابق الذى يُحدد على أساس معطيات لغوية، والفرق بينه وبين الافتراض السابق أن الأول وليد السياق الكلامى، وأن الثانى وليد معطيات الخطاب الدلالية، أوالمعلومات التى يتضمنها الخطاب ووعى طرفى الاتصال، ولكن تحقيقها فى الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث، وقائمة التأويلات مفتوحة مع تعدد السياقات والطبقات المقامية التى يُنجز ضمنها الخطاب (١)، وهنالك معنى صريح يفهم من لفظ الجملة ومعنى ضمنى يفهم استنتاجاً، فقد يكون الكلام دليلاً على غيره، مثل: أقلع فلان عن التدخين ، نستنتج منه ضمناً أن فلاناً كان يدخن، ومتضمنات القول باعتباره إجراءً مهمته تكمن فى إبانة ما خفى من الجانب التلفظى، وهذا الإجراء فيه نمطان من متضمنات القول: الافتراض السابق والقول المضمر.

الثالث - الفعل الناتج عن القول (Perlocutionary Act): التأثير العملى للقول أو الأثر الذى يحدثه الفعل الإنجازى فى المتلقى (acheived effect)، ورد فعل المتلقى، كقبول الدعوة، وإجابة السؤال، وامتثال الأمر، أو توليد فعل آخر موازٍ للقول (٢).

على مدى تحقق شروطها حيث يكون المتكلم قادراً على إيفاء وعده، وأن ينوى فعل ذلك، وأن يكون واثقاً من أن المستمع يرغب فى رؤيته، وهى توكد الإنجاز، وغيابها يشكك فيه، فانتفاء رغبة المستمع فى رؤية المتكلم قد يجعل المعنى الإنجازى يحتمل معنى مضاداً، يوحى بسوء، فيتحول المعنى القصدى من "الوعد" إلى "الوعيد"، و قد ضمن أوستن هذا فى كتابه" عندما يكون القول هو الفعل" (Quand dire , c'est faire) ".وقد قدم سيرل تصنيفه الخماسى: التأكيدات، والأوامر، والالتزامات، والتصريحات، والأدلاءات. (تناول هذا فى : Searle J.R.: Speech Acts, Cambridge University Press, Cambridge, Mass, ١٩٦٩).ارجع إلى: التداولية من أوستن إلى غوفمان، بلانشيه ص١٥٠

١) ارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى، مسعود صحراوى، دار الطليعة، بيروت، ص١٤٨

٢) يوضحه قوله تعالى: (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين) [البقرة : ٢٥٨]، لقد رد عليه إبراهيم عليه السلام بفعل مقابل قوله الكذب، والفعل الناتج عن القول عبر عنه القرآن حكاية بـ (فبهت الذى كفر).

ارجع إلى: التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى، مسعود صحراوى، دار الطليعة، بيروت، ص١٤٨، ويضيف الدكتور مسعود صحراوى إلى هذه الفروع الثلاثة فرعاً رابعاً استوحاه من كلام الأصوليين، وهو "الفعل المستدعى بالقول"، فهو يضيف الفعل المستدعى بالقول بناء على سبق الأصوليين في تعريف الأمر والنهى تعريفاً مغايراً لعلماء المعانى، فالأمر هو: "استدعاء الفعل بالقول

وصنف أوستن الأفعال الكلامية على أساس قوتها الإنجازية (وظائف قيم الإنجاز) (Illocutionary Act) إلى خمسة أصناف (١):

الأول ـ الأفعال اللغوية الدالة على الأحكام (Verdictivs): وهى التى تقوم على الإعلان عن حكم، : كالإذن، الحكم، والقضاء، والفصل، والإقرار، والتعيين، وتصدر عمن بيده القدرة على إصدار الحكم، مثل: القاضى والرئيس والمدير.

الثانى. الأفعال اللغوية الدالة على القرارات (Exercitivs): وهى التى تقوم على إصدار قرار لصالح سلسلة الأفعال، أو ضدها، مثل: الدافع، الإدانة، والطلب، والترجى، التعيين، النصح، التحذير.

الثالث ـ الأفعال اللغوية الدالة على التعهد (commissives): الضمان، التعهد، الاشتراط، اليمين، العقد، والتكفل، ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة، مثال: وعد، وتمنى، والتزم، وبعقد، وضمن، وكفل .

الرابع ـ الأفعال اللغوية الدالة على السلوكيات (behabitives): وهى ردود الفعل تجاه سلوك الآخرين، مثل: الاعتذار، والشكر، والتهنئة، والمواساة، والتأسى، والتصبر.

الخامس ـ الأفعال اللغوية الدالة على الإيضاح أوالعرض ((Expositifs: وتستعمل لعرض الآراء والمفاهيم وبسط الموضوع وتوضيح استعمال كلمات، مثل: رأى، وأوضح، وبيّن، وفسّر، وأكد، وأنكر، وخطّأ، وأجاب، وافترض، واعترف، ورد (٢)، ووظيفة هذه الأفعال ضبط سلوك المتكلمين الاجتماعى.

ممن هو دونه"، والنهى: "استدعاء الترك بالقول ممن هو دونه على سبيل الوجوب". فالفعل المستدعى بالقول هو الأمر أو النهى أو الاستخبار...، والفعل المتضمن فى القول هو ألفاظ العقود والمعاهدات، والأحكام القضائية...، والفارق بينهما أن الفعل المستدعى يبين طبيعة الفعل ودرجة طلبه من كونه أمراً أو نهياً... فى حين أن الفعل المتضمن في القول هو نفس الفعل من غير بيان درجة طلبه. و لم يهمل التداوليون "الفعل المستدعى بالقول"، فقد ذكروه فى حديثهم عن القوة الإنجازية فى الاستفهام والأمر والنهى، والاستخبار... ولم يذكروه فى تقسيمات الفعل الكلامى، لأنه متضمنة فى الفعل المتضمن بالقول، من خلال قوته الإنجازية الثاوية وراءه، والتى تبين درجة طلبه وشدته.

١) آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، الدكتور محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ٤٠ وما بعدها، و المقاربة التداولية، أرمينكو، ص٥٢.وعلم التخاطب، يونس، ص٩٩ : ١١٥.

٢) ارجع إلى: آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، الدكتور محمود نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ٤٠ وما بعدها

وقد استطاع أوستن تحديد بعض المفاهيم الأساسية للأفعال الكلامية التى تعد جزءاً لا يتجزأ من التداولية، ووضع يده على مفاهيم أساسية مثل الفعل الإنجازى الذى أصبح مفهوماً محورياً فى هذه النظرية، وعدت فى صميم الأعمال التداولية، وقد توصل إلى أن للخطاب معانٍ صريحة يحملها الخطاب ومعانٍ ضمنية يستلزمها الخطاب، وذلك من خلال تقسيمه دلالة الخطاب إلى صريح وضمنى مستلزم (١)، ويضم المعنى المنطوق عند جرايس ما تدل عليه الجملة معجمياً ونحوياً، ويضم منطقياً دلالة الافتراض ودلالة التضمّن، فتشتمل دلالة الجملة معجمياً ونحوياً محتويين:

أولهما- المحتوى القضوى النحوى: وهو "مجموع معانى مفردات الجملة مضموم بعضها إلى بعض فى علاقة إسناد".

وثانيهما- القوة الإنجازية الحرفية: وهى التى تدل عليها أدوات تصبغ الجملة بأسلوب خاص كالاستفهام والأمر والطلب والتأكيد عليه، والنهى والتأكيد عليه، فالقوة الإنجازية تعنى أسلوب الجملة وطريقة إنجازها (٢).

ودلالتا الافتراض والتضمن ضمن الدلالة المنطقية، ودلالة الافتراض: علاقة بين جملتين، مثل الجملة (س): أغلق محمد النافذة ، والجملة ص: النافذة كانت مفتوحة، فالجملة (س) تفترض (ص) سواء كانت (س) صادقة أم كاذبة، فهى لا تنفى الافتراض القائم على المذكور فى الجملة دون اعتبار الواقع.

ودلالة التضمن: علاقة بين قضيتين، مثل (س): رأيت كلباً، و (ص): رأيت حيواناً، فـ (س) تتضمن (ص)، فإذا كانت (س) صادقة؛ فإن (ص) صادقة، ولكن إن كانت (س)

---

١) التداولية من أوستن إلى غوفمان، بلانشيه ص١٥٠ ، وعلم التخاطب، يونس: ص٩٩ : ١١٥، مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، يونس، ص٣٤ ، ومقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، يونس، ص٣٤: ٤٥، و التداولية، صحراوى، ص٣٤.

٢) تنظر نظرية أفعال الكلام إلى اللغة على أنها مخاطبة تعبر عن أفعال حقيقة، فالطلب يعبر عن رغبة فى شىء ما، وحكم القاضى يعنى الفعل المترتب على هذا الحكم بالسجن أو الإفراج، وعقد البيع اللفظي يعنى تمليك البيت وتملك المال، وقول الرجل كلمة الطلاق لزوجته يعنى أنه يقوم بفعل المفارقة، واللغة عند أوستن وسيرل تعبر عن مواقف فعلية.

كاذبة لا يشترط أن تكون (ص) كاذبة، فقد يكون المرئى قطاً وهو حيوان، وإن كانت (ص) كاذبة فـ (س) كاذبة (١)، وهذه الدلالة تتعلق بمبدأ الجنس والفصل المنطقيين، فالفصل يتضمن الجنس وليس العكس، وتتعلق بدلالة العام والخاص حيث يشمل العام الخاص، وليس العكس علماً بأن العام والخاص مرتبطان بمبدأى الجنس والفصل المنطقيين، كما أنهما مرتبطان بالوضع اللغوى، وهما عند أوستن ضمن الجانب المنطقى (٢)، لقد تأثر أوستن فى نظرية أفعال الكلام بالمناخ الفكرى الذى ساد فى زمنه، لمعرفة تكوينه الفلسفى، فقد أثر المنهج التجريبى فى الحياة العامة، وقد استفاد من أسس الحساب لجوتلوب فريجه، ومن ثم وضع نظريته على نسق رياضى، وقد ظهر تيار وضعى منطقى يرى أن الفلسفة يجب أن يقتصر موضوعها على تحليل اللغة العلمية، ولكنه لم يأخذ برأى هذا التيار ولا تيار اللسانيين اللأنثربولوجيين (أصحابه بواس وسابير و ورف) الذين اهتموا بأثر اللغة فى ثقافة الشعوب البدائية وأن بنية اللغة وبنية الفكر شىء واحد، ويترتب على هذا أن اللغة ليست وسيلة التخاطب أو أداة التفاهم والتواصل فقط بل اللغة وسيلة التأثير فى العالم وتغيير السلوك الإنسانى من خلال مواقف كلية، ولكن أوستن يرى أن اللغة معطى حسياً، ويرى أنه يخصص الكيفية التى يعبر بها عن الإحساس، وتوظف فيها بعض العناصر العناصر النحوية كالظرف والحال، والتحليل الذى يدرس علاقة اللغة بالإدراك الحسى يكشف عن التفكير المتطور من خلال دلالات الألفاظ .

إن ما قدمه أوستن لم يك كافياً لوضع نظرية متكاملة عند بعض اللغويين الذين نقدوا بعض محاورنظريته (٣) بيد أنهم لم ينكروا أنه فتح الباب لغيره فى مجالات تحتاج بحثاً وضبطاً، واستطاع تلميذ ه "جون سيرل" أن يعالج بعض القضايا التى قصر عنها أوستن، وأحكم الأسس المنهجية التى تقوم عليها من خلال بحثيه الفعل الإنجازى و القوة الإنجازية، وقد شكلا نظرية نُسبت إليه فى الأفعال الكلامية فى كتابه "أفعال الكلام" (Speech Acts)

---

١) ارجع إلى: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، يونس، ص٣٣، وما بعدها، والتداولية من أوستن إلى غوفهان، بلانشيه: ص١٥٠، والمقاربة التداولية، أرمينكو، ص٥٣

٢) التداولية من أوستن إلى غوفهان، بلانشيه، ص١٥٠، والمقاربة التداولية، أرمينكو، ص٥٣

٣) سوف أتناول نقد نظرية أفعال الكلام بعد تناولها عند تلميذه سيرل.

(الصادر ١٩٦٩م) (١)، وعدت المرحلة الثانية من المرحلة التى بدأها أوستن.

وربط سيرل بين الأفعال الإنجازية و قوتها وبين مفهوم القصد إذ يعده هدف العملية برمتها، وحدد مفهوم الفعل الإنجازى (Illocutionar act)، ، فعده الوحدة الصغرى للاتصال اللغوى، وحدد مفهوم القوة الإنجازية فى تأثر المتلقى بدليل القوة الإنجازية (Illocutionary Force Indicator)، وهو الذى يبين نوع الفعل الإنجازى الذى يؤدى بالنطق من خلال نظام الجملة (word order) ، أوالنبر (Stress)، أوالتنغيم (Intonation) ، أوعلامات الترقيم (Punctuations) فى اللغة المكتوبة، أوصيغة الفعل (Mood)، أوالفعل الأدائى (Performative)، ورأى أن الهدف لنمط معين من الإنجاز هو هدفه الإنجازى، والهدف الإنجازى يشكل جزءاً من القوة الإنجازية، لكن لا يجب الخلط بين الأمرين، فالهدف الإنجازى للطلبات التى يمكن أن تعد أوامر تبحث عن فعل شىء للمستمع، والقوة التى يقصدها تتركز فيها يحدث لدى المتلقى من تأثير، ومفهوم الفعل الكلامى عنده أوسع من أن يحدد بقصد المتكلم، بل هو مرتبط بالعرف اللغوى والاجتماعى، وقد دمج جون سيرل تحليلات جرايس المتعلقة بمقاصد المتكلم ودراسة المعنى، والتى عارض جرايس فيها المفهوم الشكلى الأرثوذكسى فى نظرية الدلالة القائل: إن المعنى العام المتعارف عليه للكلمة يحدد من معانى الكلمة فى استخداماتها المختلفة، ولكن جرايس رأى أن معنى الكلمة يستنبط من وراء قصد المتكلم من النطق بالكلمة، فهو يؤكد أن ما يعنيه متكلم أو كاتب ما بعلامة ما فى مناسبة ما قد ينحرف عن المعنى القياسى لتلك العلامة، واستفاد سيرل أيضاً من مفهوم المعنى العام (المعجمى) والمعنى السياقى البديل (Token) كما وظفهما جرايس، وعد الغرض المتضمن فى القول (but illocutoire) عنصراً أساساً و مكوناً من مكونات القوة المتضمنة فى القول (Force illocutoire) ، واقترح (سيرل) طابعاً خاصاً يشمل بعض الأفعال، يدخل ضمن " الأفعال المباشرة" (Direct)، والأفعال غير المباشرة (Indirectes)، فربط بين العبارة اللغوية ومراعاة قصد المتكلمين من خلال أعمال (سيرل). وعالج الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة، وتوصل سيرل إلى رأى معتدل فى المعنى

---

١) تسمى نظرية الفعل الكلامى ونظرية الحدث الكلامى وعلم اللسان البراجماتى. ارجع إلى: نظرية أفعال الكلام العامة، كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة عبد القادر قنينى، ط٢٠٠٨م، أفريقيا الشرق، المغرب.

الحرفى والمعنى السياقى، واستوعب المعنى الأدبى، فقال إن كلمة " حرفى " فى تعبير "المعنى الحرفى للجملة " مجرد لغو؛ لأن الأنماط الأخرى للمعنى التى تتجسد فى المعنى الساخر والمعنى الاستعارى والأفعال الكلامية غير المباشرة والاستلزامات الحوارية ليست – على نحو متكافئ – تابعة للجمل، ولكنها تابعة لسياق الجمل ومقاصد قائليها، وهذا يعنى أن المتكلم الفاعل الحقيقى للخطاب فى سياقه (١)، ومعنى الجملة المباشر ليس حرفياً بل معنى تركيبياً حقيقياً، والمعنى السياقى معنى ثانوى للجملة؛لأنه قيد السياق وليس التركيب. وقد طور سيرل شروط الملاءمة أو المناسبة عند أوستن، فجعلها أربعة شروط، و هى:

أولاً. شروط المحتوى القضوى (Propositional Content Conditions):

أ. أن يعبر الخطاب عن معنى قضوى، وهذا من خلال قضية (proposition) تقوم على متحدث عنه أو مرجع (Reference) ، ومتحدث به أوخبر ((Predication.ب. أن يكون المحتوى القضوى هو المعنى الأصلى للقضية.

ج. أن يتضمن الخطاب فعلاً مستقبلياً، ويتحقق شرط المحتوى فى فعل الوعد مثلاً إذا كان دالاً على حدث فى المستقبل يلزم به المتكلم نفسه، ويمثل هذا عندى الجملة الشرطية؛لأن الجواب قيد فعل الشرط، نحو: إن تأت أكرمك، فالوعد بالكرم قيد مجىء المخاطب.

د. أن يكون المتلقى راغباً فى فعل المتكلم، وأن يثق بقوله.

ثانياً. الشرط التمهيدى (Preparatory conditions): ويشترط فيه أن يكون المتكلم قادراً على إنجاز الفعل، ولا يكفى أن يعتقد المتكلم والمخاطب أن الفعل المقصود سينجز تلقائياً فى إطارالوضع المألوف للأحداث أو لا ينجز.

ثالثاً. شرط الإخلاص (The Sincerity Condition): أن يكون المتكلم راغباً فى تحقيق الفعل، فالصدق فى الفعل أداة نجاحه، ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصاً فى أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد، وألا يزعم القدرة على فعل ما لا يستطيع.

رابعاً. الشرط الأساسى (The Essential Condition) أهلية الفعل: أن يكون المتكلم

---

١) المقاربة التداولية للخطاب، أرمنيكو، ص١٧، والنص والسياق، فان دايك، ص٢٥٩

أهلاً لفعله أو لقوله، فإسناد القول لغير قائله يناقض صدقه، ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير فى السامع لينجز الفعل.

وهنالك شروط تتعلق بالمتلقى منها: أن يكون راغباً فى تلقى الخطاب، وأن يكون واثقاً به، وأن يستوعب مضمون خطابه، وأن يكون مهيّأً للتلقى ومستوعباً مقاصد الخطاب.

وقدم أوستن خمسة أصناف للأفعال الكلامية (Categorizing Speech Acts) بديلاً للأصناف الثلاثة التى قدمها أوستن (الغرض الإنجازى واتجاه المطابقة، وشرط الإخلاص)، وهى (١):

الأول. الأفعال التأكيدية (Assertives): أن تطابق الأفعال الواقع، وأن يكون المتكلم مقتنعاً بها، وأن يكون الغرض الإنجازى فيها وصف واقعة معينة من خلال قضية (Proposition)، لا تحتمل أفعالها الكذب، وأن يكون اتجاه المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم (words to world)، وأن يكون وصف الوقائع أميناً.

الثانى ـ الأفعال التوجيهية (Directives): وغرضها الإنجازى محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل معين، ويبدأ الأمر بالتلميح به، و ينتهى بالتصريح على وجه الإلزام والاستعلاء، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات (world to words)، ويشترط الإخلاص فى الرغبة الخالصة (النية) فى التأثير فى المتلقى وإقناعه (٢)، ويدخل فيها النصح والإرشاد والإصلاح والاستعطاف والتشجيع .

---

١) ارجع إلى: المقاربة التداولية، ص٦٢، ٦٣ وما بعدها.

٢) عبر القرآن الكريم عن هذا بقوله تعالى: (وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا)[النساء: ٣٥]، اشترط النص الإرادة والنية الخالصة، الضمير فى الفعل يريدا عائد على الحكمين، أى: إن يريد الحكمان الإصلاح بين الزوجين المتخاصمين، فعليهما أن يخلصا نية الإصلاح مستعينين بكل وسائل الصلح، قال ابن عاشور: " وقد وعدهما الله بأن يوفق بينهما إذا نويا الإصلاح ، ومعنى التوفيق بينهما إرشادهما إلى مصادفة الحق والواقع ، فإن الاتفاق أطمن لهما في حكمهما بخلاف الاختلاف ، وليس في الآية ما يدل على أن الله قصر الحكمين على إرادة الإصلاح حتى يكون سندا لتأويل أبي حنيفة أن الحكمين رسولان للإصلاح لا للتفريق ، لأن الله تعالى ما زاد على أن أخبر بأن نية الإصلاح تكون سببا في التوفيق بينهما في حكمهما ، ولو فهم أحد غير هذا المعنى لكان متطوحا عن مفاد التركيب"، وقيل الضمير للزوجين والأول أرجح .ارجع إلى: القرطبى ، ط التوفيقية، جـ٥/ ١٥١

الثالث ـ الأفعال الالتزامية (CommisSives): وغرضها الإنجازى التزام المتكلم بفعل شيء فى المتلقى، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات (World to wolds)، ويشترط لها الإخلاص فى القصد (Intention)، ويدخل فيها: الوعد، و الوصية.

الرابع ـ الأفعال التعبيرية (Expressives): وغرضها الإنجازى التعبير عن الموقف النفسى تعبيراً يتوافر فيه الإخلاص، وليس لهذا الصنف اتجاه مطابقة؛ لأن المتكلم لا يحاول أن يطابق الكلمات بالعالم، ولا أن يطابق العالم بالكلمات، ويدخل فيها: الشكر، والتهنئة، والاعتذار، والمواساة.

الخامس ـ الأفعال الإعلانية (Declaratives): وتعتمد على الأداء الناجح الذى يتميز بمطابقة محتواها القضوى الواقعى، أوالتقريب بين مضمون القضية المعبر بها وبين الواقع المعبر عنه لضمان إنجاز أفضل، لإحداث تغيير فى الوضع القائم (١)، وهذا النوع يقتضى عرفاً غير لغوى، واتجاه المطابقة فيه تبادلى من العالم إلى الكلمات ومن الكلمات إلى العالم، ولا تحتاج إلى شرط الإخلاص فى كل إعلان، وتمثلها الأفعال التى تحدث تغيرات فورية فى نمط الأحداث العرفية التى تعتمد غالباً على طقوس اجتماعية غيرلغوية تتسم بالإطالة، ومنها: أفعال الحرمان الكنسى وإعلان الحرب وطقوس التنصير والزواج وأفعال الطرد والإقالة من العمل، ولكل منها طقوسه الخاصة فإعلان الحرب يحتاج أداءً ناجحاً يوافق العالم الخارجى، ويتضمن الوضع الحربى والأسباب والهدف، والهدف من هذا التقسيم معالجة القصور الذى وجده فى تقسيم أوستن الثلاثى، وقد طبق هذه الشروط تطبيقاً محكماً على كثير من الأفعال الإنجازية.

وتناول (سيرل) مستويات الاستعمال اللغوى، وقسم معانى القول إلى نوعين: أولهما ـ المعنى الحرفى أوالمعنى المباشر (Direct)، وهذا المستوى أيسر المستويين؛ لأنه يتناول اللغة العادية ذات المعنى المحدد. والثانى ـ المعنى غير المباشر (Indirect)، وهومستوى أعمق من سابقه لإعمال العقل فيه والتخييل إذ يتعلق بالمعنى المفهوم غير المباشر من وراء اللفظ ، ومنه الاستعارة التى تتميز عن الحقيقية وأشكال القول المجازية بالتصوير أو التخييل والإثارة

---

١) ارجع إلى: آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر ، محمود أحمد نحلة، ص ٤٠ – ٨٤ .

والوضوح والتقريب، وتوصل سيرل إلى أن القول الحقيقى يكمن وجوده فى التطابق التام بين معنى الملفوظ وما يقصده المتكلم وما يفهم من قبل السامع، والاستعارة على نقيض ذلك، فحرفية الملفوظ ليست المقصودة فى ذاتها، بل المقصود ما يفضى به هذا المعنى الحرفى إلى معنى آخر بقرينة سياقية (١).

وقسم الأفعال الإنجازية إلى نوعين:

أولها ـ الأفعال الإنجازية المباشرة (Direct)، ورأى أنها التى تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيطابق ما يعنيه.

والثانى ـ الأفعال غير المباشرة (Indirect)، وهى التى تخالف قوتها مراد المتكلم، وبيّن سيرل الفرق بين الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة بأمثلة مثل: إذا قال رجل لرفيقه على المائدة: هل تناولنى الملح؟ له معنيان: أولهما ـ أصلى، يدل على الاستفهام الذى يحتاج جواباً، وليس عين المراد. والثانى ـ معنى غير مباشر، وهو استئذان المخاطب فى طلب مهذب عبر معنى فعل إنجازى مباشر: ناولنى الملح من فضلك. وفرق بين طبيعة التعابير اللغوية المتداخلة والمتبادلة كما فى السؤال الآتى: هل يمكنك أن تفتح الباب؟ (Can you open the door?)، ننجز طلباً غير مباشر، والعلاقة بين الطلب والسؤال قريبة، لكن بعض الجمل يمكن أن تفسر حسب فهم المتلقى، مثل فهم المضيف قول ضيفه: الجو حار هنا اليوم (It is too hot today)، أنه يريد الإخبار عن الطقس داخل الحجرة؛ فالقول فى ظاهره إخبارى تقريرى، والمتكلم يقصد أن يستأذن المضيف فى أن يفتح نافذة الغرفة، وهو ما يعرف فى العربية بالتعريض أو التورية: أن يمس المتكلم المراد بلفظ غير صريح تعريضاً أو تلميحاً بحاجته تأدباً أو خجلاً، وهو فى تصنيف نظرية "أفعال الكلام" طلب غير مباشر، والأفعال غير المباشرة عند سيرل لا تدل هيئتها التركيبية على زيادة فى المعنى الإنجازى الحرفى، وإنما الزيادة فيما أطلق عليه معنى المتكلم، ويرى أن السامع يصل إلى معنى المتكلم من خلال مبدأ

---

١) هذا ما تناوله "عبد القاهر الجرجاني" فى كتابه "دلائل الإعجاز "ص، فى حديثه عن معنى المعنى (المعنى المجازى) إذ قال: "تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذى تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أن نعقل من اللفظ معنى، ثم يفضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر". دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانى، مطبعة المدنى، المؤسسة السعودية، بمصر، ط/٣، ١٩٩٢م، ص ٢٦٣.

التعاون الحوارى عند جرايس، وسماه سيرل استراتيجية الاستنتاج (Inference stratigy)، وهذا موضع نقد فى النظرية؛ لأن بعض المعانى غير المباشرة تؤدى بصيغ إخبارية، وتعتمد على قصد المتكلم وحده ولا تعتمد على فهم المتلقى فقد لا يفهم المعنى البعيد الذى كنى عنه المتكلم، والسياق لا يكفى وحده فى تفسير التعريض والتورية، ونظرية أفعال الكلام اعتمدت على المتلقى وحده دون المتكلم، كما أنها تجاهلت الأعراف اللغوية المختلفة فى اللغات، ولها أثرها فى المعنى.

وتوصل سيرل إلى أن المتكلم يقوم بأربعة أفعال حين ينطق بالجملة، وهى: إنجاز فعل التلفظ (التلفظ بالكلمات)، وإنجاز فعل القضية أو الجملة، وإنجاز فعل قوة التلفظ، وأضاف إلى هذه المفاهيم الثلاثة المفهوم الذى قدمه أوستن "فعل أثر التلفظ" (Perloctionary act)، وهو المفهوم الذى يتلازم مع مفهوم "فعل قوة التلفظ" والذى يجسد النتائج والتأثيرات التى تحدثها الأفعال الإنجازية السابقة فى وعى المتلقى ومعتقده، ويمكن إقناع المخاطب بالحجاج ، ويمكن تخويفه أو تنبيهه بالإنذار، ويمكن أن يعمل شيئاً ما بالطلب، ويمكن التأثير فيه وإقناعه وتثقيفه بالإعلام.

ووضع سيرل. أسوة بأوستن. شروطاً لضبط الاتصال الإنجازى ومعالجة قصور الشروط التى قدمها أوستن:

الأول - شروط المدخل والمخرج الاعتيادية (Normal input and output conditions): ويفترض سيرل أن يكون الاتصال صريحاً وجاداً، وأن يتم بين متكلم ومتلق يشترط فيهما القدرة على الاتصال فيما بينهما عضوياً ونفسياً.

الثانى - شرط المحتوى القضوى (Propositional Content Conditions): ينبغى أن يعبر فعل التلفظ عن قضية، وأن تُسند القضية إلى المتكلم فعلاً مستقبلياً.

الثالث - شروط تمهيدية (Preparatory conditions): أن يفترض المتكلم أن المستمع يريد أن يقوم بالفعل، وأن يصدق افتراض المتكلم، وأن يكون أمر إنجاز الفعل من قبل المتكلم واضحاً لدى المتكلم والمستمع.

الرابع - شرط الصدق (The Sincerity Condition): أن ينوى المتكلم إنجاز الفعل

الذى تسنده له القضية المصرح بها.

الخامس ـ الشرط الأساسى (The Essential Condition): أن يقصد المتكلم أن يلزمه تلفظه القيام بالفعل مناط التلفظ.

السادس ـ شرط المعنى غير الطبيعى (The non-natural meaning condition): أن يقصد المتكلم أن يدرك المستمع أن المتكلم ملزم بالقيام بالفعل من خلال تلفظه، وأن يكون هذا الإدراك قائم على معرفة المستمع بمعنى تلفظ المتكلم.

السابع ـ الشرط التعريفى (The defining condition): أنه لا يكون تلفظ المتكلم صحيحاً ولا وعده صادقاً ما لم تستوف الشروط السابقة (١).

نقد النظرية: لقد تعرضت نظرية أفعال الكلام للنقد فى بعض عناصرها غير واضحة المفهوم وبعض العناصر النسبية، ومن وجوه النقد:

أـ أن بعض مصطلحاتها مبهمة، فبعض مفاهيم المصطلحات متداخلة وبعضها غير واضح.

ب ـ أنها قصرت تمييزها بين أفعال الخطاب على النتاج اللغوى فقط ومفهوم السياق العرفى، وهو الهدف المركزى لهذه النظرية، والبحث يقتضى أن تشمل أنظمة التواصل والإشارات اللغوية وغير اللغوية.

ج ـ أن مفهوم العرف السياقى غامض فى تحديد قوة القول (Force) أو فعل قوة التلفظ، فهل هو مسألة قصدية أم مرتبط بإحداث أثر ما؟ وهل يمكن اعتباره سلوكاً صريحاً أم أنه مجرد سياق؟ و ظل هذا المفهوم مثار تساؤل لدى كثيرين من دارسى هذه النظرية، وقد اعترف أوستن فى كتابه "كيف تنجز الأشياء بالكلمات" أنه من الصعب أن يحدد الباحث أين يبدأ العرف وأين ينتهى (٢).

---

١) ارجع إلى: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، يونس، ص٣٤، والتداولية، صحراوى، ص١٤٨.
Searle J. R (١٩٦٩). Speech Acts. Cambridge: Cambridge University Press.

٢) ارجع إلى: النص والسياق ، فان دايك، ص٢٥٧، ١٢، والتأويل بين السيميائيات والتفكيكيه، أمبرتو إيكو، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافى العربى ط، ٢٠٠٠ م، ص١٨٧

د- أن نظرية أفعال الكلام- عند أوستن وسيرل- اهتمت بعرض نموذج أحادى ضيق فى تناول أفعال الإيصال، وهو الجانب الذى يتعلق بالمتلقى (الاستجابة والفهم ورد الفعل)، ولم تعتن بالطرف الأول (المتكلم) ووسيلة الاتصال، وهذا يكشف القصور، فهى لم تتناول كل عناصر الاتصال كاملة، وأفعال الاتصال تتعاون فى إنجاز الفعل الاتصالى ونادراً ما تُنجز فى عزل بعضها عن بعض، ومن ثم يرى نقادها أنه من الصواب أن تتبنى هذه النظرية فى دراستها الاتصال وتفسيره مفهوماً واسعاً يماثل المفهوم الشامل الذى طرحه فتجنشتاين فى أطروحته "ألعاب اللغة"(Games) of Language فى كتابة "أبحاث فلسفية" ١٩٥٣م، وقد رأى أن معانى الكلمات المستقلة عن سياقها فضفاضة، ولا تكتمل إلا فى ضوء سياقات تكشف وظائفها، وتعرف هذه العملية بألعاب اللغة، ويرى فتجنشتاين أن الاعتقاد بأن اللغة يمكن أن تأسر الواقع ضرب من الخداع والسحر.

هـ- أن بعض الدارسين ذهبوا إلى أن بعض المفاهيم التى طرحها أوستن مثل: فحوى الكلام (locution) وقصد الكلام (Illocution) ، وأثر الكلام (per locution) قد تأثر فيها بفتجنشتاين، وبعضهم يرى أنه نقلها عنه، ورأوا أيضاً أن مفهوم فعل التلفظ (Locutionary Act) وفعل قوة التلفظ (Illocutionary Act)، يرجعان إلى مصطلحى فتجنشتاين "الجملة المتحررة (Sentence-Radical) والعنصر الشرطى (Modal Element)(١).

و قد رأى جيفرى ليتش أن نظرية أفعال الكلام خلطت بين الفعل النحوى أو الفعل الوظيفى وبين الفعل الإنجازى، وربط لاحقاً فى طرحه مفهوم التأدب (Politness) نوعين من الأفعال الإنجازية التى صنفها سيرل، وهما الأفعال التوجيهية والأفعال الالتزامية بالأهداف التنافسية فى مبدأ اللباقة (Tact maxim) مشيراً إلى أنه كلما كانت قوة القول غير مباشرة كلما كانت أكثر تأدباً (٢).

---

١) ارجع إلى : التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبرتو ايكو، ص١٧٩

٢) ارجع إلى: التداولية عند علماء العرب، مسعود صحراوى، ص١٥ وما بعدها، و نحو نظرية عربية للأفعال الكلامية، محمود نحلة، مجلة الدراسات اللغوية ، الرياض، م١، ع١، أبريل- يونيو١٩٩٩م، ١٦١، ١٦٢، والتحليل اللغوى عند مدرسة أكسفورد، صلاح إسماعيل عبد الحق، دار التنوير، بيروت، ١٩٩٣م، ص١٤٣،

وتناول دريدا (رائد التفكيكية) أخطاء نظرية أفعال الكلام، فرأى أن كل العلامات بما فى ذلك أفعال الكلام مكررة، وأنها يمكن أن تقطع من سياقها، وتفسر على تفسيراً آخر غير، ويمكن أن تكرر، وأن القصد فى أفعال الكلام قد تستحيل معرفته أوالجزم به، وأن أثر التلفظ فى قول ما لا يمكن التنبؤ به (١)، وهذا لا ينفى أنها قدمت إضافة جديدة فى التنظير والتطبيق وعالجت بعض وجوه النقد عند جرايس، وأنها مازالت موضع بحث وتطوير.

وقد تداخلت فروع أخرى فيها وتأثرت بها، واستخدمت بعض مبادئها فى معالجة السياق، وترتب على هذا تشعبها وخوضها فى مسائل فلسفية نظرية، وتأثرها بالفلسفة العملية (البراجماتية: pragmatism)، فاهتمت بالوظيفة اللغوية الأدائية والقصد من القول الذى اعتبرته الهدف الرئيس، ولم تهتم بالمعانى النحوية التركيبية التى تعد من أصول المعنى فى العربية وفرعاً من المعنى، واهتمت بمعنى السياق الخارجى وقدمته على السياق اللغوى، والذين طبقوا المنهج فى العربية لم يفرقوا بين السياق اللغوى والسياق الخارجى الذى يعد فرعاً فى العربية على السياق اللغوى الذى يعبر عن المعنى الحقيقى والمعنى المجازى ثم تأتى بعض المعانى مستفادة من السياق الخارجى ، واعتمدت على فهم المتلقى وحده، وبعض الجمل تعتمد على مراد المتكلم الذى يعد مرجعية المعنى، مثل معنى التعريض.

ورأى بعض النقاد أن المدارس النقدية السياقية اهتمت بدراسة الظروف التاريخية والاجتماعية والنفسية وأثرها فى المبدع والنص، وأن ما قدمه التحليل البراجماتية اللسانى فى دراسة البعدين الثقافى والاجتماعى سبقت إليه المناهج النقدية.

ويمكن الرد على هذا أنها ما زالت فى مرحلة التطور، وأن بعض رجالها يستدركون ما تركته ويصلحون فاسدها ويتمون نقصها، فالتنظير والتطبيق لم يتوقفا فيها، وقد حققت

وما بعدها.

Leech, J. The Principles of Pragmatics, Longman, ١٩٨٣.

١)ارجع إلى: المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات ، أي مصطلحات لأي لسانيات ؟ مصطفى غلفان ، مجلة اللسان العربي ، العدد٤٦ ، ١٤١٩ -١٩٩٨، ص٤٩٩ : ١٥٩، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، ترجمة صابر الحباشة ، دار الحوار ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص٤٨ الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة ، دراسة نحوية تداولية ، خالد ميلاد ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص٤٩٩.

بعض النتائج، فقد بحثت المعنى الثقافى، فالبراجماتية لا تقف عند دراسة المظهر الفيزيائى للنص الذى تجسده اللغة المنطوقة، بل تتحرك إلى أبعد من الدلالة المباشرة للكلمات المكونة للمنطوق، فتبحث عن الأنساق الثقافية والفكرية التى تشكل سياق النص، وقد قدمت أفعال الكلام تفسيرات للسلوك الاجتماعى اللغوى، وساهمت دراسة أفعال الكلام والإشارات فى فهم النصوص الأدبية، واستفاد العلماء منها فى تعليم اللغات وفى دراسة الاتصال والإدراك(١)، وما تناولته التداولية من دراسة السياق الاجتماعى والثقافى ليس تكراراً لما قدمته المدارس النقدية، فقد بحثتها التداولية فى إطار لسانى وليس بحثها منصباً على دراسة الثقافة والمجتمع بل الدلالة المرتبطة بسياقها، فهى تنطلق من التحليل اللسانى للنص.

وترجع قيمتها الأدبية فى أنها تدرس المعنى الذى فهمه المتلقى، وتحديد قيم النص الجمالية يخضع لمعيار الذوق ذات مرجعيات اجتماعية وثقافية ومرجعية فردية تتعلق بالمتلقى الذى يؤول النص الإبداعى، ويحاول التداوليون المعاصرون نقل آليات التحليل التداولى من المستوى اللسانى الخالص إلى المستوى الأدبى الذى تأخر بحثه فى التداولية، وعد من جملة عيوبها، وحاولت بعض الدراسات فى اللغة الإنكليزية تطبيق التداولية على النصوص الأدبية، وهى فى طريقها إلى النضج والتوسع، وقام بعض النقاد واللغويين فى هذه الدراسات بتطبيق نظريات التواصلية اللغوية والوظائفية (Communicative and Functional)على النص السردى وعلى مستوى الجملة، وحاولت بعض الدراسات الاستفادة من مبادئ "الشعرية" (The poetry) عند جان كوهين (Jean Cohen)، وهى عبارة عن "خصيصة علائقية" فى بنية اللغة الشعرية (The structure of poetry) تجسد فى النص لشبكة من العلاقات التى تنمو من مكونات أولية سمتها الأساسية أن كلاً منها يمكن أن يقع فى سياق آخر ليس شعرياً تنشأ فيه هذه العلاقات، وتتحقق فى عناصره المتداخلة مع مكونات أخرى لها السمة الأساسية ذاتها التى يتمتع بها النص الشعرى يتحول إلى فاعلية خلق شعرية، تشبه شعرية النص الأدبى، وهذه الشعرية توجد فى خطاب بعض العوام من ذوى الخبرة (٢).

---

١) ارجع إلى : التداولية عند العرب، ص١٥، وما بعدها.

٢) ارجع إلى التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبرتو إيكو ص١٧٩، و فى الشعرية، الدكتور كمال أبو ديب،

وما زالت البراجماتية اللسانية فى مراحل التطوير ومعالجة وجوه النقد والتطبيق والتوسع فى مجال الدرس الأدبى الذى يحتمل جوانب أوسع مما توقفت عندها التداولية، ويعد هانسون (Hanssson) أبرز علمائها المعاصرين الذين تبنوا معالجة عيوبها، واستدركوا أوجه قصورها، فقد ساهم هانسون فى تطوير البحث البراجماتية عامة، و حاول توحيد النظريات التداولية بمحاولة جمع شتات توجهاتها التى تتخذ السياق أساساً فى بحثها فى درجات ثلاث دراسية تستوعب درجة السياق البحثية (١):

الدرجة الأولى. تهتم بدراسة الرموز الإشارية (التعابير المبهمة)، ضمن ظروف استعمالها (سياق تلفظها)، وسياق هذه الدرجة "الموجودات"، أو "محددات الموجودات"، والسياق الوجودى الإحالى: المخاطبون، ومحددات الفضاء، والزمن، مثل: هل هذا الكتاب لك؟ "هذا" تشير إلى شىء محدد، وهو الكتاب، والضمير " الكاف" يشير إلى المخاطب، ولكن المتكلم لا يقصد هذا المعنى المأخوذ مباشرة من دلالة الكلمات، بل يتعداه إلى مقصود آخر، وهو: استعارة الكتاب الذى تملكه (٢).

الدرجة الثانية. دراسة طريقة التعبيرعن القضايا وارتباطها بالجملة المتلفظ بها فى الحالات المهمة، فالقضية المعبر عنها أن تختلف عن الدلالة الحرفية للجملة، وسياق هذه الدرجة سياق بالمفهوم الموسع، فهو يمتد إلى ما يتوقعه المخاطبون فى سياق الحديث عن الأخبار والاعتقادات المشتركة لا السياق الذهنى، وأهم أسسها: قوانين الخطاب، ومبادئ المحادثة، والحجاج، والأقوال المتضمنة، ويوضح هذا المثال الآتى: قول المتكلم: الجو حار جداً هنا. يحتمل معانى ضمنية، منها: أنه لا يصف حالة الجو بل يتعداها إلى طلب القيام بفعل آخر بسبب منه، وهو فتح النافذة لتهوية المكان، فيكون المعنى: الجو حار جداً من فضلك افتح

مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان ١٩٨٧م، ص ١٥، والنقد الثقافى، قراءة فى الأنساق الثقافية العربية، الدكتورعبدالله الغذامى، المركز الثقافى العربى، ط/ ٢٠٠١، ص ٢٢، ونظرية الأفعال الكلامية، طالب هاشم طبطبائى، ص٦٥، وارجع إلى:

- Teun A. Van Dijk: "Pragmatics of Language and Literature"
- Richard J. watts: "The Pragmalinguisic Analysis of Narrative Texts"

١) ارجع إلى: استراتجية الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادى بن ظافر الشهرى، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازى، ليبيا، ط١/ ٢٠٠٤، ص٢١، ٢٢

٢) ارجع إلى: المقاربة التداولية، أرمنيكو، ص٣٨

النافذة. أويحتمل القول الخروج إلى مكان آخر أو الانتقال إلى الظل أو الشعور بالضيق، أو التعريض بطلب المصاحبة إلى مكان آخر.

الدرجة الثالثة. نظرية أفعال اللغة، أو أفعال الكلام.

وما زال الباب مفتوحاً للإضافة والتعديل والتطوير والتوسع فى التطبيق، ولكن الدراسات العربية مازالت فى مرحلة النقل والترجمة المباشرة وانشغل بعضها بالتنظير والجوانب الفلسفية والخلافات الاصطلاحية والتنظرية، والدراسات التطبيقية قليلة جداً وغير ناضجة، ولا تعطى تصوراً شاملاً للمنهج البراجماتية، وقد حاولت تعيين الأبعاد التطبيقية الأساسية للاستفادة متحاشياً مواضع الضعف والاختلاف ومراعياً عرف العربية فى التعبير وطبيعة النص.

نقد البراجماتية اللسانية:

أ. أنها مازالت البراجماتية اللسانية فى مراحل النضج والتطوير والتنظير والتطبيق، وأنها مازلت قابلة للزيادة والتبديل.

ب. أنها ليس لها منهج واضح أو مجال بحثى محدد، وهنالك توجه فى الدراسات المبكرة إلى دراسة موضوعات خاصة.

ج. أن الدراسات البراجماتية تتسع لحقول معرفية، وتستخدم بعض أسسها ومناهجها، وأكثرها أثراً علم المنطق، وتأثر الدرسون بعلم الرياضيات، ومن ثم ليس لها منهج واضح فى التحليل.

د. أنها لا تحظى بمساحة بحثية واسعة فى علم اللسان، فالبرجماتيون اللسانيون يتعصبون للبلاغة أكثر من تعصبهم لعلم اللسان الحديث بيد أن بعض الدراسات المتأخرة اتجهت إلى تأسيس علم اللسان البراجماتية.

وقد عدها بعض النقاد" صندوق القمامة" للسانيات حيث يرمى فيها كل ما لا يمكن دراسته ضمن مستويات علم اللغة الرئيسة (الأصوات والصرف والنحو الدلالة).

هـ. أنها تفتقد إلى القواعد العامة والمبادئ التى تعين أسسها، وما تطرحه من مبادئ لا

تضع تصوراً دقيقاً للتفسير البراجماتية والأسس العامة للسياق لا تكفى فى تفسير كل السياقات وأنماط الخطاب.

و- أنها لا تمثل منهجاً مستقلاً، ويتنازعها البلاغة وعلم اللسان، وهى عند من يعدها فى علم اللسان أهملت بعض العناصر اللغوية الأساسية، فاستبعدت الجانب الصوتى والصرفى والجانب النحوى من البحث، وأنها لم تعالج الأخطاء اللغوية والنحوية، ولم تهتم بالوضع اللغوى للفظ، ولم تعتد بأصل معناه، والمعنى السياقى مرتبط به، وهو عند علماء العربية معنى ثانوى مرتبط بالسياق ويزول بقطعه عن سياقه، وإزاحة اللفظ عن دلالته دون سياق دون قيد أو قرينة تحريف ومغالطة، كما أنها تجاوز المعنى المباشر لشكل التركيب، ولم تعتمده أساساً فى مقابل توسعها فى الاستعمال اللغوى وعلاقة اللغة بالسياق الخارجى والمعانى التى تتحقق من خلاله، وقد جعتله موضع بحثها، ولم تهتم بمعنى السياق اللغوى المباشر للتركيب النحوى، وهو المعنى المستفاد من ترتيب الألفاظ فى التركيب، وهو الجانب الذى عالجه البلاغيون العرب إلى جانب المعنى السياقى، والفصل بين القاعدة النحوية أو التركيب النحوى ومعنى الجملة غير مقبول فى العربية التى تنظم فيها الألفاظ والجمل بمقتضى علمى النحو والدلالة، فالتركيب النحوى عماد دلالة الجملة، والشكل التركيبى غير المفيد غير مقبول فى النحو، فالأصل فى صحة التركيب الإفادة ولا إفادة فيما يتجاوز القاعدة (١).

والمعنى السياقى يعينه المتلقى ولا يقوم على قصد المتكلم فى البراجماتية اللسانية، وهذا موضع نظر، ويحتاج مراجعة، فقد اهتمت بالمعنى الذى يفهمه المتلقى، واهتمت بالمتلقى أيضاً ورد فعله، ولم تدخل المتكلم حيز بحثها، وهنالك جمل لا تكتسب دلالتها إلا من خلال مكانة الشخص المتكلم مثل إعلان الحرب أو إقامة صلاة أو الحكم على متهم، وعند غياب الشخص المناسب اجتماعياً أو دينياً او قانونياً أو سياسياً يصبح المنطوق مفرغاً من الدلالة، وهو الدور الاجتماعى الذى يؤهل المتكلم للأداء، ويترتب عليه معنى يتأثر بطبيعة عمله

---

١) لقد عالج ابن جنى وعبد القاهر الجرجانى علاقة النحو بالمعنى فى الخصائص٣/ ٣٣١، و دلائل الإعجاز، ص٨١وما بعدها، وتناول ابن مالك هذا فى صدر ألفيته فى تعريف الكلام بأنه اللفظ المفيد، وبينه شارحو الألفية، و قد تناول محمود عكاشة هذا فى التحليل اللغوى فى ضوء علم الدلالة، دار النشر للجامعات، ٢٠٠٥م ص١١٩وما بعدها.

ومنزلته الاجتماعية وسنه وعلاقته بالمتلقى، مثل: أغلق الباب، تعنى الأمر من الكبير إلى الصغير ومن الأعلى إلى الأدنى، وقد تحتمل الاحتكار من الأخير فى سياق الغضب والتكبر، وتحتمل الطلب من الصغير إلى الكبير.

وأرى أن البراجماتية اللسانية لا تمثل النسق الكامل الذى استخدمه علماء العربية المتقدمون فى معالجة المعانى الخطابية فى النص العربى فى ضوء السياقين اللغوى والخارجى، فهى صدى مباشر لتقصير البنيوية فى دراسة المعنى والسياق بيد أنها تأثرت بالاتجاهات الأدبية فى تفسير النص فى ضوء رؤية المتلقى دون المتكلم، وقد حملها تعصبها للسياق الخارجى على استبعاد مستويات اللغة الأساسية من الدراسة، ويرجع اهتمامها بالسياق الخارجى إلى أنه المجال الذى يتسع لأبعاد الفلسفة البراجماتية وما تستهدفه من مقاصد عملية فى الخطاب، وهذا يفضح نفوذ الفلسفة المادية وتغلغلها فى الاتجاهات اللسانية، وتشذى البعد اللسانى فى الدرس الغربى، ويعرى الاتجاهات المتطرفة فى البحث، وتهافت الباحثين المتأخرين عليها ممن انطلقوا من ثوابت غير عربية أو مرجعية تراثية يجعلونها معياراً يضبط رؤيتهم، وقد ظهر تيار يقوم على ثوابت أصيلة يجتهد فى انتقاء المعطيات الغربية الناجعة فى اللغة وتوظيفها فى الدرس العربى.

وقد عقدت مقارنة متواضعة بين المقاصد عند علماء العربية والبراجماتية اللسانية؛لدفع الالتباس الذى أحدثه بعض الباحثين والخلط بينهما.

وأرجو الله تعالى أن أكون قد وُفقت إلى إنجاز ما نشدته أول الكتاب، وهذا اجتهاد يحتمل الزيادة والمراجعة، وحسبى أننى اجتهدت بقصد النفع، والله تعالى من وراء القصد، والحمد لله رب العالمين (١).

أبو جودى محمود أبو المعاطى عكاشة

---

١) فرغت من كتابته بعون الله تعالى وتوفيقه بالقاهرة ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

المراجع

- آفاق جديدة فى البحث اللغوى المعاصر، الدكتورمحمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط١/ ٢٠٠٢م.

- استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادى الشهرى، دار الكتاب الجديد المتحدة ، توزيع دار أويا ، طرابلس، ليبيا ، ط١/ ٢٠٠٤م.

- أصول تحليل الخطاب فى النظرية النحوية العربية، تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع، ٢٠٠١م.

- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس، دار الضياء، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٤٢٥هـ- ، ٢٠٠٥م.

- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢٠٠٧م.

- البيان والتبيين، الجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون، ط الخانجى، ط ١٩٦٨/٣م.

- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

- تحليل الخطاب: ج. ب. براون وج. يول، ترجمة: د.محمد لطفى الزليطنى، د.منير التريكى، النشر العلمى والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٩٧م.

- التحليل اللغوى عند مدرسة أكسفورد، د.صلاح إسماعيل، دار التنوير، بيروت، ط١/ ١٩٩٣م.

- التحليل اللغوى للنص، مدخل إلى المفاهيم الأساسية، والمناهج، كلاوس برينكر، ترجمة، د.سعيد بحيرى، المختار للنشر والتوزيع، ١٤٣١هـ-، ٢٠١٠م.

- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية فى التراث اللسانى العربى، الدكتور مسعود صحراوى، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م .

- التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صابر الحباشة، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٨.

- التداولية عند العلماء العرب، د.مسعود صحراوى، دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٥.

- التداولية من أوستن إلى غوفمان: بلانشيه، ترجمة: د.صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية، ط١، ٢٠٠٧م.

- التداولية اليوم، علم جديد فى التواصل، آن روبول، وجاك موشلار، ترجمة سيف الدين دعفوس ومحمد الشيبانى، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: دار الطليعة، بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

- التعريفات، على بن محمد الجرجانى، تحقيق إبراهيم الأبيارى، دار الريان للتراث (د، ت).

- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، المكتبة التوفيقية بمصر (د.ت).

- التفسير الكبير، الفخر الرازى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط ٣ (د.ت).

- جامع البيان فى تأويل القرآن، جعفر بن جرير الطبرى، ط التوفيقية (د.ت).

- الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبى، ط التوفيقية (د.ت).

- الحجاج، مفهومه ومجالاته، دراسات نظرية وتطبيقية فى البلاغة الجديدة، إعداد وتقديم الدكتورحافظ إسماعيلى علوى، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠١٠م.

- الخطابة، أرسطو، تحقيق عبد الرحمن بدوى، وزارة الثقافة والإرشاد القومى، ١٩٥٩م.

- الخطابة، أرسطوطاليس، تلخيص وشرح أبى على بن سينا، تحقيق الدكتورمحمد سليم، ط الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠٩م.

- علم التخاطب الإسلامى، دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول فى فهم النص، د.محمد يونس على، دار المدار الإسلامى، بيروت، توزيع دار أويا، طرابلس، ليبيا، ط١، ٢٠٠٦م.

- علم لغة النص، النظرية والتطبيق، عزة شبل محمد، مكتبة الآداب ، القاهرة، ط ١/ ٢٠٠٧م.

- فى بلاغة الخطاب الإقناعى، محمد العمرى، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، ط ٢/ ٢٠٠٢م.

- الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، الزمخشرى، تحقيق يوسف الحمادى، مكتبة مصر (د.ت).

- كيف نصنع أشياء بالكلمات، جون أوستين، ترجمة ودراسة محمد الحبيب المنصورى، كلية الآداب، منوبة، تونس ١٩٩٣م.

- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، تحقيق عبد الحميد هنداوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١/ ٢٠٠٠م.

- المدارس اللسانية المعاصرة، د.نعمان بوقرة، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٤م.

- مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلالى دلاش، ترجمة محمد يحياتن، ديوان المطبوعات- الجزائر، ١٩٩٢.

- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، دومينيك مانقونو، ترجمة د.محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٥م.

- معانى القرآن، يحيى بن زياد الفراء، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠م.

- مفتاح العلوم، السكاكى، تحقيق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢/ ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة سعيد علوش، منشورات مركز الإنماء القومى، ط١، ١٩٨٧.

- مقدمة فى علمى الدلالة والتخاطب، د.محمد يونس على، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، توزيع دار أويا- طرابلس- ليبيا، ط١/ ٢٠٠٤.

- الملفوظية، جان سيرفوني، ترجمة د. قاسم المقداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨م.

- نظريّة اللغة الأدبيّة، إيفانوكس، ترجمة حامد أبو حمد، القاهرة، مكتبة غريب، ط ١/ ١٩٨٨م.

- النظريات اللسانيّة والبلاغيّة والأدبيّة عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، محمد الصغير البناني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٣.

- النص والسياق، استقصاء البحث فى الخطاب الدلالى والتداولى، فان دايك، ترجمة عبد القادر قنينى، دار إفريقيا الشرق- الدار البيضاء، (د.ت)

- نظرية أفعال الكلام، كيف ننجز الأشياء بالكلام، جون أوستين، ترجمة عبد القادر قنينى، أفريقيا الشرق، ١٩٩١م.

- نظرية اللغة الأدبية، إيفانوكس، ترجمة حامد أبو حمد، القاهرة، مكتبة غريب، ط ١/ ١٩٨٨م.

- نظرية المعنى فى فلسفة جرايس، د.صلاح إسماعيل، الدار المصرية السعودية ، القاهرة، ط ١/ ٢٠٠٥م.

- النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، محمد الصغير البنانى، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٣م.

- النكت فى إعجاز القرآن، الرمانى، ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، مصر، دار المعارف، ط ٢/ ١٩٦٨م.

- الوظائف التداولية فى اللغة العربية، د.أحمد المتوكل، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٥م.

***

الدوريات

- الاتجاه التداولى فى البحث اللغوى المعاصر، الدكتور محمود نحلة، ضمن دراسات مهداة إلى الدتور عثمان، موافى بعنوان "فى اللغة والأدب"، دار الوفاء بالأسكندرية، ٢٠٠٤م.

- البنية الحجاجيّة فى القرآن الكريم، سورة النمل نموذجاً، الحواس مسعودى، مجلة اللغة والأدب، الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، العدد ١٢ ديسمبر ١٩٩٧م.

- الحجاج والاستدلال الحجاجى، عناصر استقصاء نظرى، حبيب أعراب، مجلة عالم الفكر، الكويت، م٣٠، يوليو، سبتمبر، ٢٠٠١م.

- مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره فى البلاغة المعاصرة، محمد سالم ولد سالم ولد محمد الأمين، عالم الفكر، م ٢٨، ع ٣، يناير - مارس، ٢٠٠٠م.

- المنهج التداولى فى مقاربة الخطاب: المفهوم، المبادئ، الحدود، مجلة فصول، ع٧٧، ٢٠١٠م.

- نظرية الحجاج، نعمان بوقرّة، مجلة الموقف الأدبى، دمشق اتحاد الكتاب العرب، العدد ٤٠٧، آذار ٢٠٠٥م.

***

موضوعات الكتاب

***